سبيل الرشاد

أربعون حديثاً وواقعةً في

رحمته ﷺ في الدعوة والإرشاد

www.saida-islam.weebly.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف إلاَّ من أراد طباعته وتوزيعه احتساباً لوجه الله

الكريم فله الإذن وجزاه الله خيراً .

الأردن - عمان - سحاب

ت/ ٠٠٩٦٢٧٨٨٤٤٣٩٢٣

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

الطبعة الثانية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/٦/٣٠٨١)

www.saida-islam.weebly.com

مَنْ أَرَادَ طِبَاعَةَ هَذَا الْكِتَابِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى لا يُرِيدُ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنيَا فَقَدْ أُذِنَ لَهُ، وجَزَاهُ اللهُ خَيراً .

سبيل الرشاد

أربعون حديثاً وواقعةً في

رحمته ﷺ في الدعوة والإرشاد

جمع وتأليف

سليمان العايدي

www.saida-islam.weebly.com

www.saida-islam.weebly.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، وَمَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي لَا فَوْزَ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ، وَلَا عِزَّ إِلَّا فِي التَّذَلُّلِ لِعَظَمَتِهِ، وَلَا غِنَى إِلَّا فِي الِافْتِقَارِ إِلَى رَحْمَتِهِ، وَلَا هُدَى إِلَّا فِي الِاسْتِهْدَاءِ بِنُورِهِ، وَلَا حَيَاةَ إِلَّا فِي رِضَاهُ، وَلَا نَعِيمَ إِلَّا فِي قُرْبِهِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْقَلْبِ وَلَا فَلَاحَ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لَهُ وَتَوْحِيدِ حُبِّهِ، الَّذِي إِذَا أُطِيعَ شَكَرَ، وَإِذَا عُصِيَ تَابَ وَغَفَرَ، وَإِذَا دُعِيَ أَجَابَ، وَإِذَا عُومِلَ أَثَابَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَهِدَتْ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَقَرَّتْ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ جَمِيعُ مَصْنُوعَاتِهِ، وَشَهِدَتْ بِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ عَجَائِبِ صَنْعَتِهِ، وَبَدَائِعِ آيَاتِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا؛ وَسُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَأَمْلَاكُهَا، وَالنُّجُومُ وَأَفْلَاكُهَا، وَالْأَرْضُ وَسُكَّانُهَا، وَالْبِحَارُ وَحِيتَانُهَا، وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَالْآكَامُ وَالرِّمَالُ، وَكُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَكُلُّ حَيٍّ وَمَيِّتٍ : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٤] .

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَشَرَعَ شَرَائِعَهُ، وَلِأَجْلِهَا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ، وَوُضِعَتِ الدَّوَاوِينُ، وَقَامَ سُوقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الْخَلِيقَةُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، وَالْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، فَهِيَ مَنْشَأُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَهِيَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ لَهُ الْخَلِيقَةُ، وَعَنْهَا وَعَنْ حُقُوقِهَا السُّؤَالُ وَالْحِسَابُ، وَعَلَيْهَا يَقَعُ الثَّوَابُ

www.saida-islam.weebly.com

وَالْعِقَابُ، وَعَلَيْهَا نُصِبَتِ الْقِبْلَةُ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْمِلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جُرِّدَتْ سُيُوفُ الْجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا يُسْأَلُ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، فَلَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ : مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ؟ وَمَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ؟ .

فَجَوَابُ الْأُولَى بِتَحْقِيقِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا.

وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ « أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، الْمَبْعُوثُ بِالدِّينِ الْقَوِيمِ وَالْمَنْهَجِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِمَامًا لِلْمُتَّقِينَ، وَقُدْوَةً لِلْعَامِلِينَ، وَمَحَجَّةً لِلسَّالِكِينَ، وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ فَهَدَى بِهِ إِلَى أَقْوَمِ الطُّرُقِ وَأَوْضَحِ السُّبُلِ، وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَالْقِيَامَ بِحُقُوقِهِ، وَسَدَّ دُونَ جَنَّتِهِ الطُّرُقَ، فَلَنْ تُفْتَحَ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، فَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وعَلَّمَ بِهِ مِنَ الجَهَالَةِ، وَكَثَّرَ بِهِ بَعدَ الْقِلَّةِ، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وأَغْنَى بِهِ بَعْدَ العَيْلَةِ، وبَصَّرَ بِهِ مِنَ العَمَى، وأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الْغَيِّ، وفَتَحَ بِرِسَالَتِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وآذَاناً صُمّاً، وقُلُوباً غُلْفاً، فَبَلَّغ الرِّسَالَةَ، وأَدَّى الأَمَانَةَ، ونَصَحَ الأُمَّةَ، وجَاهَدَ في اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وعَبَدَ اللهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ، فَلَمْ يَدَعْ خيراً إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيهِ، ولَا شَرّاً إِلَّا حَذَّرَ مِنْهُ، ونَهَى عَنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيهِ، فَفَتَحَ القُلُوبَ بِالإِيْمَانِ والقُرْآنِ، وجَاهَدَ أَعْدَاءَ اللهِ بِاليَدِ والقَلْبِ وَاللِّسَانِ، فَدَعَا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وسَارَ في الأُمَّةِ بِالعَدْلِ والإِحْسَانِ وخُلُقِهِ العَظِيمِ أَحْسَنَ سِيرَةٍ، إِلَى أَنْ أَشْرَقَتْ بِرِسَالَتِهِ الأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وتَأَلَّفَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ شَتَاتِهَا، وسَارَتْ دَعْوَتُهُ سَيرَ الشَّمْسِ في الأَقْطَارِ، وبَلَغَ دِينُهُ القَيِّمُ مَا بَلَغَ اللَّيلُ والنَّهَارُ، وَاسْتَجَابَتْ لِدَعْوَتِهِ الحَقِّ القُلُوبُ طَوعاً وإِذْعَاناً، وَامْتَلَأَتْ بَعْدَ خَوفِهَا وكُفْرِهَا أَمْناً وإِيْمَاناً، فَجَزَاهُ اللهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ الجَزَاءِ، وصَلَّى عَلَيهِ صَلَاةً تَمْلَأُ أَقْطَارَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءَ، وسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

www.saida-islam.weebly.com

أما بعد [١]:

فَإِنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وضَمَّنَ الكِتَابَ الَّذِيْ كَتَبَهُ، أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ؛ ومِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيهِم رُسُلَهُ، وأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، يُرَغِّبُهُم بِرِضْوَانِهِ، ويَدْعُوهُمْ إلى دَارِ السَّلَامِ لِيَكُونُوا جِيرَانَهُ؛ وخَتَمَ سِلْسِلَةَ الأَنْبِيَاءِ والْمُرْسَلِينَ بِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بَشِيراً ونَذِيراً، ودَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وسِرَاجاً مُنِيراً، فَمَلَأَ الأَرْضَ مِنَ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفَتَحَ بِهِ الْقُلُوبَ، وكَشَفَ بِهِ الظُّلْمَةَ عَن أَهْلِ الأَرْضِ، وَاسْتَنْقَذَهُم مِنْ أَسْرِ الشَّيْطَانِ، وَمِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَالْكفْرِ بِهِ وَالْجَهْلِ بِهِ، حَتَّى نَالَ بِهِ أَتْبَاعُهُ شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ رِسَالَتَهُ وَافَتْ أَهْلَ الأَرْضِ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا، فَإِنَّهُم كَانُوا بَينَ عُبَّادِ أَوْثَانٍ وَعُبَّادِ صُلْبَانٍ وَعُبَّادِ نِيرَانٍ، وَعُبَّادِ الْكَوَاكِبِ، ومَغْضُوبٍ عَلَيْهِم قَدْ بَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وحَيرَانَ لَا يَعْرِفُ رَبًّا يَعْبُدُهُ، وَلَا بِمَاذَا يَعْبُدُهُ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُ بَعْضُهُم بَعْضًا، مَنِ اسْتَحْسَنَ شَيْئا دَعَا إِلَيْهِ وَقَاتل مَنْ خَالَفَهُ، وَلَيْسَ فِي الأَرْض مَوْضِعُ قَدَمٍ مُشْرِقٌ بِنُورِ الرِّسَالَةِ، وَقَدْ نَظَرَ اللهُ ﷻ حِينَئِذٍ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُم عَرَبَهُم وعَجَمَهُم إِلَّا بَقَايَا عَلَى آثَارٍ مِنْ دِينٍ صَحِيحٍ، فَأَغَاثَ اللهُ بِهِ الْبِلَادَ والعِبَادَ، وكَشَفَ بِهِ تِلْكَ الظُّلَمَ، وَأَحْيَا بِهِ الخَلِيقَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَبَّهُم ومَعْبُودَهُم غَايَةَ مَا يُمكِنُ أَنْ تَنَالَهُ قُوَاهُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، وَانْجَابَتْ سَحَائِبُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ عَنْهُم كَمَا يَنْجَابُ السَّحَابُ عَنِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ إِبْدَارِهِ، وَلَمْ يَدَعْ لِأُمَّتِهِ حَاجَةً فِي هَذَا التَّعْرِيفِ لَا إِلَى مَنْ قَبْلَهُ وَلَا إِلَى مَنْ بَعْدَهُ، بَلْ كَفَاهُم وشَفَاهُم وأَغْنَاهُم عَنْ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

---

(١) من مقدمة الإمام ابن القيم على كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» (١/١١-١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَرَّفَهُمُ الطَّرِيقَ الْمُوصِلَ لَهُم إِلَى رَبِهِمْ ورِضْوَانِهِ وَدَارِ كَرَامَتِهِ، وَلَمْ يَدَعْ حَسَناً إِلَّا أَمَرَهُم بِهِ، وَلَا قَبِيحاً إِلَّا نَهَى عَنْهُ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **مَا تَرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُم إِلَى الْجَنَّة إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُم بِهِ، وَلَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُم مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنهُ** ". وقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه : **لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْماً** [(١)] .

وعَرَّفَهُم حَالَهُم بَعْدَ الْقُدُومِ عَلَى رَبِّهِم أَتَمَّ تَعْرِيفٍ، فَكَشَفَ الْأَمْرَ وأَوْضَحَهُ، وَلَمْ يَدَعْ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ لِلْعِبَادِ الْمُقَرِّبِ لَهُم إِلَى رَبِّهِم إِلَّا فَتَحَهُ، وَلَا مُشْكِلاً إِلَّا بَيَّنَهُ وَشَرَحَهُ، حَتَّى هَدَى اللهُ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ ضَلَالِهَا، وشَفَاهَا بِهِ مِنْ أَسْقَامِهَا، وأَغَاثَهَا بِهِ مِنْ جَهْلِهَا، فَأَيُّ بَشَرٍ أَحَقُّ بِأَنْ يُحْمَدَ مِنْهُ ﷺ، وجَزَاهُ عَنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلَ الْجَزَاء؛ فَكَانَ كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا لِلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ١٠٧] [(٢)] [(٣)] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بنحوه عن أبي ذر (١٦٤٧) وقال الهيثمي : رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ وهو ثقة .

(٢) قال ابن القيم في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» (٨٧-٨٩) : وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ فِي قَوْله ﷻ: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا لِلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ [الْأَنْبِيَاء: ١٠٧]، أَنَّهُ عَلَى عُمُومِهِ، وَفِيه عَلَى هَذَا التَّقْدِير وَجْهَانِ : **أحدهما** : أَنَّ عُمُومَ الْعَالَمِينَ حَصَلَ لَهُمُ النَّفْعُ بِرِسَالَتِهِ، أَمَّا أَتْبَاعُهُ فَنَالُوا بِهِ كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، وَأَمَّا أَعْدَاؤُهُ فَالْمُحَارِبُونَ لَهُ عُجِّلَ قَتْلُهُمْ، ومَوْتُهُم خَيرٌ لَهُم مِنْ حَيَاتِهِم، لِأَنَّ حَيَاتَهُم زِيَادَةٌ لَهُم فِي تَغْلِيظِ الْعَذَابِ عَلَيْهِم فِي الدَّارِ الْآخِرَة، وهُمْ قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ، فَتَعْجِيلُ مَوْتِهِمْ خَيرٌ لَهُم مِنْ طُولِ أَعْمَارِهِم فِي الْكُفْرِ، وَأَمَّا الْمُعَاهِدُونَ لَهُ فَعَاشُوا فِي الدُّنْيَا تَحْتَ ظِلِّهِ وَعَهْدِهِ وذِمَّتِهِ، وهُمْ أَقَلُّ شَرّاً بِذَلِكَ الْعَهْدِ مِنَ الْمُحَارِبِينَ لَهُ؛ وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَحَصَلَ لَهُم بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ بِهِ حَقْنُ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وأَهْلِهِم وَاحْتِرَامِهَا، وجَرَيَانُ أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِم فِي التَّوَارُثِ وَغَيرِهِ، وَأَمَّا الْأُمَمُ النَّائِيَةُ عَنهُ فَإِنَّ اللهَ ﷻ رَفَعَ بِرِسَالَتِهِ الْعَذَابَ الْعَامَّ عَنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَصَابَ كُلَّ الْعَالَمِينَ النَّفْعُ بِرِسَالَتِهِ . **الْوَجْه الثَّانِي** : أَنَّهُ رَحْمَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، لَكِنِ الْمُؤْمِنُونَ قَبِلُوا هَذِهِ الرَّحْمَةَ فَانْتَفَعُوا بِهَا دُنْيَا وَأُخْرَى، وَالْكُفَّارُ رَدُّوهَا فَلَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ رَحْمَةً لَهُم لَكِنْ لَمْ يَقْبَلُوهَا، كَمَا يُقَالُ: هَذَا دَوَاء لهَذَا الْمَرَض، فَإِذَا لَمْ يَسْتَعْمِلْهُ الْمَرِيضُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ أَنْ يَكُونَ دَوَاءً لذَلِكَ الْمَرَضِ .

(٣) «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم» (٨٧-٨٩) .

www.saida-islam.weebly.com

فَلِهَذَا أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْمَعَ مَجْمُوعَةً طَيِّبَةً مِنَ الأَحَادِيثِ والآثَارِ فِي رَحْمَتِهِ ﷺ فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ وتَبْلِيغِهِمْ آيَاتِهِ، وإِرْشَادِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ؛ كَيْ يَكُونَ أُسْوَةً لَنَا فِي دَعْوَتِنَا إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، ودَافِعاً لَنَا لِلاقْتِدَاءِ بِهِ فِي جُهْدِنَا لِإِحْيَاءِ الدِّينِ، حَتَّى نَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَقْبُولِينَ، ويَومَ القِيَامَةِ مِنَ الفَائِزِينَ؛ فَيَسَّرَ اللهُ لِي أَنْ أَجْمَعَ أَرْبَعِينَ حَدِيثاً ووَاقِعَةً تُبَيِّنُ جَوَانِبَ مِنْ رَحْمَتِهِ ﷺ فِي هَذَا البَابِ العَظِيمِ، كَمَا قُمْتُ بِوَضْعِ حَوَاشِيَ عَلَيهَا، لِتَوْضِيحِ مَعْنىً غَامِضٍ، أَوْ لِزِيَادَةِ فَائِدَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِهَا وغَيرِ ذَلِكَ .

واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوْزِعَنَا شُكْرَ نِعْمَتِهِ، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لأَدَاءِ حَقِّهِ، وَأَنْ يُعِيْنَنَا عَلَى ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَإِلى دِيْنِهِ وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَحْظَى خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا قَصَدْنَا بِهِ فِيْ هَذَا الْكِتَابِ وَفِيْ غَيْرِهِ خَالِصاً لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ، وَنَصِيحَةً لِعِبَادِهِ، وَأَنْ يُعِيْذَنَا مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ قَرِيْبٌ مُجِيْبٌ؛ وَعَلَى اللهِ اعْتِمَادِيْ، وَإِلَيْهِ تَفْوِيْضِيْ وَاسْتِنَادِيْ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيْقُ وَالْعِصْمَةُ .

*****

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الأَوَّلُ

أَمْرُهُ ﷺ أُمَّتَهُ بِالرَّحْمَةِ وتَرْغِيبُهُ فِيهَا وَتَرْهِيبُهُ مِنْ تَرْكِهَا

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ :" **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ** "(١) .

وفي رِوَايَةٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ** "(٢)* .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦٤٩٤) وأبو داوود في سننه (٤٩٤١) والترمذي في سننه (١٩٢٤) واللفظ له، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخاري برقم (٧٣٧٦) .

*__فائدة :__ الرحمة نوعان : رحمةٌ صغرى خاصَّةٌ، ورحمةٌ كبرى عامَّةٌ؛ **فالأُولى** : هي الرحمةُ بالخَلْقِ في أُمُورِ مَعَاشِهِم، بِوِقَايَتِهِم مِمَّا يَضُرُّهم، وكِفَايَتِهِم مِمَّا يُهِمُّهُم، ومُوَاسَاتِهِم فيما يُحْزِنُهُم؛ فَيَدْخُلُ فيهَا إِطْعَامُ الجَائِعِ وكِسْوَةُ العَارِي وإِيوَاءُ الغَرِيبِ، ونُصرةُ المظلُومِ، وإِعَانَةُ المحتاجِ، والرَّحمةُ بالمخلُوقَاتِ الأُخْرَى، وغيرُهَا من الأَخلاقِ الفَاضِلَةِ التي أَمَرَتْ بِهَا جَمِيعُ الشَّرائعِ السَّمَاوِيَّة؛ وأَمَّا **الرَّحْمَةُ الْكُبْرَى** : فَهِيَ الرَّحْمَةُ التي بَعَثَ اللهُ لأَجْلِهَا النَّبِيِّينَ والْمُرسَلِينَ، وأَنْزَلَ لأَجْلِهَا الْكُتُبَ، وهي إِخْرَاجُ النَّاسِ من الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وهِدَايَتُهُم إِلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِدَعوَتِهِم إِلى اللهِ وَجَلَّ وإِلى سَبِيلِهِ، وأَهْلُ هَذِهِ الرَّحْمَةِ الْمُوَفَّقُونَ لَهَا هم أَعْظَمُ الخَلقِ نَصِيباً من الرَّحمَةِ عِندَ رَبِّهِم؛ **قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ** رَحِمَهُ اللَّهُ : إِنَّ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةُ الرِّسَالَةِ والنُّبُوَّةِ، فَاللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ، وَكَيْفَ لا يَكُونُ أَفْضَلَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مَنْ جَعَلَهُم وَسَائِطَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فِيْ تَبْلِيْغِ رِسَالاتِهِ، وتَعْرِيفِ أَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ وأَحْكَامِهِ ومَرَاضِيْهِ ومَسَاخِطِهِ وثَوَابِهِ وعِقَابِهِ، وخَصَّهُمْ بِوَحْيِهِ، وَاخْتَصَّهُمْ بِتَفْضِيلِهِ، وَارْتَضَاهُمْ لِرِسَالَتِهِ إِلى عِبَادِهِ، وجَعَلَهُمْ أَزْكَى الْعَالَمِينَ نُفُوساً وأَشْرَفَهُم أَخْلاقاً، وأَكْمَلَهُم عُلُوماً وأَعْمَالاً، وأَحْسَنَهُم خِلْقَةً، وأَعْظَمَهُم مَحَبَّةً وقَبُولاً فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وبَرَّأَهُمْ مِنْ كُلِّ وَصْمٍ وعَيْبٍ وكُلِّ خُلُقٍ دَنِيْءٍ. وجَعَلَ أَشْرَفَ مَرَاتِبِ النَّاسِ بَعْدَهُم مَرْتَبَةَ خِلافَتِهِمْ ونِيَابَتِهِمْ فِي أُمَمِهِمْ، فَإِنَّهُم يَخْلُفُونَهُمْ عَلَى مَنَاهِجِهِمْ وطَرِيقِهِمِ مِنْ نَصِيحَتِهِمْ لِلأُمَّةِ، وإِرْشَادِهِمُ الضَّالَّ، وتَعْلِيْمِهِمُ الجَاهِلَ، ونَصْرِهِمُ الْمَظْلُومَ، وأَخْذِهِمْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ، وأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وفِعْلِهِ، ونَهْيِهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وتَرْكِهِ، وَالدَّعوةِ إِلى اللهِ بالحِكْمَةِ للمُسْتَجِيبِينَ، والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ لِلْمُعْرِضِينَ الغَافِلِينَ، والجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلْمُعَانِدِينَ الْمُعَارِضِينَ، فَهَذِهِ حَالُ أَتْبَاعِ الْمُرْسَلِينَ وَوَرَثَةِ النَّبِيِّيْنَ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِى** ﴾

www.saida-islam.weebly.com

﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وسَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي عَلَى بَصِيرَةٍ، وأَنَا أَدْعُو إلى اللهِ، أَوِ الْمَعْنَى أَدْعُوْ إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، فَالْقَولانِ مُتَلازِمَانِ، فَلا يَكُونُ مِنْ أَتْبَاعِهِ حَقّاً إلاَّ مَنْ دَعَا إلى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، كَمَا كَانَ مَتْبُوْعُهُ يَفْعَلُ ﷺ . فهَؤُلاءِ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ حَقّاً، ووَرَثَتُهُمْ دُوْنَ النَّاسِ، وهُمْ أُوْلُوْ الْعِلْمِ الَّذِينَ قَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ عِلْماً وعَمَلاً وهِدَايَةً وإِرْشَاداً وصَبْراً وجِهَاداً، وهَؤُلاءِ هُمُ الصِّدِّيقُونَ، وهُمْ أَفْضَلُ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، ورَأْسُهُمْ وإِمَامُهُمُ الصِّدِّيقُ الأَكْبَرُ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه. وهَؤُلاءِ هُمُ الرَّبَّانِيُّونَ، وهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وهُمُ الْوَسَائِطُ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وأُمَّتِهِ، فَهُمْ خُلَفَاؤُهُ وأَوْلِيَاؤُهُ وحِزْبُهُ وخَاصَّتُهُ وحَمَلَةُ دِيْنِهِ، وهُمُ الْمَضْمُونُ لَهُمْ أَنَّهُم لا يَزَالُونَ عَلَى الْحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وهَؤُلاءِ هُمْ خُوَاصُّ خَلْقِ اللهِ، وأَفْضَلُهُمْ عِندَ اللهِ مَنْزِلَةً، وأَعْلاهُمْ قَدْراً، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَولُهُ ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، قَالَ الحَسَنُ البِصْرِيُّ رحمه الله: **هُوَ الْمُؤْمِنُ أَجَابَ اللهِ فِيْ دَعْوَتِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى مَا أَجَابَ اللهِ فِيهِ مِنْ دَعْوَتِهِ، وعَمِلَ صَالِحاً فِي إِجَابَتِهِ، فَهَذَا حَبِيْبُ اللهِ، هَذَا وَلِيُّ اللهِ** . فَمَقَامُ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ أَفْضَلُ مَقَامَاتِ العَبْدِ، قَالَ ﷻ: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩]. وهَؤُلاءِ هُمُ الْمُبَارَكُونَ أَيْنَمَا كَانُوا، فَإِنَّ بَرَكَةَ الرَّجُلِ تَعْلِيْمُهُ لِلْخَيْرِ حَيْثُ حَلَّ ونُصْحُهُ لِكُلِّ مَنِ اجْتَمَعَ بِهِ، قَالَ اللهُ ﷻ إِخْبَاراً عَنِ الْمَسِيحِ عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[مريم: ٣١]، أَيْ مُعَلِّماً ودَاعِياً إِلَى اللهِ، مُذَكِّراً بِهِ، مُرَغِّباً فِي طَاعَتِهِ، فَهَذَا مِنْ بَرَكَةِ الرَّجُلِ، ومَنْ خَلا مِنْ هَذَا فَقَدْ خَلا مِنَ الْبَرَكَةِ، ومُحِقَتْ بَرَكَةُ لِقَائِهِ وَالاِجْتِمَاعِ بِهِ، بَلْ مُحِقَتْ بَرَكَةُ مَنْ لَقِيَهُ وَاجْتَمَعَ بِهِ . وقَالَ مَسْرُوقٌ رحمه الله : **قَرَأْتُ عَلَى عَبدِ اللهِ بْنِ مَسعُودٍ هَذِهِ الآيَةَ** : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾[النحل: ١٢٠]، **فقال : كَانَ مُعَاذٌ أُمَّةً، قَالَ: هَلْ تَدْرِيْ مَا الأُمَّةُ ؟ الأُمَّةُ الَّذِيْ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الَّذِيْ يُطِيْعُ اللهَ وَرَسُولَهُ** . والْمَقْصُودُ أَنَّ دَرَجَةَ الصِّدِّيقِيَّةِ وَالرَّبَّانِيَّةِ وَوِرَاثَةِ النُّبُوَّةِ وخِلافَةِ الرِّسَالَةِ هِيَ أَفْضَلُ دَرَجَاتِ الأُمَّةِ، ولَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فَضْلِهَا وشَرَفِهَا إلاَّ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلِمَ بِتَعْلِيمِهِمْ وإِرْشَادِهِمْ وعَلَّمَ غَيْرَهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، كَانَ لَهُمْ مِثْلُ أَجْرِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ جَارِياً فِي الأُمَّةِ عَلَى آبَادِ الدُّهُورِ، وقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :" **فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**"، وصَحَّ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ** "، فلَمَّا كَانَ العَالِمُ – والداعي إلى الله – سَبَباً فِي حُصُولِ العِلْمِ الَّذِي بِهِ نَجَاةُ النُّفُوسِ مِنْ أَنْوَاعِ الْمُهلِكَاتِ، وَكَانَ سَعْيُهُ مَقصُوراً عَلَى هَذَا، وَكَانَتْ نَجَاةُ الْعِبَادِ عَلَى يَدَيهِ، جُوْزِيَ مِنْ جِنسِ عَمَلِهِ، وجُعِلَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرضِ سَاعِياً فِي نَجَاتِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْمُهْلِكَاتِ بِاسْتِغْفَارِهِم؛ وَإِذَا كَانَتِ الْمَلائِكَةُ تَستَغْفِرُ لِلمُؤْمِنِينَ فَكَيفَ لا تَستَغْفِرُ لِنَجَاتِهِم وخَلاصِهِم، وقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ :" **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِيْ النَّاسِ الْخَيْرَ** ". فَيَا لَهَا مِنْ مَرْتَبَةٍ مَا أَعْلاهَا! ومَنْقَبَةٍ مَا أَجَلَّهَا وأَسْنَاهَا ! أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ مَشْغُولاً بِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، أَوْ فِي قَبْرِهِ قَدْ صَارَ أَشْلاءً =

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّوا عَلَيْهِ؟**" **قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ :" أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا** ". **قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ . قَالَ :" إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ، رَحْمَةُ الْعَامَّةِ** " [(١)].

=مُمَزَّقَةً وأَوْصَالاً مُتَفَرِّقَةً، وصُحُفُ حَسَنَاتِهِ مُتَزَايِدَةٌ تُمْلَى فِيهَا الْحَسَنَاتُ بِكُلِّ وَقْتٍ، وأَعْمَالُ الخَيْرِ مُهْدَاةٌ إِلَيهِ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، تِلْكَ واللهِ الْمَكَارِمُ والْمَغَانِمُ ! وفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ! وعَلَيْهِ يَحْسُدُ الْحَاسِدُونَ ! وذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَشَاءُ، واللهِ ذُوْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَحَقِيقٌ بِمَرْتَبَةٍ هَذَا شَأْنُهَا أَنْ تُنْفَقَ نَفَائِسُ الأَنْفَاسِ عَلَيْهَا، ويَسْتَبِقَ السَّابِقُونَ إِلَيْهَا، وتُوَفَّرَ عَلَيهَا الأَوْقَاتُ، وتَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا الطَّلَبَاتُ، فَنَسْأَلُ اللهَ الَّذِي بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ كُلِّ خَيْرٍ أَنْ يَفْتَحَ عَلَينَا خَزَائِنَ رَحْمَتِهِ، ويَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ . مفتاح دار السعادة (١/١٠٣) و(١/١٥٣) ورسالة ابن القيم لأحد الإخوان ص (٥) وطريق الهجرتين وباب السعادتين (٢/٧٦٤-٧٧١).

(١) رواه النسائي في الكبرى (٥٩٢٨) والحاكم في المستدرك (٧٣١٠) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي . ورواه أبو يعلى في مسنده (٤٢٥٨) عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ** ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا يَرْحَمُ . قَالَ:" **لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ خَاصَّةً، حَتَّى يَرْحَمَ النَّاسَ كَافَّةً** ". ورواه البيهقي في شعب الإيمان ولفظه :" **لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْكُم إِلَّا رَحِيمٌ** ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ كُلُّنَا رَحِيمٌ . قَالَ :" **لَيسَ رَحْمَةَ أَحَدِكُمْ نَفْسَهُ وأَهْلَ بَيْتِهِ، حَتَّى يَرْحَمَ النَّاسَ** ". وأخرجه عبد بن حميد في مسنده (١٤٥٤) بنحوه، إلَّا أنه قال :" **لَيسَتِ الرَّحْمَةُ أَنْ يَرْحَمَ أَحَدُكُمْ خَاصَّتَهُ، حَتَّى يَرْحَمَ العَامَّةَ، ويَتَوَجَّعَ لِلْعَامَّةِ** ". وفي هذه الأحاديث بيانٌ منه ﷺ للرَّحمةِ الحقيقِيَّةِ التي أُرْسِلَ بها إلى النَّاسِ كَافَّةً لإخراجهم من الظُّلُماتِ إلى النُّور، كما سيأتي في بيان رحمته ﷺ بالأفراد والأقوام؛ وأُمَّتُهُ كذلكَ مَبْعُوثَةٌ مُرْسَلَةٌ إلى النَّاسِ كَافَّةً بِنَفْسِ الرِّسَالَةِ، رِسَالَةِ الرَّحمَةِ العَامَّةِ . كما فيها بيان لسنةٍ لله جاريةٍ في قَدَرِهِ وشَرْعِهِ، وهي أن الجزاءَ من جِنسِ العَمَلِ؛ كما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال:" **ارْحَمُوا تُرحَمُوا، واغْفِرُوا يَغفِرِ اللهُ لَكُم** ". رواه أحمد في مسنده (١٩٤٢) بإسناد صحيح؛ وعن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ الصَادق المصدُوق أَبا القاسم ﷺ يقول :" **لا تُنْزَعُ الرَّحمَةُ إِلَّا مِن شَقِيٍّ** ". رواه أحمد في مسنده (٨٠٠١) وأبو داوود في سننه (٤٩٤٢) والترمذي في سننه (١٩٢٣) وقال : حديث حسن . وقَالَ ﷺ :" **خَابَ عَبْدٌ وخَسِرَ، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلْبَشَرِ** ". رواه الدولابي في الأسماء والكنى (٩٧١) وأبو نعيم في المعرفة (٥١٢٥) بإسناد حسن. وعن عمر ﷺ أنه قال: **مَن لا يَرحم لا يُرحَم، ولا يُغفَرُ من لا يَغفِر، ولا يُعفَ عَمَّنْ لَم يَعفُ، ولا يُوَقَّ مَن لا يَتَوقَى**. وفي رواية عن عمر ﷺ : **ولا يُتابُ على مَن لا يَتُوبُ** . رواهما البخاري في الأدب المفرد (٣٧١) (٣٧٢) بإسناد حسن. وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَزَاءُ مُمَاثِلًا لِلْعَمَلِ مِنْ =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=جِنْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللَّهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَمَنْ جَادَ عَلَى عِبَادِهِ جَادَ عَلَيهِ، وَمَنْ نَفَعَهُم نَفَعَهُ، وَمَنْ مَنَعَهُم خَيرَهُ مَنَعَهُ خَيرَهُ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللَّهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ اسْتَقْصَى اسْتَقْصَى اللَّهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا شَرْعُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ وَوَحْيُهُ، وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ، كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ إِلْحَاقُ النَّظِيرِ بِالنَّظِيرِ، وَاعْتِبَارُ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ؛ وَهَذَا شَأْنُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، أَحَبُّ خَلْقِهِ إِلَيْهِ مَنِ اتَّصَفَ بِمُوجَبِهَا، وَأَبْغَضُهُم إِلَيْهِ مَنِ اتَّصَفَ بِأَضْدَادِهَا، وَلِهَذَا يُبْغِضُ الْكَفُورَ وَالظَّالِمَ وَالجَاهِلَ وَالقَاسِيَ الْقَلْبِ وَالْبَخِيلَ وَالْجَبَانَ وَاللَّئِيمَ . وَهُوَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، عَلِيْمٌ يُحِبُّ الْعُلَمَاءَ، رَحِيْمٌ يُحِبُّ الرَّاحِمِينَ، مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، صَبُورٌ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، جَوَادٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْجُودِ، سِتِّيرٌ يُحِبُّ أَهْلَ السِّتْرِ، قَادِرٌ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيْفِ، عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ، غَفُورٌ يُحِبُّ مَنْ يَغْفِرُ، ولَطِيفٌ يُحِبُّ اللَّطِيفَ من عِبَادِهِ، ويُبْغِضُ الفَظَّ الغَلِيظَ القَاسِيَ الجَعْظَرِيَّ الجَوَّاظَ، رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، حَلِيمٌ يُحِبُّ الحِلْمَ، بَرٌّ يُحِبُّ البِرَّ وأَهْلَهُ، عَدْلٌ يُحِبُّ العَدْلَ، وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ؛ وَكُلُّ مَا يُحِبُّهُ فَهُوَ مِنْ آثَارِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمُوجَبِهَا، وَكُلُّ مَا يُبغِضُهُ فَهُوَ مِمَّا يُضَادُّهَا وَيُنَافِيهَا؛ فمن عامل خلقه بصفة عامله الله ﷻ بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة؛ فكن كيف شئت فإن الله تعالى لك كما تكون أنت لعباده . فلذلك كانت هذه الأمة أحظى الأمم برحمة الله ﷻ في الدنيا والآخرة، لأنها أرحم الأمم بالناس، بخروجها في سبيل الله لإخراجها الناس من الظلمات إلى النور؛ كما قال أبو هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله ﷻ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾، قَالَ : **خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاَسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ، حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلاَمِ** . رواه البخاري برقم (٤٥٥٧) . «إعلام الموقعين» (١/١٥٠) و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ص (٢٨٣) و«الوابل الصيب» ص (٣٥) لابن القيم .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثاني

رحمته ﷺ ببكائه بين يدي الله عز وجل طلباً للرحمة بأمته

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ عز وجل فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾[١] الآيَةَ. وَقَالَ[٢] عِيسَى عليه السلام : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾[٣]،

---

(١) قوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ﴾ أي صرن سبب ضلال كثير منهم ﴿ فَمَن تَبِعَنِى ﴾ أي في التوحيد والإخلاص والتوكل ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ أي من أتباعي وأشياعي ؛ وتمامه ﴿ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي تغفر ما دون الشرك لمن تشاء، وترحمه بالتفضل على من تشاء، أو تغفر للعاصي المشرك بأن توفقه للإيمان والطاعة في الدنيا وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى «مرقاة المفاتيح» (١٠/٢٤٠) .

(٢) هو مصدر معطوف على قوله : **وتلا قول الله** عز وجل . والعرب تقول : قال يقول قولاً وقالاً وقيلاً، فكأنه قال : وتلا قول عيسى . «شرح مسلم للنووي» (٣/٧٨) .

(٣) قال ابن كثير في تفسيره (٢/٨٣) : هذا الكلام يتضمن رد المشيئة إلى الله عز وجل، فإنه الفعال لما يشاء، الذي لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله، وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وهذه الآية لها شأن عظيم، ونبأ عجيب، وقد ورد في الحديث : أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها. وروى أحمد في مسنده (٢١٣٢٨) عن أبي ذر رضي الله عنه، قال : صلى النبي ﷺ ذات ليلة، فقرأ بآية حتى أصبح، يركع بها ويسجد بها : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلما أصبح، قلت: يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية، حتى أصبحت تركع بها وتسجد بها ؟ قال : "**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عز وجل الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيئاً** ". قال القرطبي رحمه الله : ومعنى هاتين الآيتين أنّ كلَّ واحد من إبراهيم وعيسى عليهما السلام لم يَجْزِمَا في الدعاء لعصاة أممهما، ولم يُجْهدا أنفسهما في ذلك، ولم يكن عندهما من فرْط الشفقة ما كان ينبغي لهم . ألا ترى أنهما في الآيتين كأنّهما تبرءا من عصاة أممهما، ولما فهم نبينا ﷺ ذلك انبعث بحكم ما يجده من شدة شفقته ورأفته وكثرة حرصه على نجاة أمته، وبحكم ما وهبه الله سبحانه وتعالى من رفعة مقامه على غيره، جازمًا في الدعاء مجتهدًا لهم فيه متضرعًا باكيا مُلحًّا يقول : "**أمتي أمتي** "، فِعْلَ الْمُحِبِّ الْمُسْتَهْتِرِ لمحبوبه الحريص على ما يرضيه، الشفيق عليه، اللطيف به، ثم لم يزل كذلك حتى أجابه الله فيهم وبشّره بما يسرّه من مآل حالهم، حيث قال له سبحانه وتعالى :" **إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ** "، وهو معنى=

www.saida-islam.weebly.com

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ :" اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي[١]". وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ :" يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ – وَرَبُّكَ أَعْلَمُ– فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ". فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ – وَهُوَ أَعْلَمُ – فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلاَ نَسُوءُكَ "[٢] .

*****

=قوله ﷻ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾. وقد قال بعض العلماء : واللهِ ما يرضى محمد وأحدٌ من أمته في النار. وهذا كلّه يدلّ على أنّ الله ﷻ خصّ نبينا ﷺ من كرم الخُلق ومن طيب النفس ومن مقام الفتوة بما لم يختص به أحدٌ غيره، وإليه الإشارة بقوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، وبقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، فصلى الله عليه أفضل ما صلى على أحدٍ من خليقته، وجازاه عنّا أفضل ما جازى نبيًّا عن أمته . وأَمْرُ اللهِ ﷻ لجبريل بأن يسأل نبينا عليهما السلام عن سبب بكائه؛ لِيَعلَمَ جبريلُ تمكُّنَ نبيِّنا ﷺ في مقام الفتوة وغاية اعتنائه بأمته. «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي» (٤٠١/١) .

(١) قوله :" **أمتي أمتي** ". متعلق بمحذوف، إما أن يقدر شفعني في أمتي، وأرضني فيها، أو أمتي ارحمهم، وأرضني بالشفاعة فيهم، والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام، والتكرير لمزيد التقرير، وأنه من مستحبات الدعاء، فإن الإلحاح من العبد في المسألة لا ينافي الرضا بالقضاء، بل هو أدعى للقبول لما فيه من بيان كمال الافتقار «مرقاة المفاتيح» بتصرف .

(٢) رواه مسلم برقم (٥٢٠) . وقال النووي رحمه الله : هَذَا الْحَدِيث مُشْتَمِل عَلَى أَنْوَاع مِنْ الْفَوَائِد مِنْهَا : بَيَان كَمَال شَفَقَة النَّبِيّ ﷺ عَلَى أُمَّته، وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَاهْتِمَامه بِأَمْرِهِمْ، وَمِنْهَا : اسْتِحْبَاب رَفْع الْيَدَيْنِ فِي الدُّعَاء، وَمِنْهَا : الْبِشَارَة الْعَظِيمَة لِهَذِهِ الأُمَّة – زَادَهَا اللَّه ﷻ شَرَفًا – بِمَا وَعَدَهَا اللَّه ﷻ بِقَوْلِهِ :" **سَنُرْضِيك فِي أُمَّتك وَلا نَسُوءك**". وَهَذَا مِنْ أَرْجَى الأَحَادِيث لِهَذِهِ الأُمَّة أَوْ أَرْجَاهَا، وَمِنْهَا: بَيَان عِظَم مَنْزِلَة النَّبِيّ ﷺ عِنْد اللَّه ﷻ، وَعَظِيم لُطْفه سُبْحَانه بِهِ ﷺ، وَالْحِكْمَة فِي إِرْسَال جِبْرِيل لِسُؤَالِهِ ﷺ إِظْهَار شَرَف النَّبِيّ ﷺ، وَأَنَّهُ بِالْمَحِلِّ الأَعْلَى فَيُسْتَرْضَى وَيُكْرَم بِمَا يُرْضِيه؛ وَاَللَّه أَعْلَم. وَهَذَا الْحَدِيث مُوَافِق لِقَوْلِ اللَّه ﷻ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾. وَأَمَّا قَوْله ﷻ: "**وَلا نَسُوءك** "، فَقَالَ صَاحِب التَّحْرِير : هُوَ تَأْكِيد لِلْمَعْنَى أَيْ : لا نُحْزِنك؛ لأَنَّ الإِرْضَاء قَدْ يَحْصُل فِي حَقّ الْبَعْض بِالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَيَدْخُل الْبَاقِي النَّار فَقَالَ ﷻ : نُرْضِيك وَلا نُدْخِل عَلَيْك حُزْنًا بَلْ نُنَجِّي الْجَمِيع . وَاَللَّه أَعْلَم «شرح مسلم للنووي» (٧٨/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثالث

رَحْمَتُهُ ﷺ بِاغْتِنَامِ أَفْضَلِ الأَوْقَاتِ وَالأَحْوَالِ بِالدُّعَاءِ لِأُمَّتِهِ بِالمَغْفِرَةِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ : **كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ**(١)، **ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاَةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَءَا، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا**(٢)، **فَسُقِطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلاَ إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ**(٣)، **فَلَمَّا رَأَى**

---

(١) هذا الإنكار لأجل مخالفتها ما أقرأه عليه رسول الله ﷺ؛ كما جاء في صحيح البخاري (٧٥٥٠) ومسلم (٨١٨) عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ:" **أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ** "، فَقَرَأَ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ** "، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اقْرَأْ يَا عُمَرُ** "، فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ :" **كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ** ".

(٢) جاء عِنْدَ الطَّبَرِيِّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ بَيْنه وَبَيْن ابن مَسْعُودٍ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ** ". قَالَ أُبَيٌّ : فَقُلْتُ : مَا كِلَانَا أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ . قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي .. الْحَدِيثَ . وَبَيَّنَ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ أُبَيٍّ الْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ ذَلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَفْظُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ** .. الْحَدِيثَ. وَبَيَّنَ الطَّبَرِيُّ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ أَنَّ السُّورَةَ الْمَذْكُورَةَ سُورَةُ النَّحْلِ .

(٣) مَعْنَاهُ وَسْوَسَ لِيَ الشَّيْطَانُ تَكْذِيبًا لِلنُّبُوَّةِ أَشَدَّ مِمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، لِأَنَّهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ غَافِلًا أَوْ مُتَشَكِّكًا، فَوَسْوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ الْجَزْمَ بِالتَّكْذِيبِ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : مَعْنَى قَوْلِهِ «سُقِطَ فِي نَفْسِي» أَنَّهُ اعْتَرَتْهُ حَيرَةٌ وَدَهْشَةٌ. قَالَ : وَقَوْلُهُ: «وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ» مَعْنَاهُ : أَنَّ الشَّيْطَانَ نَزَغَ فِي نَفْسِهِ تَكْذِيبًا لَمْ يَعْتَقِدْهُ. قَالَ : وَهَذِهِ الْخَوَاطِرُ إِذَا لَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَيْهَا لَا يُؤَاخَذُ بِهَا. «شرح مسلم للنووي» (١٠٣/٦) . وَعِنْدَ الطَّبَرِيِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ : فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ، حَتَّى احْمَرَّ وَجْهِي، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اخْسَأْ عَنْهُ الشَّيْطَانَ** ".

www.saida-islam.weebly.com

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي[١]، فَفِضْتُ عَرَقًا، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَرَقًا، فَقَالَ لِي :" يَا أُبَيُّ، أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَإِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ[٢]، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي [٣]. فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ . فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي . فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ[٤] اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا[٥] . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي . وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ " [٦] .

---

(١) قَالَ الْقَاضِي عياض : ضَرَبَهُ ﷺ فِي صَدْرِهِ تَنَبُّهًا لَهُ حِينَ رَآهُ قَدْ غَشِيَهُ ذَلِكَ الْخَاطِرُ الْمَذْمُومُ .

(٢) هَذا الْحَدِيثُ وغيره يقَوِّي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَحْرُفِ اللُّغَاتُ أَوِ الْقِرَاءَاتُ، أَيْ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعِ لُغَاتٍ أَوْ قِرَاءَاتٍ، وَالْأَحْرُفُ جَمْعُ حَرْفٍ، مِثْلَ فَلْسٍ وَأَفْلُسٍ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ الْمَعْنَى عَلَى سَبْعَةِ أَوْجُهٍ مِنَ اللُّغَاتِ، لِأَنَّ أَحَدَ مَعَانِيَ الْحَرْفِ فِي اللُّغَةِ الْوَجْهُ، كَقَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ ﴾. وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ إِطْلَاقِ الْحَرْفِ على الْكَلِمَة مجَازًا لكَونه بَعْضهَا . فتح الباري (٩/٢٤-٢٥) .

(٣) وفي رواية لمسلم أنه قال :" **أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ** ". وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ:" **يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمُ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ** "..الْحَدِيثَ . وفي الحديث بيان رحمته ﷺ بأمته بالشفاعة لها عند ربها أن يخفف عنها في التكليف .

(٤) وجاء في رواية أخرى أَنِ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفٍ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ عَلَى حَرْفَيْنِ، وَفِي الثَّالِثَةِ عَلَى ثَلَاثَةٍ، وَفِي الرَّابِعَةِ عَلَى سَبْعَةٍ؛ فيكون قَوْلُهُ فِي هذه الرِّوَايَةِ : فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ؛ الْمُرَادُ بِالثَّالِثَةِ الْأَخِيرَةُ، وَهِيَ الرَّابِعَةُ، فَسَمَّاهَا ثَالِثَةً مَجَازًا؛ وَحَمَلْنَا عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ تَصْرِيحُهُ فِي الرِّوَايَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْأَحْرُفَ السَّبْعَةَ إِنَّمَا كَانَتْ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ، وَهِيَ الْأَخِيرَةُ، وَيَكُونُ قَدْ حَذَفَ فِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى بَعْضَ الْمَرَّاتِ . «شرح مسلم للنووي» (٦/١٠٣) .

(٥) مَعْنَاهُ : مَسْأَلَةٌ مُجَابَةٌ قَطْعًا، وَأَمَّا بَاقِي الدَّعَوَاتِ فَمَرْجُوَّةٌ، لَيْسَتْ قَطْعِيَّةَ الْإِجَابَةِ .

(٦) رواه مسلم برقم (٨٢٠) واللفظ له، ورواه البخاري برقم (٣٢١٩) . ومن رحمته ﷺ بأمته بشفاعته لهم عند الله ﷻ بما يصلحهم في دينهم ودنياهم وعاقبة أمرهم، ما أخرجه أبو داوود في سننه (٢٧٧٥) عَنْ سَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَا، نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلاً ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَدَعَا اللَّهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلاً، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، قَالَ: "**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا شُكْرًا لِرَبِّي، ثُمَّ رَفَعْتُ**=

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طِيبَ نَفْسٍ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي . قَالَ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ** ". فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ، فَقَالَ :" **أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟**" فَقَالَتْ : وَمَا لِي لا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ ؟ فَقَالَ :" **وَاللهِ إِنَّهَا لَدُعَائِي لأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلاةٍ** " (١) .

=رَأْسِي، **فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي** ". وأخرج أحمد في مسنده (١٦٢٠٧) وابن ماجه في سننه (٣٠١٣) وأبو داوود مختصراً (٥٢٣٤) عن الْعَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ لِأُمَّتِهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ فَأَكْثَرَ الدُّعَاءَ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ قَدْ فَعَلْتُ وَغَفَرْتُ لِأُمَّتِكَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ فَقَالَ := ="**يَا رَبِّ إِنَّكَ قَادِرٌ أَنْ تَغْفِرَ لِلظَّالِمِ وَتُثِيبَ الْمَظْلُومَ خَيْرًا مِنْ مَظْلَمَتِهِ** ". فَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ إِلَّا ذَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا غَدَاةَ الْمُزْدَلِفَةِ، فَعَادَ يَدْعُو لِأُمَّتِهِ، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تَبَسَّمَ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ضَحِكْتَ فِي سَاعَةٍ لَمْ تَكُنْ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا أَضْحَكَكَ ؟ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ . قَالَ : "**تَبَسَّمْتُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ إِبْلِيسَ حِينَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اسْتَجَابَ لِي فِي أُمَّتِي، وَغَفَرَ لِلظَّالِمِ، أَهْوَى يَدْعُو بِالثُّبُورِ وَالْوَيْلِ، وَيَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، فَتَبَسَّمْتُ مِمَّا يَصْنَعُ جَزَعُهُ** ". قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ : وهذا الحديث له شواهد كثيرة، وقد ذكرناها في كتاب البعث، فإن صحَّ بشواهده ففيه الحجة، وإن لم يصح فقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾؛ وظلم بعضهم بعضاً دون الشرك . وقد بسط الحافظ ابن حجر الكلام على هذا الحديث في رسالة وضعها لجمع طرقه، سماها «قوة الحِجاج في عموم المغفرة للحُجَّاج»؛ وردَّ حكم ابن الجوزي عليه بالوضع في «القول المسدد» وذكر أن الحديث رواه ابن ماجه والطبراني، وأبو داود في سننه وسكت عليه، فهو صالح عنده. وأخرج مسلم (٢٨٩٠) عن سَعْد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ :" **سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا** ".

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٧١١١) وقال الهيثمي في المجمع : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة . في الحديث بيان كمال رحمته ﷺ بأمته، باغتنام أقرب أحواله من الله عَزَّ وَجَلَّ بالدعاء لأمته بالمغفرة والرحمة، فهو أرحم بهم من أنفسهم .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالنَّاسِ بِسَعْيِهِ الحَثِيثِ لِإِنْقَاذِهِمْ مِنَ التَّهْلُكَةِ بِدَعْوَتِهِم إِلَى اللهِ، وَتَأَسُّفِهِ عَلَى عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، وَبَيَانُ حَالِ النَّاسِ مِنْ دَعْوَتِهِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ أَيَّتُهَا الأُمَّةُ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ[١] نَارًا بِلَيْلٍ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهَا هَذِهِ الْفَرَاشُ وَالدَّوَابُّ الَّتِي تَغْشَى النَّارَ، فَجَعَلَ يَذُبُّهَا وَتَغْلِبُهُ إِلَّا تَقَحُّمًا[٢] فِي النَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٣]، أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَتَغْلِبُونِي إِلاَّ تَقَحُّمًا فِي النَّارِ** "[٤] .

---

(١) أَيْ أَوْقَدَهَا، وَالسِّينُ وَالتَّاءُ زَائِدَتَانِ .

(٢) هو الإِقْدَامُ وَالْوُقُوعُ فِي الأُمُورِ الشَّاقَّةِ مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ وَلا تَرَوٍّ .

(٣) جَمْعُ حُجْزَةٍ بِضَمِّ الْحَاءِ وَإِسْكَانِ الْجِيمِ، وَهِيَ مَعْقِدُ الْإِزَارِ وَالسَّرَاوِيلِ؛ يُقَالُ : تَحَاجَزَ الْقَوْمُ أَخَذَ بَعْضُهُمْ بِحُجْزَةِ بَعْضٍ، وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ إِمْسَاكَ مَنْ يَخَافُ سُقُوطَهُ أَخَذَهُ بِذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنْهُ . «شرح مسلم للنووي» (١٥/٥٠) .

(٤) رواه البخاري برقم (٣٤٢٦) (٦٤٨٣) ومسلم برقم (٦٠٩٥) (٦٠٩٧) . قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في «شرح صحيح مسلم» (١٥/٥٠) : مَقْصُودُ الْحَدِيث أَنَّهُ ﷺ شَبَّهَ تَسَاقُط الْجَاهِلِينَ وَالْمُخَالِفِينَ بِمَعَاصِيهِمْ وَشَهَوَاتهمْ فِي نَار الآخِرَة، وَحِرْصهمْ عَلَى الْوُقُوع فِي ذَلِكَ، مَعَ مَنْعه إِيَّاهُمْ، وَقَبْضه عَلَى مَوَاضِع الْمَنْع مِنْهُمْ، بِتَسَاقُطِ الْفِرَاش فِي نَار الدُّنْيَا، لِهَوَاهُ، وَضَعْف تَمْيِيزه، وَكِلاهُمَا حَرِيصٌ عَلَى هَلاكِ نَفْسه، سَاعٍ فِي ذَلِكَ لِجَهْلِهِ . وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (١١/٣١٨) : وَحَاصِله أَنَّهُ شَبَّهَ تَهَافُت أَصْحَاب الشَّهَوَات فِي المعَاصِي الَّتِي تَكُون سَبَبًا فِي الْوُقُوع فِي النَّار بِتَهَافُتِ الْفَرَاش بِالْوُقُوعِ فِي النَّار اتِّبَاعًا لِشَهَوَاتِهَا، وَشَبَّهَ ذَبَّهُ الْعُصَاة عَن الْمَعَاصِي بِمَا حَذَّرَهُمْ بِهِ وَأَنْذَرَهُمْ بِذَبِّ صَاحِب النَّار الْفَرَاش عَنْهَا. وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: هُوَ مَثَلٌ لاجْتِهَادِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي نَجَاتِنَا وَحِرْصِهِ عَلَى تَخْلِيصِنَا مِنَ الْمُهْلِكَاتِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا لِجَهْلِنَا بِقَدْرِ ذَلِكَ وَغَلَبَةِ شَهَوَاتِنَا عَلَيْنَا . وَقَالَ

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ : رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ(١)، فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ(٢)، فَأَطَاعَتْهُ طَائِفَةٌ، فَأَدْلَجُوا(٣) عَلَى مَهْلِهِمْ، فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَاجْتَاحَهُمْ(٤)**"(٥) .

الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ كما في «طرح التثريب» (٨/٢٢٤) : هَذَا مَثَلٌ غَرِيبٌ كَثِيرُ الْمَعَانِي، الْمَقْصُودُ مِنْهُ أَنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلاً لِجَهَنَّمَ وَمَا رُكِّبَ مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُسْتَدْعِيَةِ لَهَا الْمُقْتَضِيَةِ= =لِلدُّخُولِ فِيهَا وَمَا نَهَى عَنْهَا وَتَوَعَّدَ عَلَيْهَا وَأَنْذَرَهَا وَذَكَرَ ذَلِكَ فِيهَا، ثُمَّ تَغْلِبُ الشَّهَوَاتُ عَلَى التَّقَحُّمِ بِاسْمِ أَنَّهَا مَصَالِحُ وَمَنَافِعُ وَهِيَ نُكْتَةُ الأَمْثَالِ، فَإِنَّ الْخَلْقَ لا يَأْتُونَ ذَلِكَ عَلَى قَصْدِ الْهَلَكَةِ، وَإِنَّمَا يَأْتُونَ بِاسْمِ النَّجَاةِ وَالْمَنْفَعَةِ كَالْفَرَاشِ يَقْتَحِمُ الضِّيَاءَ لَيْسَ لِتَهْلِكَ فِيهِ، وَلَكِنَّهَا تَأْنَسُ بِهِ وَهِيَ لا تَصْبِرُ بِحَالٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهَا فِي ظُلْمَةٍ فَتَعْتَقِدُ أَنَّ الضِّيَاءَ كُوَّةٌ فَتَسْتَطْهِرُ فِيهَا النُّورَ فَتَقْصِدُهَا لأَجَلِ ذَلِكَ فَتَحْتَرِقُ وَهِيَ لا تَشْعُرُ، وَذَلِكَ هُوَ الْغَالِبُ مِنْ أَحْوَالِ الْخَلْقِ أَوْ كُلُّهُ .

(١) قَالَ الْعُلَمَاء : أَصْله أَنَّ الرَّجُل إِذَا أَرَادَ إِنْذَار قَوْمه وَإِعْلامَهمْ بِمَا يُوجِبُ الْمَخَافَة نَزَعَ ثَوْبه، وَأَشَارَ بِهِ إِلَيْهِمْ إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُمْ لِيُخْبِرهُمْ بِمَا دَهَمَهُمْ، وَأَكْثَرُ مَا يَفْعَلُ هَذَا رَبِيئَةُ الْقَوْم، وَهُوَ طَلِيعَتُهمْ وَرَقِيبُهمْ. قَالُوا : وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَنَّهُ أَبْيَنُ لِلنَّاظِرِ، وَأَغْرَبُ وَأَشْنَعُ مَنْظَرًا، فَهُوَ أَبْلَغُ فِي اسْتِحْثَاثِهِمْ فِي التَّأَهُّب لِلْعَدُوِّ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ أَنَا النَّذِير الَّذِي أَدْرَكَنِي جَيْشُ الْعَدُوّ، فَأَخَذَ ثِيَابِي، فَأَنَا أُنْذِرُكُمْ عُرْيَانًا . «شرح مسلم للنووي» (٧/٤٨٤) .

(٢) مَمْدُود، أَيْ أُنْجُوا النَّجَاءَ أَو اطْلُبُوا النَّجَاء . قَالَ الْقَاضِي : الْمَعْرُوف فِي النَّجَاء إِذَا أُفْرِدَ الْمَدّ، وَحَكَى أَبُو زَيْد فِيهِ الْقَصْر أَيْضًا، فَإِذَا مَا كَرَّرُوهُ فَقَالُوا : النَّجَاء النَّجَاء، فَفِيهِ الْمَدّ وَالْقَصْر مَعًا «المصدر السابق» .

(٣) مَعْنَاهُ سَارُوا مِنْ أَوَّل اللَّيْل . يُقَال : أَدْلَجْت بِإِسْكَانِ الدَّال إِدْلَاجًا كَأَكْرَمْت إِكْرَامًا، وَالاسْم الدَّلْجَة بِفَتْحِ الدَّال . فَإِنْ خَرَجْت مِنْ آخِر اللَّيْل قُلْت : ادَّلَجْت بِتَشْدِيدِ الدَّال أَدْلِجُ ادِّلَاجًا بِالتَّشْدِيدِ أَيْضًا . وَالاسْم الدُّلْجَة بِضَمِّ الدَّال . قَالَ ابْن قُتَيْبَة وَغَيْره : وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ الْوَجْهَيْنِ فِي كُلّ وَاحِد مِنْهُمَا . «المصدر السابق».

(٤) أَي اسْتَأْصَلَهُمْ « المصدر السابق».

(٥) رواه البخاري برقم (٦٤٨٢) (٧٢٨٣) ومسلم (٦٠٩٤) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ مَلَكَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَالآخَرُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيْهِ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِهِ : اضْرِبْ مَثَلَ هَذَا وَمَثَلَ أُمَّتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ مَثَلَهُ وَمَثَلَ أُمَّتِهِ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ، انْتَهَوْا إِلَى رَأْسِ مَفَازَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ مِنَ الزَّادِ مَا يَقْطَعُونَ بِهِ الْمَفَازَةَ، وَلا مَا يَرْجِعُونَ بِهِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ حِبَرَةٍ، فَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً وَحِيَاضًا رَوَاءً، أَتَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا : نَعَمْ، قَالَ : فَانْطَلَقَ بِهِمْ، فَأَوْرَدَهُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً وَحِيَاضًا رَوَاءً، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا وَسَمِنُوا، فَقَالَ لَهُمْ : أَلَمْ أَلْقَكُمْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَجَعَلْتُمْ لِي إِنْ وَرَدْتُ بِكُمْ رِيَاضًا مُعْشِبَةً، وَحِيَاضًا رَوَاءً أَنْ تَتَّبِعُونِي؟ فَقَالُوا : بَلَى، قَالَ : فَإِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ رِيَاضًا أَعْشَبَ مِنْ هَذِهِ، وَحِيَاضًا هِيَ أَرْوَى مِنْ هَذِهِ فَاتَّبِعُونِي، قَالَ : فَقَالَتْ طَائِفَةٌ : صَدَقَ وَاللهِ، لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : قَدْ رَضِينَا بِهَذَا نُقِيمُ عَلَيْهِ " [١] .

*****

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤٠٢) والطبراني في الكبير (١٢٩٤٠) وقال الهيثمي في المجمع : وإسناده حسن .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالتَّأَنِّي فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ وَالرِّضَا بِفَتْحِ بَابِ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ مَعَ اسْتِعْجَالِهِمْ أَسْبَابَ العَذَابِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ : ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَجْعَلْ لَنَا الصَّفَا ذَهَباً، فَإِنْ أَصْبَحَ ذَهَباً اتَّبَعْنَاكَ . فَدَعَا رَبَّهُ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ :" **إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ : إِنْ شِئْتَ أُصْبِحُ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَباً، فَمَنْ كَفَرَ مِنْهُم عَذَّبْتُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، وإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ** ". قَالَ :" **بَلْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ**"[(١)]. وفي رِوَايَةٍ : فَقِيلَ لَهُ :" **إِنْ شِئْتَ أَنْ نَسْتَأْنِيَ بِهِمْ، وإِنْ شِئْتَ نُؤْتِيهِمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا هَلَكُوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ قَبْلَهُمْ ؟**" قَالَ :" **بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ** ". وأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ الآيَةَ : ﴿**وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَا**[(٢)]﴾ [الإسراء:٥٩] [(٣)] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٧٣٦) وقال الهيثمي في المجمع والمنذري في الترغيب : رجاله رجال الصحيح .

(٢) يَقُولُ اللهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ الكَرِيمِ : إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ إِلَى قُرَيْشٍ مَا سَأَلُوهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ سَهْلٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، وَلَكِنَّ الذِي مَنَعَهُ مِنْ إِرْسَالِ الآيَاتِ التِي سَأَلُوهَا هُوَ تَكْذِيبُ الأَوَّلِينَ بِمِثْلِهَا، بَعْدَ أَنْ سَأَلُوهَا وَجَائَتْهُمْ، فَإِذَا أَرْسَلَهَا اللهُ إِلَى قُرَيْشٍ، وَكَذَّبُوا بِهَا عُوجِلُوا بِالعَذَابِ، وَلَمْ يُمْهَلُوا؛ وَقَدْ سَأَلَتْ ثَمُودُ نَبِيَّهَا صَالِحاً أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ نَاقَةَ عُشَرَاءَ، فَدَعَا اللهُ، فَأَخْرَجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ جَعَلَ اللهُ هَذِهِ النَّاقَةَ حُجَّةً وَاضِحَةً، وَدَلالَةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ، وَعَلامَةً عَلَى صِدْقِ رِسَالَةِ رَسُولِهِ صَالِحٍ، فَكَفَرَتْ ثَمُودُ بِالنَّاقَةِ، وَمَنَعُوهَا شُرْبَهَا، وَقَتَلُوهَا، فَأَبَادَهُمُ اللهُ عَنْ أَخِرِهِمْ . «تفسير الطبري» (٩/١٣٣) و«تفسير ابن كثير» (٣/٦١) .

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٢٧٣٦) وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح . وذكر ابن جرير الطبري في تفسيره تسمية الذين ناظروا رسول الله ﷺ بذلك منهم، والسبب الذي من أجله ناظروه به، فأخرج بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَرَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَبَا الْبَخْتَرِيِّ أَخَا بَنِي أَسَدٍ، وَالْأَسْوَدَ بْنَ الْمُطَّلِبِ، وَزَمْعَةَ بْنَ الْأَسْوَدِ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، وَالْعَاصَ=

www.saida-islam.weebly.com

=ابْنَ وَائِلٍ، وَنُبَيْهًا وَمُنَبِّهًا ابْنَيِ الْحَجَّاجِ السَّهْمِيَّيْنِ اجْتَمَعُوا، أَوْ مَنِ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ، بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ : إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا إِلَيْكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ بَدَا لَهُمْ فِي أَمْرِهِ بَدَاءٌ، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا، يُحِبُّ رُشْدَهُمْ وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُعْذِرَ فِيكَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْآبَاءَ، وَعِبْتَ الدِّينَ، وَسَفَّهْتَ الْأَحْلَامَ، وَشَتَمْتَ الْآلِهَةَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَةَ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا وَقَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ مَالًا، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشُّرَفَ فِينَا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ يَأْتِيكَ بِمَا يَأْتِيكَ بِهِ رِئْيًا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ – وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الْجِنِّ : الرِّئْيَ –، فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ، بَذَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبَرِّئَكَ مِنْهُ، أَوْ نُعْذِرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا مَا عَرَضْنَا عَلَيْكَ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَضْيَقَ بِلَادًا، وَلَا أَقَلَّ مَالًا، وَلَا أَشَدَ عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ، فَلْيُسَيِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ ضُيِّقَتْ عَلَيْنَا، وَيَبْسُطْ لَنَا بِلَادَنَا، وَلْيُفَجِّرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِيمَنْ يَبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا صَدُوقًا، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ، حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ ؟ فَإِنْ صَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ، وَصَدَّقْنَاكَ صَدَّقْنَاكَ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ بِالْحَقِّ رَسُولًا، كَمَا تَقُولُ . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **وَمَا بِهَذَا بُعِثْتُ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". قَالُوا : فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَنَا هَذَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيُرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَاسْأَلْهُ فَلْيَجْعَلْ لَكَ جِنَانًا وَكُنُوزًا وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَيُغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، مَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ** ". قَالُوا : فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسَفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ** ". فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، فَمَا عَلِمَ رَبِّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ،

www.saida-islam.weebly.com

وعن الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ﷺ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ :" يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ، إِنِّي نَذِيرٌ ". فَجَاءَتْهُ قُرَيْشٌ، فَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ، فَقَالُوا : تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيٌّ يُوحَى إِلَيْكَ، وَأَنَّ سُلَيْمَانَ سُخِّرَ لَهُ الرِّيحُ وَالْجِبَالُ، وَأَنَّ مُوسَى سُخِّرَ لَهُ الْبَحْرُ، وَأَنَّ عِيسَى كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى ؟ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُسَيِّرَ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ، وَيُفَجِّرَ لَنَا الْأَرْضَ أَنْهَارًا، فَنَتَّخِذَهَا مَحَارِثَ فَنَزْرَعَ وَنَأْكُلَ، وَإِلَّا فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَ لَنَا مَوْتَانَا فَنُكَلِّمَهُمْ وَيُكَلِّمُونَا، وَإِلَّا فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُصَيِّرَ هَذِهِ الصَّخْرَةَ الَّتِي تَحْتَكَ ذَهَبًا فَنَنْحَتَ مِنْهَا وَيُغْنِينَا عَنْ رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَإِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ كَهَيْئَتِهِمْ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَهُ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْهُ قَالَ :" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ أَعْطَانِي مَا

وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ، فَيَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ، وَيُعَلِّمُكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ، وَيُخْبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا إِذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ، فَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا، أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، أَمَا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتَّى نُهْلِكَكَ أَوْ تُهْلِكَنَا. وَقَالَ قَائِلُهُمْ : نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهُنَّ بَنَاتُ اللَّهِ، وَقَالَ قَائِلُهُمْ : لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا . فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ هُوَ لِعَاتِكَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُحَمَّدُ عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ تَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لِأَنْفُسِهِمْ أُمُورًا، لِيَعْرِفُوا مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجِّلَ مَا تُخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَوَاللَّهِ لَا أُومِنُ لَكَ أَبَدًا، حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّمًا تَرْقَى فِيهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَتَأْتِيَ مَعَكَ بِنُسْخَةٍ مَنْشُورَةٍ مَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَظَنَنْتُ أَلَّا أُصَدِّقَكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ حَزِينًا أَسِيفًا لِمَا فَاتَهُ مِمَّا كَانَ يَطْمَعُ فِيهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَوْهُ، وَلِمَا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَلَمَّا قَامَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ أَبَى إِلَّا مَا تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنَا، وَشَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ أَحْلَامِنَا، وَسَبِّ آلِهَتِنَا، وَإِنِّي أُعَاهِدُ اللَّهَ لَأَجْلِسَنَّ لَهُ غَدًا بِحَجَرٍ قَدْرَ مَا أُطِيقُ حَمْلَهُ، فَإِذَا سَجَدَ فِي صَلَاتِهِ فَضَخْتُ رَأْسَهُ بِهِ . أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٧٢١) وانظر تفسير «ابن كثير» (٣/٧٩ - ٨٠).

وقال ابن كثير في تفسيره : وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له، لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيبوا إليه، ولكن علم أنهم إنما يطالبون ذلك كفراً وعناداً له، فقيل لرسول الله ﷺ : **إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْنَاهُم مَا سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا عَذَّبْتُهُم عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ، وإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ عَلَيهِم بَابَ التَّوبَةِ وَالرَّحْمَةِ** ؟ فَقَالَ :" **بَلْ تَفْتَحُ عَلَيهِمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ** ".

www.saida-islam.weebly.com

سَأَلْتُمْ، وَلَوْ شِئْتُ لَكَانَ، وَلَكِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ الرَّحْمَةِ، فَيُؤْمِنَ مُؤْمِنُكُمْ، وَبَيْنَ أَنْ يَكِلَكُمْ إِلَى مَا اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَتَضِلُّوا عَنْ بَابِ الرَّحْمَةِ، وَلَا يُؤْمِنَ مُؤْمِنُكُمْ، فَاخْتَرْتُ بَابَ الرَّحْمَةِ، فَيُؤْمِنُ مُؤْمِنُكُمْ، وَأَخْبَرَنِي : إِنْ أَعْطَاكُمْ ذَلِكَ ثُمَّ كَفَرْتُمْ، أَنَّهُ مُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ". فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴾ [الإسراء : ٥٩]، حَتَّى قَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ، وَنَزَلَتْ : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ ﴾ الآية [الرعد : ٣١] (١) .

*****

(١) رواه أبو يعلى في مسنده برقم (٦٧٩) وقال الهيثمي في المجمع : رواه أبو يعلى من طريق عبد الجبار ابن عمر الأيلي عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم وكلاهما وُثِّقَ، وقد ضعَّفهما الجمهور. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره (٣/٨٠) : وَلِهَذَا قَالَ ﷻ : ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ ﴾ أَيْ: نَبْعَثَ الْآيَاتِ وَنَأْتِيَ بِهَا عَلَى مَا سَأَلَ قَوْمُكَ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَهْلٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ لَدَيْنَا، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ بَعْدَمَا سَأَلُوهَا، وَجَرَتْ سُنَّتُنَا فِيهِمْ وَفِي أَمْثَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْخَّرُونَ إِذَا كَذَّبُوا بِهَا بَعْدَ نُزُولِهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ فِي الْمَائِدَةِ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:١١٥]؛ وَقَالَ ﷻ عَنْ ثَمُودَ، حِينَ سَأَلُوا آيَةً : نَاقَةً تَخْرُجُ مِنْ صَخْرَةٍ عَيَّنُوهَا، فَدَعَا صَالِحٌ رَبَّهُ، فَأَخْرَجَ لَهُ مِنْهَا نَاقَةً عَلَى مَا سَأَلُوا ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ أَيْ : كَفَرُوا بِمَنْ خَلَقَهَا، وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ وَعَقَرُوا النَّاقَةَ فَقَالَ : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾[هود: ٦٥]؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ أَيْ: دَالَّةً عَلَى وَحْدَانِيَّةِ مَنْ خَلَقَهَا وَصِدْقِ الرَّسُولِ الَّذِي أُجِيبَ دُعَاؤُهُ فِيهَا ﴿ فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ أَيْ: كَفَرُوا بِهَا وَمَنَعُوهَا شِرْبَهَا وَقَتَلُوهَا، فَأَبَادَهُمُ اللَّهُ عَنْ آخِرِهِمْ، وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ، وَأَخَذَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ. وَكَذَلِكَ سَأَلَ قَوْمُ شُعَيْبٍ مِنْهُ فَقَالُوا : ﴿ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[الشعراء:١٨٧] . فَعَاقَبَهُمُ الرَّبُّ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ، إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. وَأَمَّا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ الْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَسَأَلَ إِنْظَارَهُمْ وَتَأْجِيلَهُمْ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. وَكَذَلِكَ وَقَعَ، فَإِنَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا مَنْ أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، حَتَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ الَّذِي تَبِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ لَهُ مَا قَالَ، أَسْلَمَ إِسْلَامًا تَامًّا، وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ ﷻ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الإِيْمَانِ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ :﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ [١] ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ :" يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا[٢]، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا[٣] " [٤] .

---

(١) قال ابن حجر : وَالسِّرّ فِي الأَمْر بِإِنْذَارِ الأَقْرَبِينَ أَوَّلاً أَنَّ الْحُجَّة إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِمْ تَعَدَّتْ إِلَى غَيْرهمْ، وَإِلاَّ فَكَانُوا عِلَّة لِلأَبْعَدِينَ فِي الامْتِنَاع، وَأَنْ لا يَأْخُذَهُ مَا يَأْخُذ الْقَرِيب لِلْقَرِيبِ مِنَ الْعَطْف وَالرَّأْفَة فَيُحَابِيهِمْ فِي الدَّعْوَة وَالتَّخْوِيف، فَلِذَلِكَ نَصَّ لَهُ عَلَى إِنْذَارهمْ .

(٢) الْمَعْنَى أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف:١٨٨]؛ وَهَذَا التَّوْحِيدُ عَلَى وِفْقِ التَّفْرِيدِ، وَهُوَ ﷺ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ بِالشَّفَاعَةِ حَيْثُ يَشْفَعُ وَيُشَفَّعُ، لَكِنْ أَطْلَقَهُ تَرْهِيبًا لَهُمْ عَلَى الِاتِّكَالِ عَلَيْهِ وَتَرْغِيبًا لَهُمْ عَلَى الِاجْتِهَادِ فِي أَمْرِ زَادَ الْمَعَادَ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ . «مرقاة المفاتيح» (٩/٥٥٩).

(٣) بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ وَيُفْتَحُ، أَيْ بِصِلَتِهَا وبالإِحْسَانِ إِلَيهَا، وَمُجْمَلُهُ أَنْ سَأَصِلُ تِلْكَ الْقَرَابَةَ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْأَقَارِبِ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَدَفْعِ الظُّلْمِ وَالضُّرِّ عَنْهُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَفِي النِّهَايَةِ : الْبِلَالُ جَمْعُ بَلَلٍ، وَالْعَرَبُ يُطْلِقُونَ النَّدَاوَةَ عَلَى الصِّلَةِ، كَمَا يُطْلَقُ الْيُبْسُ عَلَى الْقِطْعَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا أَنَّ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ يَتَّصِلُ بِالنَّدَاوَةِ، وَيَحْصُلُ بَيْنَهَا التَّجَافِي وَالتَّفَرُّقُ بِالْيُبْسِ اسْتَعَارُوا الْبَلَلَ لِمَعْنَى الْوَصْلِ، وَالْيُبْسَ لِمَعْنَى الْقِطْعَةِ، وَالْمَعْنَى : أَصِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا «المصدر السابق» .

(٤) رواه مسلم برقم (٥٢٧) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ عَنهُ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ :" يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ[١]، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا " [٢] .

وعَنْ قَبِيصَةَ بن مُخَارِقٍ الْهِلاَلِيِّ، وَزُهَيْرِ بنِ عَمْرٍو رَحِمَهُمُاللهُ قَالَا : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى ﷺ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤]، انْطَلَقَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَضْمَةٍ[٣] مِنْ جَبَلٍ، فَعَلا أَعْلاهَا حَجَرًا، ثُمَّ قَالَ :" يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ ! إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ[٤] أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ[٥] يَا صَبَاحَاهْ[٦]"[٧] .

---

(١) أَيْ بِاعْتِبَارِ تَخْلِيصهَا مِنَ النَّار، كَأَنَّهُ قَالَ : أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا مِنَ الْعَذَاب، فَكَانَ ذَلِكَ كَالشِّرَاءِ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الطَّاعَة ثَمَن النَّجَاة .

(٢) رواه البخاري برقم (٢٧٥٣) ومسلم برقم (٥٢٥) .

(٣) الرَّضْمَة : وَاحِدَةُ الرَّضْم وَالرِّضَام، وَهِيَ صُخُور عِظَام بَعْضهَا فَوْق بَعْض، وَقِيلَ هِيَ دُون الْهِضَاب، وَقَالَ صَاحِب الْعَيْن: الرَّضْمَة : حِجَارَةٌ مُجْتَمِعَةٌ لَيْسَتْ بِثَابِتَةٍ فِي الْأَرْض كَأَنَّهَا مَنْثُورَة .

(٤) عَلَى وَزْن يَقْرَأ، وَمَعْنَاهُ : يَحْفَظهُمْ وَيَتَطَلَّع لَهُمْ، وَيُقَال لِفَاعِلِ ذَلِكَ : (رَبِيئَة) وَهُوَ الْعَيْن وَالطَّلِيعَة الَّذِي يَنْظُر لِلْقَوْمِ لِئَلاَّ يَدْهَمَهُمْ الْعَدُوّ، وَلا يَكُون فِي الْغَالِب إِلاَّ عَلَى جَبَل أَوْ شَرَف أَوْ شَيْء مُرْتَفِع لِيَنْظُرَ إِلَى بُعْد.

(٥) أي يَصِيح وَيَصْرُخ .

(٦) هي كَلِمَةٌ يَعْتَادُونَهَا عِنْد وُقُوع أَمْر عَظِيم، فَيَقُولُونَهَا لِيَجْتَمِعُوا وَيَتَأَهَّبُوا لَهُ «شرح مسلم للنووي» . ولَمَّا كَانَت الغَارَةُ غَالباً تَكُونُ فِي الصَّباحِ خُصَّتْ بِهِ، ولَوْ كَانَ فِي الْمَسَاءِ أَيضاً، فهي كَلِمَةٌ تُقَالُ لإِنْذَارِ أَمْرٍ مَخُوفٍ، والْمَعْنَى : يا قَومِ احْذَرُوا الإِغَارَةَ بالذَّهَابِ قَبلَ مَجِيءِ العَدُوِّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ احْذَرُوا عِقَابَ اللهِ بِالإِيْمَانِ قَبلَ نُزُولِهِ. «مرقاة المفاتيح» (٩/٥٥٨).

(٧) رواه مسلم برقم (٥٢٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّابِعُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ بِتَكْرَارِ دَعْوَتِهِ وَشِدَّةِ الِاهْتِمَامِ بِهِدَايَتِهِ

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ : **لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ(١)، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(٢)، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنِ الْمُغِيرَةِ(٣)؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" يَا عَمِّ قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ". فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟! فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُ لَهُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ،**

---

(١) المراد قربت وفاته، وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لَما نفعه الإيْمان، ولقول الله ﷻ : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾؛ ويدل على أنه قبل المعاينة محاورته للنبي ﷺ ومع كفار قريش . «شرح مسلم للنووي» (١/٢١٤) .

(٢) هذا من كمال رحمته ﷺ واهتمامه بهداية الناس، لإنقاذهم من عذاب الله ﷻ، حيث يستمر في دعوتهم طوال حياتهم، ولا ييأس من هدايتهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم؛ ومن هذا ما أخرجه أحمد في مسنده (١٢٥٤٣) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **يَا خَالُ قُلْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ". فَقَالَ : أَوَخَالٌ أَنَا أَوْ عَمٌّ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" **لا بَلْ خَالٌ** ". فَقَالَ لَهُ: قَوْلُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ هُوَ خَيْرٌ لِي ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** ". قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح . وسيأتي عيادته ﷺ للغلام اليهودي عند مرضه ودعوته إياه وهدايته للإسلام وموته عليه.

(٣) هو أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب، وكان شديداً على المسلمين مخالفاً مبغضاً، وهو الذي قال: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية. وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ثم إنه خرج مهاجراً إلى النبي ﷺ، فلقيه بالطريق بين السقيا والعرج، وهو يريد مكة عام الفتح، فتلقاه فأعرض عنه رسول الله ﷺ مرة بعد مرة، فدخل على أخته وسألها أن تشفع له، فشفعت له أخته أم سلمة، وهي أخته لأبيه، فشَفَّعها رسول الله ﷺ، فأسلم وحسن إسلامه، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة مسلماً، وشهد حنيناً والطائف، ورُمِيَ يوم الطائف بسهم فقتله، ومات يومئذ . «الاستيعاب لابن عبد البر» (١/٢٦١) .

www.saida-islam.weebly.com

حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ : هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [(١)]، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" أَمَا وَاللَّهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ". فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]. وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[(٢)] [القصص:٥٩] [(٣)].

---

(١) هذا من أحسن الآداب والتصرفات، وهو أن من حكى قول غيره القبيح أتى به بضمير الغيبة لقبح صورة لفظه الواقع. «شرح مسلم للنووي» (١/٢١٤) .

(٢) يبين ﷻ في هذه الآية الكريمة أن الهدى والإضلال بيده وحده ﷻ، فمن هداه فلا مضل له، ومن أضلَّه فلا هادي له؛ وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جداً، كقوله ﷻ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٨]، وقوله ﷻ : ﴿ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل:٣٧]، وقوله ﷻ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]، فيتبين من هذا أن الهدى المنفي عنه ﷺ في قوله ﷻ هنا : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ ﴾، هو هدى التوفيق؛ لأن التوفيق بيد اللَّه وحده، وأن الهدى المثبت له ﷺ في قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى:٥٢]، هو هدى الدَّلالة على الحق والإرشاد إليه؛ فالهدى يأتي في القرآن الكريم بمعناه العام : وهو البيان والدلالة والإرشاد كما مرَّ، وكقوله ﷻ : ﴿ وَأَمَّا فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾، أي بينا لهم طريق الحق، وأمرناهم بسلوكها، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها على لسان نبينا صالح عليه السلام : ﴿ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾، أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم . كما يأتي الهدى بمعناه الخاص : وهو التوفيق والاصطفاء، كقوله ﷻ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]. وقوله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد:١٧]، وقوله ﷻ : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الكهف:١٧]؛ ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية؛ فعمُّه أبو طالب كان يحوطه وينصره ويقوم في صفه، ويحبه حبّاً شديداً طبعياً لا شرعياً، فلما حضرته الوفاة وحان أجله، دعاه رسول الله ﷺ إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه، فاستمرَّ على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة؛ ولو كان ﷺ قادراً عليها لهداه، ولكن الهداية بيد الله ﷻ . «تفسير ابن كثير» (٣/٤٧٨) و«أضواء البيان» (٦/١٥٣) .

(٣) رواه البخاري برقم (٤٧٧٢) ومسلم برقم (١٤١) .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ(١) دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ أَبُو جَهْلٍ؛ فَقَالُوا : يَا أَبَا طَالِبٍ، ابْنُ أَخِيكَ يَشْتُمُ آلِهَتَنَا، يَقُولُ وَيَقُولُ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ،

(١) اسم أبي طالب هو عبد مناف، وكان منيعاً عزيزاً في قريش، وكانت قريش تطعم فإذا أطعم لم يطعم يومئذٍ أحدٌ غيره . وقال لرسول الله ﷺ حين بُعِثَ : يا ابن أخي قم بأمرك، فلن يُوصَلَ إليك وأنا حيٌّ، فلم يزل يذبُّ عن رسول الله ﷺ ويناوئ قريشاً إلى أن مات؛ وسمع أبو طالب المشركين مرَّةً وهم يتوعدون باغتيال النَّبيِّ ﷺ، فدار على أندية قريش والفتيان معه، وقال : بلغني كذا وكذا، والله لو خدشتموه خدشاً ما أبقيت منكم أحداً إلاَّ أن أُقْتَلَ قبل ذلك. فاعْتَذَرُوا إليه، وقالوا : أنت سيدنا وأفضلنا في أنفسنا . وقال أبو طالب – وكان شاعراً – : **مَنَعْنَا الرَّسُولَ رَسُولَ المَلِيكِ ... بِبِيضٍ تَلَأْلَأُ مِثْلَ البُرُوقْ ... أَذُبُّ وأَحْمِي رَسُولَ الإِلَهِ ... حِمَايَةَ عَمٍّ عَلَيهِ شَفِيقْ** . وأخرج الطبراني في الأوسط (٨٥٥٣) والكبير (١٣٩٤٦) عَنْ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَأْتِينَا فِي أَفْنِيَتِنَا، وَفِي نَادِينَا، فَيُسْمِعُنَا مَا يُؤْذِينَا بِهِ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا فَافْعَلْ. فَقَالَ لِي: يَا عَقِيلُ، الْتَمِسْ لِي ابْنَ عَمِّكَ، فَأَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ مِنْ أَكْبَاسِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي مَعِي يَطْلُبُ الْفَيْءَ يَمْشِي فِيهِ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: يَا ابْنَ أَخِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنْ كُنْتَ لِي لَمُطَاعًا، وَقَدْ جَاءَ قَوْمُكَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَأْتِيهِمْ فِي كَعْبَتِهِمْ، وَفِي نَادِيهِمْ تُسْمِعُهُمْ مَا يُؤْذِيهِمْ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكُفَّ عَنْهُمْ. فَحَلَّقَ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ :" **وَاللَّهِ مَا أَنَا بِأَقْدَرَ أَنْ أَدَعَ مَا بُعِثْتُ بِهِ مِنْ أَنْ يُشْعِلَ أَحَدُكُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ شُعْلَةً مِنْ نَارٍ** ". فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللَّهِ مَا كَذَبَ ابْنُ أَخِي قَطُّ، ارْجِعُوا رَاشِدِينَ. قال الهيثمي : رواه الطبراني، وأبو يَعْلَى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يَعْلَى رجال الصحيح. وعند البيهقي، أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالَتْ لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جاءُونِي فَقَالُوا كَذَا وَكَذَا، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ أَنَا وَلَا أَنْتَ، فَاكْفُفْ عَنْ قَوْمِكَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ قَوْلِكَ، فَظَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ، وَأَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ وَضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَا عَمِّ لَوْ وُضِعَتِ الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِي طَلَبِهِ** ". ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَكَى، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لَهُ حِينَ رَأَى مَا بَلَغَ الْأَمْرُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا ابْنَ أَخِي! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ : امْضِ عَلَى أَمْرِكَ وَافْعَلْ مَا أحببت، فو الله لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا . ومات في السنة العاشرة من المبعث، وهو ابن بضع وثمانين سنة، ودفن بمكة في الحجون. وأخرج ابن إسحاق في سيرته (٢٢٣/٤) عن علي بن أبي طالب قال لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ=

www.saida-islam.weebly.com

فَأَرْسِلْ إِلَيْهِ فَانْهَهُ . قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، وَكَانَ قُرْبَ أَبِي طَالِبٍ مَوْضِعُ رَجُلٍ، فَخَشِيَ إِنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَمِّهِ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ؛ فَلَمَّا دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَجِدْ مَجْلِسًا إِلاَّ عِنْدَ الْبَابِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ : يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ، يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ(١)، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ . فَقَالَ :" يَا

=فَقُلتُ : إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَمَّكَ الكَافِرَ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**اذْهَبْ فَوَارِهِ** ". فَقُلْتُ : واللهِ لَا أُوَارِيْهِ . فَقَالَ :" **فَمَنْ يُوَارِيهِ إِنْ لَمْ تُوَارِهِ ؟ فَانْطَلِقْ فَوَارِهِ ثُمَّ لَا تُحْدِثْ شَيئاً حَتَّى تَأْتِيَنِي**". فَانْطَلَقْتُ فَوَارَيْتُهُ . وولد لأبي طالب طالبٌ وعقيلٌ وجعفرٌ وعليٌ وأمُ هانيء، واسمها فاختة، وجمانة . «أنساب الأشراف» (١/٢٥٩-٢٦٢) .

(١) أي تعيبها؛ والشتم هو الوصف بما يعيب وينقص؛ والنبي ﷺ كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذ كل ما يعبد من دون الله، ويقرأ عليهم القرآن الذي يبين أن هذه الآلهة المزعومة لا تملك لهم ضرّاً ولا نفعاً؛ كما في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩١ – ١٩٥]؛﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]؛﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]؛﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣]؛﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣]؛﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؛﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥]؛ وغير ذلك من الآيات؛ لذلك كانوا يستاؤون من هذه الدعوة، ويسعون جاهدين لإطفاء نورها، إما بالقوة، أو بالمجادلة بالحجج الداحضة؛ كما أخرج عبد ابن حُمَيد في مسنده (١١٢٣) وأبو يعلى في مسنده (١٨١٨) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالُوا : انْظُرُوا أَعْلَمَكُمْ بِالسِّحْرِ وَالْكَهَانَةِ، وَالشِّعْرِ، فَلْيَأْتِ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، فَلْيُكَلِّمْهُ وَلْيَنْظُرْ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالُوا: مَا=

www.saida-islam.weebly.com

=نَعْلَمُ أَحَدًا غَيْرَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالُوا : أَنْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، فَأَتَاهُ عُتْبَةُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ خَيْرٌ أَمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : فَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكَ فَقَدْ عَبَدُوا الْآلِهَةَ الَّتِي عِبْتَ، وَإِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ خَيْرٌ مِنْهُمْ فَتَكَلَّمْ حَتَّى نَسْمَعَ قَوْلَكَ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا سَخْلَةً قَطُّ أَشْأَمَ عَلَى قَوْمِكَ مِنْكَ، فَرَّقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعِبْتَ دِينَنَا، فَفَضَحْتَنَا فِي الْعَرَبِ، حَتَّى لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ أَنَّ فِي قُرَيْشٍ سَاحِرًا، وَأَنَّ فِي قُرَيْشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهِ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلَ صَيْحَةِ الْحُبْلَى بِأَنْ يَقُومَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ حَتَّى نَتَفَانَى؛ أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْحَاجَةُ جَمَعْنَا حَتَّى تَكُونَ أَغْنَى قُرَيْشٍ رَجُلًا، وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا بِكَ الْبَاءَةُ فَاخْتَرْ أَيَّ نِسَاءِ قُرَيْشٍ شِئْتَ فَنُزَوِّجُكَ عَشْرًا، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ :" **أَفَرَغْتَ** "، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾؛ إلى أنْ بلغ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[فصلت:١-١٣]؛ فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ حَسْبُكَ، مَا عِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قَالَ :" **لَا** "، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ شَيْئًا أَرَى أَنَّكُمْ تُكَلِّمُونَهُ بِهِ إِلَّا كَلَّمْتُهُ، قَالُوا : هَلْ أَجَابَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ، وَالَّذِي نَصَبَهَا بَنِيَّةً، مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: ﴿ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]، قَالُوا : وَيْلَكَ يُكَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْعَرَبِيَّةِ لَا تَدْرِي مَا قَالَ، قَالَ : لَا، وَاللَّهِ مَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِمَّا قَالَ غَيْرَ ذِكْرِ الصَّاعِقَةِ . وقد رواه البيهقي في الدلائل (٢/٣٠٢-٣٠٣) وغيره عن الحاكم وزاد : فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا بِكَ الرِّئَاسَةُ عَقَدْنَا أَلْوِيَتَنَا لَكَ، فَكُنْتَ رَأْسَنَا مَا بَقِيتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْبَاءَةُ زَوَّجْنَاكَ عَشْرَ نِسْوَةٍ تَخْتَارُ مِنْ أَيِّ أَبْيَاتِ قُرَيْشٍ شِئْتَ، وَإِنْ كَانَ بِكَ الْمَالُ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَسْتَغْنِي بِهَا أَنْتَ وَعَقِبُكَ مِنْ بَعْدِكَ، وَرَسُولُ الله ﷺ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ . وعنده : أنَّه لَمَّا قال : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ أَمْسَكَ عُتْبَةُ عَلَى فِيهِ وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَن يَكُفَّ عَنْهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللهِ مَا نَرَى عُتْبَةَ إِلَّا قَدْ صَبَا إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَهُ طَعَامُهُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ حَاجَةٍ أَصَابَتْهُ، انْطَلِقُوا بِنَا إِلَيْهِ فَأَتَوْهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاللهِ يَا عُتْبَةُ مَا حَسِبْنَا إِلَّا أَنَّكَ صَبَوْتَ إِلَى مُحَمَّدٍ وَأَعْجَبَكَ أَمْرُهُ فَإِنْ كَانَتْ بِكَ حَاجَةٌ جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا يُغْنِيكَ عَنْ طَعَامِ مُحَمَّدٍ. فَغَضِبَ وَأَقْسَمَ بِاللهِ لَا يُكَلِّمُ مُحَمَّدًا أَبَدًا. قَالَ: وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالًا وَلَكِنِّي أَتَيْتُهُ فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللهِ مَا هُوَ بِسِحْرٍ وَلَا شِعْرٍ وَلَا كَهَانَةٍ، قرأ : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ -حتى بلغ - ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾؛ فَأَمْسَكْتُ بِفِيهِ وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا إِذَا قَالَ شَيْئًا لَمْ يَكْذِبْ، فَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ . قال الهيثمي : وفيه الأجلحُ الكِندي وثَّقه=

www.saida-islam.weebly.com

عَمِّ إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ ". قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ نَعَمْ، وَأَبِيكَ عَشْرًا . قَالَ :" لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ". قَالَ : فَقَامُوا وَهُمْ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ[1]، وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، قال : ثُمَّ قَرَأَ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ ﴾[ص: ٨] [2] .

*****

=ابن مَعِين وغيره وضعفَّه النِّسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. وأخرج الحاكم في المستدرك (٣٨٧٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا عَمُّ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لَمْ؟ قَالَ: لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتُعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا. قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ، فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ. قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ، فَلَمَّا فَكَّرَ قَالَ : هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثُرُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ : ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ شُهُودًا ﴾ الآيات [المدثر:١١-١٣] . قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري؛ ووافقه الذهبي .

(١) كناية عن شدة إنكارهم ونفرتهم من التوحيد .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٤١٩) والنِّسائي في الكبرى بنحوه (٨٧٦٩) والترمذي في سننه (٣٢٣٢) وقال : حسن صحيح. ورواه البيهقي في سننه (١٨٤٢٨) والحاكم في المستدرك (٣٦١٧) بمعناه وقال : صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثامن

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَفْوِهِ عَمَّنْ آذَاهُ وَدُعَائِهُ لَهُ بِالمَغْفِرَةِ وَاعْتِذَارِهِ لَهُ عِنْدَ اللهِ

عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه **قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ**(١)**، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** (٢) .

---

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمْ أَقِف عَلَى اسْم هَذَا النَّبِيّ صَرِيحًا، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون نُوحاً عليه السلام، فَقَدْ ذَكَرَ ابْن إِسْحَاق فِي «الْمُبْتَدَأ» عَنْ عُبَيْد بْن عُمَيْر اللَّيْثِيّ أَنَّهُ بَلَغَهُ : **أَنَّ قَوْم نُوح كَانُوا يَبْطِشُونَ بِهِ فَيَخْنُقُونَهُ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، فَإِذَا أَفَاقَ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، حَتَّى إِذَا تَمَادَوْا فِي الْمَعْصِيَةِ، وَعَظُمَتْ فِيهِمْ فِي الأَرْضِ الْخَطِيئَةُ، وَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الشَّأْنُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُمُ الْبَلاءُ، وَانْتَظَرَ الْجِيلَ بَعْدَ الْجِيلِ، فَلا يَأْتِي قَرْنٌ إِلَّا كَانَ أَخْبَثَ مِنَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، حَتَّى كَانَ الآخِرُ مِنْهُمْ، لَيَقُولُ : قَدْ كَانَ هَذَا مَعَ آبَائِنَا، وَمَعَ أَجْدَادِنَا، هَكَذَا مَجْنُونًا لا يَقْبَلُونَ مِنْهُ شَيْئًا، حَتَّى شَكَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَالَ : كَمَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ**. قُلْت : وَإِنْ صَحَّ ذَلِكَ فَكَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي ابْتِدَاء الأَمْر، ثُمَّ لَمَّا يَئِسَ مِنْهُمْ قَالَ : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح:٢٦]، وَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِم بَعْد تَخْرِيج هَذَا الْحَدِيث حَدِيث أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي قِصَّة أُحُد :" **كَيْف يُفْلِح قَوْم دَمَّوْا وَجْه نَبِيّهمْ** ". فَأَنْزَلَ اللَّه عَزَّوَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وقال النَّوَوِيّ : هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي جَرَى لَهُ مَا حَكَاهُ النَّبِيّ ﷺ مِنْ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَقَدْ جَرَى لِنَبِيِّنَا ﷺ نَحْو ذَلِكَ يَوْم أُحُد . وروى أحمد في مسنده بإسناد حسن (٤٠٥٧) عَنْ أَبِي وَائِل ما يُعَيِّن الْغَزْوَة الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُول اللَّه ﷺ ذَلِكَ وَلَفْظه : قَسَمَ رَسُول اللَّه ﷺ غَنَائِم حُنَيْنٍ بِالْجِعْرَانَةِ قَالَ فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ :" **إِنْ عَبْدًا مِنْ عِبَاد اللَّه بَعَثَهُ اللَّه إِلَى قَوْمه فَكَذَّبُوهُ وَشَجُّوهُ، فَجَعَلَ يَمْسَح الدَّم عَنْ جَبِينه وَيَقُول : رَبّ اِغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ". قَالَ عَبْد اللَّه : فَكَأَنِّي أَنْظُر إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ يَمْسَح جَبْهَته يَحْكِي الرَّجُل . «فتح الباري» (٦/٥٢١) .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٤٧٧) (٦٩٢٩) مسلم برقم (١٧٩٢). ويَحْتَمِل أَنَّ ذَلِكَ لَمَّا وَقَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ذَكَرَ لأَصْحَابِهِ أَنَّهُ وَقَعَ لِشَيْءٍ آخَر قَبْله، وَذَلِكَ فِيمَا وَقَعَ لَهُ يَوْم أُحُد لَمَّا شُجَّ وَجْهه وَجَرَى الدَّم مِنْهُ، فَاسْتَحْضَرَ فِي تِلْكَ الْحَالَة قِصَّة ذَلِكَ النَّبِيّ الَّذِي كَانَ قَبْله فَذَكَرَ قِصَّته لأَصْحَابِهِ تَطْيِيبًا =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=لِقُلُوبِهِمْ. وعن سَهْل بْن سَعْد ﷺ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ". فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، وَالدُّعَاءَ لَهُم، وَالِاعْتِذَارَ عَنْهُمْ، وَالِاسْتِعْطَافَ بِقَولِهِ :" **لِقَومِيْ** ". «المصدر السابق».

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ التَّاسِعُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِدَعْوَتِهِ جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ دُونَ أَنْ يَحْقِرَ أَحَداً أَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى اللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَيْنَ تُرِيدُ ؟**". قَالَ : إِلَى أَهْلِي، قَالَ :" **هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ ؟**[(١)]". قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ :" **تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** "، قَالَ : هَلْ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ ؟ قَالَ ﷺ :" **هَذِهِ السَّمُرَةُ** "، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الْأَرْضَ خَدًّا حَتَّى كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا، وَرَجَعَ الْأَعْرَابِيُّ إِلَى قَوْمِهِ، وَقَالَ : إِنْ يَتَّبِعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْكَ فَكُنْتُ مَعَكَ [(٢)(٣)] .

---

(١) فيه ما كان عليه ﷺ من الرحمة والشفقة بجميع الناس في دلالتهم على الخير في جميع الأحوال، دون فرق بين غني وفقير، وشريف ووضيع، فلم يكن ﷺ يحقر أحداً أن يبلغه رسالة الله ﷻ،كيف وهو الرحمة المهداة للعالمين من الرَّبِّ الرحيم.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٥٠٥) والدارمي في سننه (١٦) والطبراني في الكبير (١٣٥٨٢) وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة» : هذا إسناد صحيح.

(٣) في هذه الرواية بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المبادرة إلى دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ فَورَ إسلامهم دون تأخُّرٍ وتَرَدُّدٍ؛ كما جاء في روايات كثيرة عن عدة من الصحابة أنهم توجهوا لدعوة أقوامهم إلى الله وإلى دين الحق فَورَ إسلامهم، ولا يخفى أنهم كانوا في حكم العَوَامِّ في تلك الحال، ولم يمنعهم ذلك من الاشتغال في دعوة الناس إلى الله ﷻ، لأنَّ من أَحَبَّ شيئاً سَعَى في تحبيب الناس فيه، ومن رجى شيئاً سعى في توجيه غيره إليه، ومن خاف شيئاً سعى في تخويف الناس من خطره، فالصحابة أَحَبُّوا اللهَ فَورَ نطقهم بكلمة التوحيد، فَسَعَوا لتحبيب الناس به، ورجوا رحمته، وخافوا عقابه، فسعوا من أول لحظة في توجيه الناس إليه، وتخويفهم عقابَه؛ ومن هؤلاء الذين دعوا أقوامهم إلى الله فور إسلامهم : **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه : فإنه لَمَّا أَسْلَمَ وأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ جَعَلَ يَدعُو إِلَى اللهِ ﷻ وإلى الإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مَنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ : الزُّبَيْرُ بْنُ=

www.saida-islam.weebly.com

=الْعَوَّامِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَأَنْبَأَهُمْ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَبِمَا وَعَدَهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ فَآمَنُوا وَأَصْبَحُوا مُقِرِّينَ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، فَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ الثَّمَانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَصَلَّوْا وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَآمَنُوا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ . «سيرة ابن إسحاق» ص (١٤٠) و«دلائل النبوة للبيهقي» (١٦٥/٢) و«البداية والنهاية» (٣٩/٣). **وأبو ذر الغفاري** رضي الله عنه: فإنه لَمَّا أَسلَمَ رَجَعَ إلى قَومِهِ فَدَعَاهُم إلى اللهِ، فَأَسلَمُوا، وجَاءَ بِهِم إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ ﷺ :" **أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا** ". **والطفيل بن عمرو الدوسي** رضي الله عنه : فإنه لَمَّا أَسلَمَ رَجَعَ دَاعِياً إلى قَومِهِ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ من قَومِهِ، ورَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيبَرَ، حَتَّى نَزَلَ المدينةَ بِسَبعِينَ أو ثَمَانِينَ بَيتاً من دَوْس . وسيأتي تفصيل قصته. **وسعد بن معاذ** رضي الله عنه: فإنه لَمَّا أَسلَمَ رَجَعَ إلى قَومِهِ فَدعَاهُم إلى اللهِ، وقَالَ : **إِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حرام حَتَّى تؤمنوا بِاللَّه وَرَسُوله**. فمَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا أَوْ مُسْلِمَةً . «تاريخ الطبري» (٣٥٩/٢) و«البداية والنهاية» (١٨٧/٣). **وضمام بن ثعلبة** رضي الله عنه : فإنه لَمَّا أَسلَمَ رَجَعَ إلى قَومِهِ بَنِي سَعدِ بْنِ بَكْرٍ فَدَعَاهُم إلى اللهِ ﷻ، فمَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ إلا مُسْلِمًا؛ فكان يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : **فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ** . رواه أحمد في مسنده (٢٣٨٠) والحاكم في المستدرك (٤٣٨٠) وقال: صحيح ووافقه الذهبي. ولَمَّا أَسلَمَ **عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ**، اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ** ". قَالَ : لَوْ وَجَدُونِي نَائِمًا مَا أَيْقَظُونِي، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ مُسْلِمًا، فَرَجَعَ عِشَاءً، فَجَاءَ ثَقِيفٌ يُحَيُّونَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَاتَّهَمُوهُ وَأَغْضَبُوهُ، وَأَسْمَعُوهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَسْحَرُوا وَاطَّلَعَ الْفَجْرُ قَامَ عُرْوَةُ عَلَى غُرْفَةٍ فِي دَارِهِ فَأَذَّنَ لِلصَّلَاةِ وَتَشَهَّدَ فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**مَثَلُ عُرْوَةَ مِثْلُ صَاحِبِ يَاسِينَ، دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ فَقَتَلُوهُ** ". قال الهيثمي: رواه الطبراني، وروى عن الزهري نحوه، وكلاهما مرسل، وإسنادهما حسن. وفي رواية قال ﷺ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ صَاحِبِ يَاسِينَ**". قال الهيثمي: رواه أبو يعلى مرسلاً، وإسناده حسن. وأخرج البيهقي في الدلائل (٣٥٥/٥) عن **زِيَادِ بْنِ الحَارِثِ الصُّدَائِيِّ** رضي الله عنه قال : أَتَيتُ رَسولَ اللهِ ﷺ فَبَايَعتُهُ على الإسلام، فَأُخبِرتُ أنَّه قدْ بَعَثَ جَيشاً إلى قَومي، فَقُلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أردُدِ الجَيشَ وأنا لك بإسلامِ قَومِي وطَاعَتِهم. فقال لي :" **اذْهَبْ فَرُدَّهُمْ** ". فقلت : يَا رَسُولَ اللهِ، إنَّ رَاحِلَتِي قَدْ كَلَّت، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً فَرَدَّهُم. قَالَ الصُّدَائِيُّ : وكَتَبْتُ إلَيهم كِتَاباً، فَقَدِمَ وَفدُهُم بِإسلَامِهِم، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَا أَخَا صُدَاءٍ، إِنَّكَ لَمُطَاعٌ فِي قَومِكَ** ". فَقُلتُ: بَلِ اللهُ هَدَاهُم للإسلَامِ . =

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ يُدَاوِي وَيُعَالِجُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَقُولُ أَشْيَاءَ فَهَلْ لَكَ أَنْ أُدَاوِيَكَ ؟ قَالَ : فَدَعَاه رَسُولُ اللهِ

=ولَمَّا أسلم **أَبُو أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ** رضي الله عنه بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَومِهِ يَدعُوهُم إلى اللهِ عز وجل، ويعرِضُ عَلَيهِم شَرَائِعَ الإِسلَامِ، فقد أخرج الطبراني في الكبير (٨٠٧٤) والحاكم في المستدرك (٦٧٠٥) عنه رضي الله عنه قال : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَاهِلَةَ، فَأَتَيْتُهُمْ وَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَرَحَّبُوا بِي وَأَكْرَمُونِي، وَقَالُوا: تَعَالَ فَكُلْ، فَقُلْتُ: إِنِّي جِئْتُ لِأَنْهَاكُمْ عَنْ هَذَا الطَّعَامِ، وَأَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَتَيْتُكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِهِ، فَكَذَّبُونِي وَزَبَرُونِي، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا جَائِعٌ ظَمْآنُ قَدْ بَرَانِي جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَنِمْتُ فَأُتِيتُ فِي مَنَامِي بِشَرْبَةِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ وَرُوِيتُ وَعَظُمَ بَطْنِي، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَتَاكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِكُمْ وَسَرَاتِكُمْ فَرَدَدْتُمُوهُ!، اذْهَبُوا إِلَيْهِ وَأَطْعِمُوهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَا يَشْتَهِي، فَأَتَوْنِي بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَقُلْتُ: لَا حَاجَةَ لِي فِي طَعَامِكُمْ وَشَرَابِكُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل أَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، فَانْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا، فَنَظَرُوا فَآمَنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَرَيْتُهُمْ بَطْنِي، فَأَسْلَمُوا عَنْ آخِرِهِمْ. قال الهيثمي: أخرجه الطبراني بإسنادين وإسناد الأولى حسن، فيها: أبو غالب وقد وُثِّق. ولَمَّا قَدِمَ **عَمْرُو ابْنُ مُرَّةَ الجُهَنِيُّ** عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ودَعَاهُ إلى اللهِ، فَآمَنَ وَاستَأْذَنَ فِي الذَّهَابِ لِدَعْوَةِ قَومِهِ؛ وفي هَذَا يَقُولُ عَمْرٌو: قُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَآمَنْتُ بِكُلِّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَأَنْ أُرْغِمَ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْأَقْوَامِ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ أَبْيَاتًا،.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "**مَرْحَبًا بِكَ يَا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ** "، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ابْعَثْنِي إِلَى قَوْمِي لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُؤَمِّرَنِي عَلَيْهِمْ كَمَا مَنَّ بِكَ عَلَيَّ، فَبَعَثَنِي عَلَيْهِمْ فَقَالَ :" **عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ، وَلَا تَكُنْ فَظًّا وَلَا مُتَكَبِّرًا وَلَا حَسُودًا** "، فَأَتَيْتُ قَوْمِي فَقُلْتُ: يَا بَنِي رِفَاعَةَ، يَا مَعَاشِرَ جُهَيْنَةَ، إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَأُحَذِّرُكُمُ النَّارَ، وَآمُرُكُمْ بِحَقْنِ الدِّمَاءِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَفْضِ الْأَصْنَامِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرٌ مِنَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أَجَابَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ عَصَى فَلَهُ النَّارُ. يَا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إِنَّ اللَّهَ عز وجل جَعَلَكُمْ خِيَارَ مَنْ أَنْتُمْ مِنْهُ، وَبَغَّضَ إِلَيْكُمْ فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ مَا حَبَّبَ إِلَى غَيْرِكُمْ، مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ، وَيَخْلُفُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَى امْرَأَةِ أَبِيهِ، وَالْغَزَاةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَجِيبُوا هَذَا النَّبِيَّ الْمُرْسَلَ مِنْ بَنِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ، تَنَالُوا شَرَفَ الدُّنْيَا وَكَرَامَةَ الْآخِرَةِ، وَسَارِعُوا فِي ذَلِكَ يَكُنْ لَكُمْ فَضِيلَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا . أخرجه أبو نُعيم بطوله كما في البداية (٣٩١/٢)، والطبراني بطوله كما في مجمع الزوائد (٢٤٥/٨) . وغير هؤلاء كثير ممن أسلم ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الله، سواءٌ كان بأمر النبي ﷺ إياه بالذهاب لدعوة قومه، أو باستئذانه هو من النبيِّ ﷺ، أو بذهابه بدون إذن .

www.saida-islam.weebly.com

ﷺ إِلَى اللهِ ﷻ، ثُمَّ قَالَ :" **هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً ؟**" وَعِنْدَهُ نَخْلٌ وَشَجَرَةٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَذْقًا مِنْهَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَسْجُدُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **ارْجِعْ إِلَى مَكَانِكَ** "، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ، قَالَ الْعَامِرِيُّ : وَاللهِ لَا أُكَذِّبُكَ بِقَوْلٍ أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ : يَا آلَ بَنِي صَعْصَعَةَ، وَاللهِ لَا أُكَذِّبُهُ بِشَيْءٍ يَقُولُهُ أَبَدًا [(١)]* .

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٢٣٥٠) وابن حبان في صحيحه (٦٥٢٣) والطبراني في الكبير (١٢٥٩٥) وقال الهيثمي : رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشَّامِيِّ وهو ثقة . ورواه الحاكم في المستدرك بنحوه باختصار (٤٢٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

* هذا الحديث والذي قبله من أعلام نبوته ﷺ، وقد ثبت أنه ظَهرت على يَدَيْهِ مثلُ هَذِه المعجزة مَرَّات، وطرقها صِحَاح بل مِنْهَا مَا هُوَ متواتر على مَا حَكَاهُ أهل النَّقْل، فثبت انقيادُ الشجر له، وتسليمُهُ عليه، وكلامُهُ له : فعن جابر ﷺ قال سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ :" **انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ** ". فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الْأُخْرَى، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ :" **انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ** ". فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا، لَأَمَ بَيْنَهُمَا -يَعْنِي جَمَعَهُمَا - فَقَالَ : "**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ** ". فَالْتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ : فَخَرَجْتُ أُخْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ، فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ . رواه مسلم (٣٠١٢). وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢١٥) والبزار في مسنده (٣١٠) عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ بِالْحُجُونِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ أَرِنِي آيَةً الْيَوْمَ لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا** ". فَأَتَى فَقِيلَ : ادْعُ شَجَرَةً، فَأَقْبَلَتْ تَخُطُّ الْأَرْضَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا - أو موضعها. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا مِنْ قَوْمِي** ". وقال الهيثمي : رواه البزار وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى حسن . وأخرج أحمد في مسنده (١٢١١٢) والدارمي في سننه واللفظ له (٢٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ، وَقَدْ تَخَضَّبَ بِالدَّمِ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** "، فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَائِهِ فَقَالَ : ادْعُ بِهَا، فَدَعَا بِهَا، فَجَاءَتْ وَقَامَتْ =

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ عَنْهُ ﷺ قَالَ : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ ؟ قَالَ: إِنْ دَعَوْتُ هَذَا العِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ : ارْجِعْ فَعَادَ، فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ [١] .

*****

=بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ : مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **حَسْبِي حَسْبِي** ". قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : هذا حديث صحيح. وأخرج أحمد في مسنده (١٧٥٦٥) عن يعلى ابن مُرة الثقفي ﷺ قال : سِرْنَا مع رسول الله ﷺ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الْأَرْضَ، حَتَّى غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ذَكَرْتُ لَهُ . فَقَالَ :" **هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهَا** ". قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين والطبراني بنحوه وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح . وأخرج الترمذي في سننه (٣٦٢٦) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ جَبَلٌ وَلاَ شَجَرٌ إِلاَّ وَهُوَ يَقُولُ : السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال الترمذي : حديث غريب. وأخرج البخاري (٣٨٥٩) ومسلم (٤٥٠) عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي قال : سَأَلْتُ مَسرُوقاً : مَنْ آذَنَ – أي أَعلَمَ – النَّبِيَّ ﷺ بِالجِنِّ لَيلَةَ اسْتَمَعُوا القُرآنَ؟ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُوكَ – يعني عَبدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ– أَنَّهُ قَالَ : آذَنَتْ بِهِمْ شَجَرَةٌ . وأخرج البخاري (٣٥٨٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِذْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ تَحَوَّلَ إِلَيهِ، فَحَنَّ الجِذْعُ، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ عَلَيهِ . وفي رواية عند البخاري أيضاً : فَلَمَّا وُضِعَ الْمِنْبَرُ، سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ صَوتِ العِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيهِ .

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٦٢٨) وقال : حديث حسن غريب صحيح، والحاكم في المستدرك (٤٢٣٧) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

المَدِيثُ العَاشِرُ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِمَنِ اتَّهَمَهُ بِالجُنُونِ بِدَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ وَهِدَايَتُهُ بِذَلِكَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ(١)، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ(٢) يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ(٣)، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ : فَلَقِيَهُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ(٤)؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ** ". قَالَ : فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ : فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ(٥)، وَلَقَدْ

---

(١) الْمُرَادُ بِالرِّيحِ هُنَا الْجُنُونُ وَمَسُّ الْجِنِّ، وفِي غَيْرِ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ : يَرْقِي مِنَ الْأَرْوَاحِ، أَيِ الْجِنِّ، سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُبْصِرُهُمُ النَّاسُ، فَهُمْ كَالرُّوحِ وَالرِّيحِ .

(٢) أَيْ: جُهَّالَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ .

(٣) هذا القول من الكفار عن النبي ﷺ قاله الكفار لأنبيائهم في كل زمان كما قال الله ﷻ : ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]. وذلك لأن الأنبياء يخبرون الناس بالغيبيات وبما لا تدركه عقولهم القاصرة وأبصارهم الضعيفة، والناس لا يصدقون إلَّا ما يدركونه، فيتهمونهم بالجنون، كما أن جهد الأنبياء قائم على التزهيد في الدنيا وصرف وجهة الناس عنها والترغيب في الآخرة، فيخالفون ما اعتاده الناس من التنافس في الدنيا .

(٤) أَيْ: رَغْبَةٌ فِي أَنْ أَرْقِيَكَ وَأُخَلِّصَكَ مِنَ الْجُنُونِ .

(٥) يُرِيدُ أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَكَ تَارَةً إِلَى الْكَهَانَةِ وَمَرَّةً إِلَى السِّحْرِ، وَأُخْرَى إِلَى الشِّعْرِ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَةَ أَصْحَابِهَا، فَلَوْ كُنْتَ مِنْهُمْ لَأَشْبَهَ كَلَامُكَ كَلَامَهُمْ، فَإِذَا كَانَ كَلَامُهُ أَبْلَغَ مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ، فَلَا يَعُدُّهُ مَجْنُونًا إِلَّا السُّفَهَاءُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ الْكُهَّانَ وَالسَّحَرَةَ وَالشُّعَرَاءَ أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي الْقَوْلِ عَلَى أَيِّ أُسْلُوبٍ شَاءُوا، فَأَشَارَ بِقَوْلِهِ هَذَا إِلَى الْإِعْجَازِ أَيْ: جَاوَزَ كَلَامُكَ حَدَّ الْبَلَاغَةِ، وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ ﷺ قَابَلَ كَلَامَ ضِمَادٍ بِمَا تَقَدَّمَ لِيُظْهِرَ لَهُ كَمَالَ عَقْلِهِ، وَيَتَبَيَّنَ جَهْلُ أَعْدَائِهِ.

www.saida-islam.weebly.com

بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ[١]، قَالَ : فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ : فَبَايَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَعَلَى قَوْمِكَ**[٢]"، قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي . قَالَ : فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، فَمَرُّوا بِقَوْمِهِ، فَقَالَ صَاحِبُ السَّرِيَّةِ لِلْجَيْشِ : هَلْ أَصَبْتُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ شَيْئًا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَصَبْتُ مِنْهُمْ مِطْهَرَةً، فَقَالَ: رُدُّوهَا، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمُ ضِمَادٍ[٣] .

---

(١) قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: رَوَى بَعْضُهُمْ (نَاعُوسَ) بِالنُّونِ وَالْعَيْنِ. وَقَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْحُسَيْنِ: نَاعُوسُ الْبَحْرِ بِمَعْنَى قَامُوسِهِ اه. أي أن هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ الْجَامِعَاتِ الْمُحِيطَاتِ بِحُرُوفٍ كَاللَّآلِئِ الْمَنْظُومَاتِ الَّتِي يَعْجِزُ الْغَوَّاصُ عَنْ إِخْرَاجِهَا وَإِبْرَازِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الدِّلَالَاتِ الْبَيِّنَةِ عَلَى إِعْجَازِهَا مِنْ كَمَالِ إِبْجَازِهَا بلغن قَامُوسَ الْبَحْرِ، أَيْ : مُعْظَمَ بَحْرِ الْكَلَامِ وَوَسَطَ لُجَّةِ الْمَرَامِ، وَالْمَعْنَى بَلَغَتْ غَايَةَ الْفَصَاحَةِ وَنِهَايَةَ الْبَلَاغَةِ. قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ: الْقَمْسُ : الْغَوْصُ، وَالْغَمْسُ وَالْقَوْمَسُ : مُعْظَمُ مَاءِ الْبَحْرِ كَالْقَامُوسِ، وَالْقَامُوسُ الْبَحْرُ، أَوْ أَبْعَدُ مَوْضِعٍ فِيهِ غَوْرًا «مرقاة المفاتيح» (٥٣٨/١٠) .

(٢) فيه بيان هديه ﷺ في إقامة من آمن معه على تبليغ ما بلغه عنه ﷺ من أول لحظة، والاشتغال في دعوة الناس إلى الله ﷻ بَدْءاً من أقوامهم، لما فيه من نصرة الدين الواجبة على كل مسلم بحسب استطاعته، كما قال تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾[الصف:١٤]. أي من معيني في الدعوة إلى الله . وكان ﷺ يتبعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَمَجَنَّةٍ وَعُكَاظٍ، وَمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ :" **مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ** ؟" فكان ﷺ يطلب النصرة على تبليغ الدين من جميع الناس؛ وكان ﷺ يقول :" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** ". وقال ﷺ :" **نَضَّرَ اللهُ امْرَءاً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَبَلَّغَهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ** ". وقال ﷺ في حجة الوداع :" **فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ** ". ومعلوم أن الشاهدين منهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ومنهم الذين لم يروا النبي ﷺ قبل ذلك، ولم يروه بعدُ، والكل شمله الأمر بالتبليغ؛ وهكذا كان أصحابه من بعده، يُبَلِّغونَ عنه، ويُقِيمُونَ الأمَّةَ على تبليغ ما بلغهم؛ فأخرج الطبراني في الكبير (٧٦١٤) عن مكحول قال: دَخَلْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي زَكَرِيَّا وَسُلَيْمَانُ بْنُ حَبِيبٍ عَلَى أَبِي أُمَامَةَ بِحِمْصَ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَقَالَ : **إِنَّ مَجْلِسَكُمْ هَذَا مِنْ بَلَاغِ اللَّهِ لَكُمْ وَاحْتِجَاجِهِ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَلَّغَ، فَبَلِّغُوا** . وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : كُنَّا نَجْلِسُ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ فَيُحَدِّثُنَا حَدِيثًا كَثِيرًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا سَكَتَ قَالَ: **أَعَقَلْتُمْ ؟ بَلِّغُوا كَمَا بُلِّغْتُمْ**. قال الهيثمي : رَوَاهُمَا الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَإِسْنَادُهُمَا حَسَنٌ. وفي رواية قال: **إِنَّ مَجْلِسَكُمْ هَذَا مِنْ بَلَاغِ اللَّهِ إِيَّاكُمْ، وَحُجَّتِهِ عَلَيْكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ، وَإِنَّ أَصْحَابَهُ قَدْ بَلَّغُوا مَا سَمِعُوا، فَبَلِّغُوا مَا تَسْمَعُونَ** . رواه الطبراني في الكبير (٧٤٩٣) قال الهيثمي: ورجاله وُثِّقوا. وتقدم الكلام على هذا، وسيأتي زيادة تفصيل فيه .

(٣) رواه مسلم برقم (٨٦٨) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الحَادِيْ عَشَرَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ الطَّائِفِ بِذَهَابِهِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ وَمَا لَقِيَهُ مِنْ أَذَىً فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَرَحْمَتُهُ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ وَرَجَائِهِ مِنَ اللهِ هِدَايَتَهُمْ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ :" **هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟** قَالَ :" **لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ**[1]**، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ**[2]**، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ**[3] **لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ ؟**

---

(١) كان ذلك في شوال في سنة عشر للبعثة، بعد موت أبي طالب وخديجة ﵄ . وفيه أَنَّ مَا يُوَاجِهُهُ الدَّاعِيَةُ مِنَ الصَّدِّ والإِعْرَاضِ عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ يَكُونُ أَشَدَّ عَلَى النَّفْسِ مِمَّا يُوَاجِهُهُ الْمُقَاتِلُ، فَإِنَّ الْمُقَاتِلَ يَسْتَطِيعُ أَنَّ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ويَشْفِيَ صَدْرَهُ ويُذْهِبَ غَيْظَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، أَمَّا الدَّاعِي فَلَيْسَ لَهُ إِلاَّ الصَّبْرُ عَلَى أَذَى الْمَدْعُوِّ والتَّلَطُّفُ لَهُ بِالقَولِ، ويَكْظُمُ غَيْظَ نَفْسِهِ، ويَتَجَرَّعُ مَرَارَتَهُ، ويَعْتَذِرُ لَهُ عِنْدَ الله ﷻ، لِذَلِكَ سَمَّى الله ﷻ جِهَادَ الدَّعْوَةِ جِهَاداً كَبِيراً؛ فَقَالَ:﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ **[الفرقان: ٥٢]**، فَهَذِهِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَالجِهَادُ فِيهَا هُوَ التَّبْلِيْغُ وجِهَادُ الْحُجَّةِ .

(٢) أَيْ : لَمْ أَفْطِن لِنَفْسِي وَأَتَنَبَّه لِحَالِي وَلِلْمَوْضِعِ الَّذِي أَنَا ذَاهِب إِلَيْهِ، إِلاَّ وَأَنَا عِنْد قَرْن الثَّعَالِب لِكَثْرَةِ هَمِّي الَّذِي كُنْت فِيهِ، قَالَ الْقَاضِي : قَرْن الثَّعَالِب وَهُوَ قَرْن الْمَنَازِل، وَهُوَ مِيقَات أَهْل نَجْد، وَهُوَ عَلَى مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ مَكَّة، وَأَصْل الْقَرْن: كُلّ جَبَل صَغِير يَنْقَطِع مِنْ جَبَل كَبِير . «شرح مسلم للنووي» (١٢/١٥٥) .

(٣) أَي الْمُوَكَّل بِهَا .

www.saida-islam.weebly.com

إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ [١]". فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " [٢] .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ : وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ[٣]، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ،

---

(١) هُمَا جَبَلا مَكَّة أَبُو قُبَيْسٍ وَالَّذِي يُقَابِلهُ، وَكَأَنَّهُ قُعَيْقِعَان، وَقَالَ الصَّغَانِيُّ : بَلْ هُوَ الْجَبَل الأَحْمَر الَّذِي يُشْرِف عَلَى قُعَيْقِعَان، وَسُمِّيَا بِذَلِكَ لِصَلابَتِهِمَا وَغِلَظ حِجَارَتهمَا، وَالْمُرَاد بِإِطْبَاقِهِمَا أَنْ يَلْتَقِيَا عَلَى مَنْ بِمَكَّة، وَيُحْتَمَل أَنْ يُرِيد أَنَّهُمَا يَصِيرَانِ طَبَقًا وَاحِدًا «فتح الباري» (١٠/١٦) .

(٢) رواه البخاري برقم (٣٢٣١) ومسلم برقم (٤٧٥٤٣) .

(٣) أخرج البيهقي في الدلائل (٢/٣٥٠) عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال : لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيشٍ، فَأَلْقَى عَلَيهِ تُرَاباً، فَرَجَعَ إِلى بَيتِهِ، فَأَتَتِ امْرَأَةٌ من بَنَاتِهِ، تَمسَحُ عن وَجْهِهِ التُّرَابَ وتَبْكِي، فَجَعَلَ يَقُولُ :" **أَيْ بُنَيَّةُ، لَا تَبْكِي، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ** ". ويَقُولُ مَا بَينَ ذَلِكَ :" **مَا نَالَتْ قُرَيشٌ شَيئاً أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ** ". وأخرج أبو نعيم في الحلية (٨/٣٠٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : لَمَّا مات أبو طالب تجهَّموا بالنبي ﷺ فقال :" **يَا عَمِّ، أَسْرَعَ مَا وَجَدْتُ فَقْدَكَ** ". والصَّبرُ في الدَّعْوَةِ إِلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ وَأَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ عَلَى الدُّعَاةِ إِلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالصَّبرُ وَإِنْ كَانَ وَاجِباً بِأَنْوَاعِهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّهُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلى الله مِنْ بَابٍ أَوْلَى، وَلِهَذَا أَمَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ إِمَامَ الدُّعَاةِ وَقُدْوَتَهُمْ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: ﴿ **وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ** ﴾ [النحل: ١٢٧]، وَقَالَ: ﴿ **فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ** ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وَقَالَ: ﴿ **فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا** ﴾ [المعارج: ٥]. وَكَانَ ﷺ إِمَاماً لِلصَّابِرِينَ، وَقُدْوَةً فِي الثَّبَاتِ عَلَى الأَمْرِ وَالْعَزِيمَةِ عَلَى الرُّشْدِ، فَلَمَّا جَاءَهُ قَومُهُ يَعْرِضُونَ عَلَيهِ الدُّنيَا وَزِينَتَهَا مُقَابِلَ أَنْ يَتَخَلَّى عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ قَالَ ﷺ :" **وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ** " وَلَمَّا آذَوْهُ وَوَجَّهُوا إِلَيهِ أَصْنَافاً مِنَ الإِيْذَاءِ وَالْهَجْرِ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ كَانَ ﷺ يَدْعُو لأَشَدِّ النَّاسِ عِدَاءً لَهُ بِأَنْ يُعِزَّ الله بِهِ الإِسْلامَ . وَسُنَّةُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي عِبَادِهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُم لِيُمَحِّصَهُم، وَيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ نَصِيباً مِنْ هَذَا الْبَلاءِ هُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ **مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ**

www.saida-islam.weebly.com

﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] . وَتَبْرُزُ أَهَمِّيَّةُ الصَّبرِ في الدَّعْوَةِ إلى الله ﷻ في عَدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا :

أَوَّلاً: أَنَّ الابْتِلاءَ لِلدَّعَاةِ إلى الله ﷻ لا بُدَّ مِنْهُ، فَلَو سَلِمَ أَحَدٌ مِنَ الأَذَى لَسَلِمَ رُسُلُ الله عليهم السلام، وَعَلَى رَأْسِهِم إِمَامُهُم مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الله ﷺ، فَقَدْ أُوْذُوا فَصَبَرُوا وَجَاهَدُوا في الله حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُم نَصْرُ الله عَلَى أَعْدَاءِ دَعْوَةِ الْحَقِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] .

ثَانِياً: أَنَّ الدَّعْوَةَ إلى الله سَبِيلُهَا طَوِيلٌ، تَحُفُّ بِهِ الْمَتَاعِبُ وَالْمَصَاعِبُ وَالْمُعَارَضَاتُ، لأَنَّ الدُّعَاةَ إلى الله يَطْلُبُونَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَتْرُكُوا أَهْوَائَهُم وَشَهَوَاتِهِمُ الَّتِي لا يَرْضَاهَا الله ﷻ وَيَنْقَادُوا لأَوَامِرِ الله وَيَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِهِ، وَيَعْمَلُوا بِشَرَائِعِهِ الَّتِي شَرَعَ، فَيَتَّخِذُ أَعْدَاءُ الدَّعْوَةِ مِنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ عَدُوّاً يُحَارِبُونَهُ بِكُلِّ سِلاحٍ، وَأَمَامَ هَذِهِ الْقُوَّةِ لا يَجِدُ الدُّعَاةُ مَفَرّاً مِنَ الاعْتِصَامِ بِالْيَقِينِ وَالصَّبْرِ، لأَنَّ الصَّبرَ سَيْفٌ لا يَنْبُو، وَمَطِيَّةٌ لا تَكْبُو، وضِيَاءٌ لا يَخْبُو .

ثَالِثاً: أَنَّ الدَّاعِيَ إلى الله ﷻ لا بُدَّ لَهُ أَنْ يَتَخَلَّقَ مَعَ النَّاسِ بِالأَخْلاقِ الْفَاضِلَةِ الْمُفْضِيَةِ إلى هِدَايَةِ النَّاسِ، فَيُعْطِيَ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلَ مَنْ قَطَعَهُ، وَيَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُحْسِنَ إلى مَنْ أَسَاءَ إِلَيهِ، وَيَدْعُوَ لَهُ بِالْهِدَايَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، كَمَا كَانَ أَنْبِيَاءُ الله عليهم السلام، وَكَمَا فَعَلَ ﷺ مَعَ أَهْلِ الطَّائِفِ وغَيرِهِمْ مِمَّنْ آذَوْهُ في الله، ودَعَا لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ؛ وَالتَّخَلُّقُ بِهَذِهِ الأَخْلاقِ شَدِيدٌ عَلَى النَّفْسِ، يَحْتَاجُ لِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الصَّبرِ، فَلِذَلِكَ كَانَ أَثْقَلَ شَيْءٍ في الْمِيزَانِ حُسْنُ الْخُلُقِ، لأَنَّهُ شَدِيدٌ عَلَى النَّفْسِ، كَمَا قَالَ ﷺ:" **مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ في مِيزَانِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَومَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**". فَالصَّبرُ يَشْتَمِلُ عَلَى أَكْثَرِ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، فَيَدْخُلُ فِيهِ الْحِلْمُ، فَإِنَّهُ صَبرٌ عَنْ دَوَاعِي الانْتِقَامِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالأَنَاةُ صَبرٌ عَنْ إِجَابَةِ دَوَاعِي الْعَجَلَةِ، وَالْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَدَفْعُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ صَبرٌ عَنْ دَوَاعِي الانْتِقَامِ، وَالْجُودُ وَالْكَرَمُ صَبرٌ عَنْ دَوَاعِي الإِمْسَاكِ، وَالْكَيْسُ صَبرٌ عَنْ دَوَاعِي الْكَسَلِ وَالْخُمُولِ، وَالْعَدْلُ صَبرٌ إِذَا تَعَلَّقَ بِالتَّسْوِيَةِ بَينَ الْمُتَمَاثِلَينِ، وَسَعَةُ الصَّدْرِ صَبرٌ عَنِ الضَّجَرِ، وَالْكِتْمَانُ وَحِفْظُ السِّرِّ صَبرٌ عَنْ إِظْهَارِ مَا لا يَحْسُنُ إِظْهَارُهُ، وَالشَّجَاعَةُ صَبرٌ عَنْ إِجَابَةِ دَوَاعِي الْفِرَارِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ الصَّبرِ في الدَّعْوَةِ إلى الله، وَأَنَّ الدَّاعِيَةَ لا يَسَعُهُ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ في جَمِيعِ أَحْوَالِهِ .

رَابِعاً: الصَّبرُ في مَقَامِ الدَّعْوَةِ إلى الله هُوَ وَصْفُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عليهم السلام، وَعَلَيهِ مَدَارُ نَجَاحِ دَعْوَتِهِم إلى الله ﷻ، فَالدَّاعِيَةُ إِذَا فَقَدَ الصَّبرَ كَانَ كَمَنْ يُرِيدُ السَّفَرَ بِبَحْرٍ لُجِّيٍّ بِغَيرِ مَرْكَبٍ، قَالَ ﷻ : ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم: ٦٠]، لِذَلِكَ تَجِدُ آيَاتِ الدَّعْوَةِ في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَتْلُوهَا الْوَصِيَّةُ بِالصَّبرِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥]، وقَالَ ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ

www.saida-islam.weebly.com

يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ (١) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَدَ إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلاثَةٌ : عَبْدُ يَالَيْلَ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ ، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقْدَةَ بْنِ غِيرَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ

بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠] ثُمَّ قَالَ بَعدَهَا : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾[آل عمران: ١١١]. وَقَالَ في آخِرِ السُّورَةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وَقَالَ ﷻ في وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧]، وَقَالَ ﷻ: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ – ٣]، فَهُوَ عِنْدَمَا أَمَرَهُ بِتَكْمِيلِ نَفْسِهِ بِطَاعَةِ الله، أَمَرَهُ أَنْ يُكَمِّلَ غَيرَهُ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَنْزِلُ بِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالابْتِلاءِ .

خَامِساً: الدَّاعِيَةُ إِلى الله ﷻ لا يَكُونُ قُدْوَةً في الْخَيرِ مُطْلَقاً إِلاَّ بِالصَّبرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى دَعْوَتِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ في صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُم يَدْعُونَهُ بِقَولِهِم : ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وَهَذِهِ الإِمَامَةُ في الدِّينِ لا تَكُونُ إِلاَّ بِالصَّبرِ، فَقَدْ جَعَلَ الله ﷻ الإِمَامَةَ في الدِّينِ مَوْرُوثَةً بِالصَّبرِ وَالْيَقِينِ . كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

سَادِساً: رَتَّبَ الله ﷻ خَيرَاتِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ عَلَى الصَّبرِ، فَقَدْ جَاءَ في فَضَائِلِ الصَّبرِ مَا لَمْ يَأْتِ في غَيرِهِ مِنَ الْخِصَالِ، وَذَلِكَ مَا دَامَ قَلَمُ التَّكْلِيفِ جَارِياً عَلَى الْعَبدِ فَإِنَّهُ لا يَسْتَغْنِيْ عَنِ الصَّبرِ في حَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، فَإِنَّهُ بَينَ أَمْرٍ يَجِبُ امْتِثَالُهُ وَتَنْفِيذُهُ، وَنَهْيٍ يَجِبُ عَلَيهِ اجْتِنَابُهُ وَتَرْكُهُ، وَقَدَرٍ يَجِبُ عَلَيهِ الصَّبرُ عَلَيهِ اتِّفَاقاً، وَنِعْمَةٍ يَجِبُ عَلَيهِ شُكْرُ الْمُنْعِمِ عَلَيهَا، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الأَحْوَالُ لا تُفَارِقُهُ، فَالصَّبرُ لازِمٌ لَهُ إِلى الْمَمَاتِ. «إِتحاف السادة المبلغين» ص (٣٣٥ – ٣٣٩) .

(١) قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : خرج ﷺ إلى الطائف، ومعه زيد بن حارثة، ومكث بها عشرة أيام، لا يَدَعُ أحداً من أشرافهم إلاَّ جاءه في منزله وكلَّمه ودعاه إلى التوحيد، فلم يجبه أحدٌ منهم، وخافوه على أحداثهم، وأغرَوا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة إذا مشى، حتى إنَّ رجليه لتدميان، وزيد مولاه يقيه بنفسه، حتى ألجأوه إلى ظلِّ كرمة في حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ..، فدعا ﷺ فقال : "**اللهم إليك أشكوا** ..". «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٢/٢٣٤) .

www.saida-islam.weebly.com

قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ : هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَك؛ وَقَالَ الآخَرُ : أَمَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَك؛ وَقَالَ الثَّالِثُ : وَاَللَّهِ لا أُكَلِّمُك أَبَدًا؛ لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْك الْكَلامَ، وَلَئِنْ كُنْت تَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أُكَلِّمَك . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – : إذَا فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاكْتُمُوا عَنِّي، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ عَنْهُ فَيُذْئِرَهُمْ[١] ذَلِكَ عَلَيْهِ . فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، وَأَلْجَئُوهُ إلَى حَائِطٍ[٢] لِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِيهِ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ[٣]، فَعَمَدَ إلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ[٤] مِنْ عِنَبٍ فَجَلَسَ فِيهِ. وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إلَيْهِ وَيَرَيَانِ مَا لَقِيَ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ، وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ –فِيمَا ذُكِرَ لِي – الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي جُمَحٍ فَقَالَ لَهَا :" **مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَائِك ؟**"

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – :" **اللَّهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي[٥]، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إلَى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي [٦]؟ أَمْ إلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إنْ لَمْ**

---

(١) أي يُجَرِّئُهُم عليه .

(٢) هو البستان عليه جدار .

(٣) وفي رواية أبي نعيم في الدلائل قال : وَاجْتَمَعُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وقَعَدُوا لَهُ صَفَّينِ عَلَى طَرِيقِهِ، فَأَخَذُوا بِأَيْدِيهِمُ الحِجَارَةَ، فَجَعَلَ لا يَرْفَعُ رِجْلَهُ ولا يَضَعُهَا إلاَّ رَضَخُوهَا بِالحِجَارَةِ، وهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَهْزِئُونَ ويَسْخَرُونَ؛ فَلَمَّا خَلَصَ مِنْ صَفَّيْهِم وقَدَمَاهُ تَسِيلاَنِ الدِّمَاءَ، عَمَد إلى حَائِطٍ .

(٤) هي الْكَرْمَةُ؛ اشْتُقّ اسْمُهَا مِنْ الْحَبَلِ لأَنّهَا تُحْمِلُ بِالْعِنَبِ . «الروض الأنف للسهيلي» (٢/٢٣١) .

(٥) الحيلة : هي القدرة والتدبير .

(٦) أي يَلْقاني بالغِلْظة والوجه الكريه «النهاية لابن الأثير» ص (١/٨٥٤) .

www.saida-islam.weebly.com

يَكُنْ بِك عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَك هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِك الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى[١] حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ " [٢] .

قَالَ : فَلَمَّا رَآهُ ابْنَا رَبِيعَةَ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَمَا لَقِيَ، تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا[٣]، فَدَعَوْا غُلامًا لَهُمَا نَصْرَانِيّاً، يُقَالُ لَهُ عَدَّاسٌ، فَقَالا لَهُ : خُذْ قِطْفًا[٤] مِنْ هَذَا الْعِنَبِ فَضَعْهُ فِي هَذَا الطَّبَقِ، ثُمَّ اذْهَبْ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ، فَقُلْ لَهُ يَأْكُلُ مِنْهُ . فَفَعَلَ عَدَّاسٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : كُلْ . فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ :" **بِاسْمِ اللَّهِ** "؛ ثُمَّ أَكَلَ . فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ : وَاَللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلادِ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ وَمَا دِينُك ؟**" قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى[٥]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى** "، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ : وَمَا يُدْرِيك مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيّاً، وَأَنَا نَبِيٌّ** "، فَأَكَبَّ[٦] عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ[٧]؛ قَالَ : يَقُولُ ابْنَا رَبِيعَةَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَمَّا غُلامُك فَقَدْ أَفْسَدَهُ عَلَيْك . فَلَمَّا جَاءَهُمَا عَدَّاسٌ قَالا لَهُ : وَيْلَك يَا عَدَّاسُ مَالَكَ تُقَبِّلُ رَأْسَ هَذَا الرَّجُلِ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ ؟ قَالَ :

---

(١) أي أسترضيك حتى ترضى . يقال : استعتبته فأعتبني، أي استرضيته فأرضاني «فيض القدير» ص (١١٩/٢) .

(٢) رواه الطبراني عن عبد الله بن جعفر مرسلاً، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات «مجمع الزوائد» (٣٥/٦).

(٣) من الرحم، يعني القرابة .

(٤) بكسر القاف، أي عنقوداً .

(٥) هي مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابلة مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما «المعالم الأثيرة» .

(٦) أي أقبل عليه ولزمه .

(٧) قال الحافظ في الإصابة (٤٦٦/٤) ذكر سليمان التيمي في السيرة له أنه قال للنبي ﷺ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. وذكره في الصحابة .

يَا سَيِّدِي مَا فِي الأَرْضِ شَيْءٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، لَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ مَا يَعْلَمُهُ إِلَّا نَبِيٌّ، قَالا لَهُ : وَيْحَك يَا عَدَّاسُ لا، يَصْرِفَنَّكَ عَنْ دِينِكَ، فَإِنَّ دِينَكَ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، يَئِسَ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُمْ – فِيمَا ذُكِرَ لِي – سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ[1]، فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا . فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٠]؛ وَقَالَ ﷻ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١]، إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ[2] .

---

(١) من بلاد ربيعة في الجزيرة، تقع شرقي دجلة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .

(٢) سيرة ابن هشام (٤٩/٢) . وأخرج أبو نعيم في الحلية بسند حسن عن ابن عمر ﷺ قال : قَالَ ﷺ: " **مَا تَرَكَ عَبْدٌ شَيْئاً للهِ لا يَتْرُكُهُ إِلاَّ لَهُ، إِلاَّ عَوَّضَهُ اللهُ مِنهُ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنهُ فِي دِينِهِ وَدُنيَاهُ**". فاللهُ ﷻ لا يَتَكَرَّمُ عَلَيهِ أَحَدٌ، وهُوَ أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، فَمَنْ تَرَكَ لِوَجْهِهِ أَمْراً أَو فَعَلَهُ لِوَجْهِهِ بَدَّلَ اللهُ لَهُ أَضْعَافَ مَا تَرَكَهُ مِنْ ذَلِكَ الأَمْرِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، وجَازَاهُ بِأَضْعَافِ مَا فَعَلَهُ لأَجْلِهِ أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً، فَلَمَّا تَحَمَّلَ ﷺ الأذى في سبيل الرَّحمة على الناس بدعوته إيَّاهم، عوَّضه الله ﷻ وأكرمه بكرامات عظيمة؛ منها :

١. استجابة عداس إلى الإسلام بعد رفض الكثير له، وهدايةُ رجل واحد خير من الدنيا وما عليها.
٢. الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى الملأ الأعلى، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، ورأى من آيات ربه الكبرى، وفيه أكرمه الله ﷻ بكرامة عظيمة، وهي الصلوات الخمس .
٣. استجابة ستة من أهل المدينة من الخزرج لدعوته ﷺ، وقبولهم للحق الذي جاء به، فكانوا نواة الدعوة التي نشرت الإسلام في المدينة، ومنها انتشر الإسلام حتى عمَّ أرجاء المعمورة، وتحولت بهم الجماعة الإسلامية المطاردة في مكة إلى دولة ذات عزٍّ وتمكين في المدينة المنورة . وهم أسعد ابن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=عبد الله ﷺ، هذا بعد أن رفضت كل القبائل الأخرى دعوته ﷺ، منهم بنو كلب وبنو حنيفة، وبنو عامر بن صعصعة وفزارة وغسان ومرة وسليم وبنو نضر وكندة وعذرة والحضارمة.

٤. إسلام عدد من أشراف قبائل العرب، منهم سويد بن الصامت الشاعر، وإياس بن معاذ، وأبو ذر الغفاري، فكان سبباً لإسلام قبيلتي غفار وأسلم؛ والطفيل بن عمرو الدوسي سيد قبيلة دوس، وكان سبباً لإسلام قبيلة دوس؛ وغيرهم .

٥. ساق الله ﷻ إليه نفرًا من الجن يستمعون القرآن، فأحسنوا الاستماع والإنصات، ثم فهموا واجبهم، فولَّوا إلى قومهم منذرين؛ وكان من خبرهم ما أخرجه البخاري (٧٧٣) (٤٩٢١) ومسلم (١٤٩) عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : **انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُبُ فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلاَّ شَيْءٌ حَدَثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ، عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ : ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾.

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِيْ عَشَرَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِثَقِيفٍ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُم مِنْ أَذَىً لَهُ وَلأَصْحَابِهِ وَدُعَائُهُ لَهُمْ بِالهِدَايَةِ

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، أَحْرَقْتَنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ، فَادْعُ اللهَ عَلَيهِمْ. قَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا** " (١) .

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ : هَذَا الْحَدِيثُ حَصَلَ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ فِي شَوّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ؛ قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : قَالُوا : وَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى الطَّائِفِ، بَعَثَ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ صَنَمِ عَمْرِو بْنِ حُمَمَةَ الدَّوْسِيِّ يَهْدِمُهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَمِدَّ قَوْمَهُ، وَيُوَافِيَهُ بِالطَّائِفِ، فَخَرَجَ سَرِيعًا إِلَى قَوْمِهِ، فَهَدَمَ ذَا الْكَفَّيْنِ، وَجَعَلَ يَحُشُّ النّارَ فِي وَجْهِهِ وَيُحَرِّقُهُ، وَيَقُولُ :

يَا ذَا الْكَفَّيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا مِيلادُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلادِكَا

إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

وَانْحَدَرَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُمِائَةٍ سِرَاعًا، فَوَافَوُا النَّبِيَّ ﷺ بِالطَّائِفِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ، وَقَدِمَ بِدَبَّابَةٍ وَمَنْجَنِيقٍ . قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : وَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيدُ الطَّائِفَ، قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدَّمَتِهِ، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ قَدْ رَمُّوا حِصْنَهُمْ، وَأَدْخَلُوا فِيهِ مَا يَصْلُحُ لَهُمْ لِسَنَةٍ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ، دَخَلُوا حِصْنَهُمْ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ، وَتَهَيَّئُوا لِلْقِتَالِ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ، وَعَسْكَرَ هُنَاكَ فَرَمَوُا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمْيًا شَدِيدًا، كَأَنَّهُ رِجْلُ جَرَادٍ، حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ، وَقُتِلَ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، فَارْتَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٩٤٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

www.saida-islam.weebly.com

وَزَيْنَبُ[١]، فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَّتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ مُدَّةَ حِصَارِ الطَّائِفِ، فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً [٢]. وَنَصَبَ عَلَيْهِمْ الْمَنْجَنِيقَ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا رُمِيَ بِهِ فِي الإِسْلامِ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الشِّدْخَةِ عِنْدَ جِدَارِ الطَّائِفِ، دَخَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ دَبَّابَةٍ، ثُمَّ دَخَلُوا بِهَا إِلَى جِدَارِ الطَّائِفِ لِيُحْرِقُوهُ، فَأَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ ثَقِيفٌ سِكَكَ الْحَدِيدِ مُحْمَاةً بِالنَّارِ، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِهَا، فَرَمَتْهُمْ ثَقِيفٌ بِالنَّبْلِ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ رِجَالاً، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِ ثَقِيفٍ، فَوَقَعَ النَّاسُ فِيهَا يَقْطَعُونَ . قَالَ ابْنُ سَعْدٍ : فَسَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَإِنِّي أَدَعُهَا للهِ وَلِلرَّحِمِ** " . فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ مِنْهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَدَفَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُونُهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً [٣] .

وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي فَتْحِ الطَّائِفِ، وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ، فَقَالَ :" **مَا تَرَى ؟**". فَقَالَ : ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ، إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ

---

(١) قال ابن القيم: فيه جَوَازُ غَزْوِ الرَّجُلِ وَأَهْلُهُ مَعَهُ، فَإِنّ النّبِيَّ ﷺ كَانَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أُمّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ .

(٢) جاء في صحيح مسلم (١٠٥٩) عن أنس رضي الله عنه أنه قال : **انْطَلَقْنَا إِلَى الطَّائِفِ فَحَاصَرْنَاهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً** .

(٣) قال الواقدي في غزوة الطائف من «كتاب المغازي» : وحدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه فذكره إلى أنه قال: ونادى منادي رسول الله ﷺ يومئذ أيُّما عبد نزل من الحصن إلينا فهو حرٌّ، فنزل أبو بكرة، واسمه : نفيع، وكان عبداً للحارث بن كلدة، نزل في بكرة من الحصن، فلذلك سمي بأبي بكرة، ووردان عبد لعبد الله بن ربيعة الثقفي، والمنبعث عبد لعثمان بن عامر، والأزرق عبد لكلدة الثقفي، ويحنس النبال عبد ليسار بن مالك، وإبراهيم بن جابر عبد لخوشة الثقفي، ويسار عبد لعثمان بن عبد الله، ونافع عبد لغيلان بن سلمة، ومرزوق عبد لعثمان، كل هؤلاء أعتقهم رسول الله ﷺ، ودفع كل واحد منهم لرجل من المسلمين يمونه ويقرئه ويعلمه الشريعة، وكان أبو بكرة إلى عمرو بن سعيد بن العاص، فلما أسلمت ثقيف، تكلموا في هؤلاء، أن يردوا إلى الرق، فقال ﷺ :" **أُوْلَئِكَ عُتَقَاءُ اللهِ، لَا سَبِيلَ إِلَيهِمْ** " .

www.saida-islam.weebly.com

يَضُرَّك . فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا : نَرْحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ**". فَغَدَوْا، فَأَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ** ". فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَأَذْعَنُوا، وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ، وَرَسُولُ اللَّهِ يَضْحَكُ[(١)]، فَلَمَّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلُّوا، قَالَ :" **قُولُوا : آيِبُونَ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ** ". وَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ عَلَى ثَقِيفٍ . فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وائْتِ بِهِمْ** " [(٢)]. وَاسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالطَّائِفِ جَمَاعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إِلَى الْجِعِرَّانَةِ، ثُمَّ دَخَلَ مِنْهَا مُحْرِمًا بِعُمْرَةٍ، فَقَضَى عُمْرَتَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ تَبُوكَ فِي رَمَضَانَ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ وَفْدُ ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمْ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **كَمَا يَتَحَدَّثُ قَوْمُك أَنَّهُمْ قَاتِلُوك** "، وَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ فِيهِمْ نَخْوَةَ الِامْتِنَاعِ الَّذِي كَانَ مِنْهُمْ، فَقَالَ عُرْوَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَنَا أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَبْكَارِهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ كَذَلِكَ مُحَبَّبًا مُطَاعًا، فَخَرَجَ يَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ رَجَاءَ أَلَّا يُخَالِفُوهُ لِمَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَشْرَفَ لَهُمْ عَلَى عُلِّيَّةٍ لَهُ، وَقَدْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ لَهُمْ دِينَهُ، رَمَوْهُ بِالنَّبْلِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ، فَقِيلَ لِعُرْوَةَ : مَا تَرَى فِي دَمِك ؟ قَالَ : كَرَامَةٌ أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَشَهَادَةٌ سَاقَهَا اللَّهُ إِلَيَّ، فَلَيْسَ فِيَّ إِلَّا مَا فِي الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ عَنْكُمْ، فَادْفِنُونِي مَعَهُمْ، فَدَفَنُوهُ مَعَهُمْ، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِيهِ :" **إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس فِي قَوْمِهِ** ". ثُمَّ أَقَامَتْ ثَقِيفٌ بَعْدَ

---

(١) رواه البخاري بمعناه عن ابن عمر (٤٣٢٥) (٦٠٨٦) ومسلم (٤٧٢٠) .

(٢) قال ابن القيم : فيه اسْتِجَابَةُ اللّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ دُعَاءَهُ لِثَقِيفٍ أَنْ يَهْدِيَهُمْ وَيَأْتِيَ بِهِمْ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللّهِ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ فَدَعَا لَهُمْ وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ صلى الله عليه وسلم .

www.saida-islam.weebly.com

قَتْلِ عُرْوَةَ أَشْهُرًا، ثُمَّ إِنَّهُمْ ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ، وَقَدْ بَايَعُوا وَأَسْلَمُوا، فَأَجْمَعُوا أَنْ يُرْسِلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رِجَالاً، كَمَا أَرْسَلُوا عُرْوَةَ فَكَلَّمُوا عَبْدَ يَالَيْلَ بْنَ عَمْرِو بْنِ عُمَيْرٍ، وَكَانَ فِي سِنِّ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ وَخَشِيَ، فَقَالَ : لَسْتُ بِفَاعِلٍ حَتَّى تُرْسِلُوا مَعِي رِجَالًا، فَأَجْمَعُوا أَنْ يَبْعَثُوا مَعَهُ رَجُلَيْنِ مِنَ الأَحْلافِ وَثَلاثَةً مِنْ بَنِي مَالِكٍ فَيَكُونُونَ سِتَّةً، فَبَعَثُوا مَعَهُ الْحَكَمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ، وَشُرَحْبِيلَ بْنَ غَيْلانَ، وَمِنْ بَنِي مَالِكٍ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَأَوْسَ بْنَ عَوْفٍ، وَثُمَيْرَ بْنَ خَرَشَةَ، فَخَرَجَ بِهِمْ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَنَزَلُوا قَنَاةً لَقُوا بِهَا الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، فَاشْتَدَّ لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَقِيَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ لا تَسْبِقْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ فَفَعَلَ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ الْمُغِيرَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَرَوَّحَ الظُّهْرَ مَعَهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ كَيْفَ يُحَيُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَفْعَلُوا إِلَّا بِتَحِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ مَسْجِدِهِ كَمَا يَزْعُمُونَ . وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اكْتَتَبُوا كِتَابَهُمْ، وَكَانَ خَالِدٌ هُوَ الَّذِي كَتَبَهُ، وَكَانُوا لا يَأْكُلُونَ طَعَامًا يَأْتِيهِمْ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْكُلَ مِنْهُ خَالِدٌ حَتَّى أَسْلَمُوا .

وَقَدْ كَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاغِيَةَ، وَهِيَ اللاَّتُ لا يَهْدِمُهَا ثَلاثَ سِنِينَ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، فَمَا بَرِحُوا يَسْأَلُونَهُ سَنَةً سَنَةً وَيَأْبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى سَأَلُوهُ شَهْرًا وَاحِدًا بَعْدَ قُدُومِهِمْ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَدَعَهَا شَيْئًا مُسَمًّى، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِيمَا يُظْهِرُونَ أَنْ يَسْلَمُوا بِتَرْكِهَا مِنْ سُفَهَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُرَوِّعُوا قَوْمَهُمْ بِهَدْمِهَا حَتَّى يَدْخُلَهُمُ الإِسْلامُ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَهْدِمَانِهَا، وَقَدْ كَانُوا يَسْأَلُونَهُ مَعَ تَرْكِ الطَّاغِيَةِ أَنْ يُعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلاةِ وَأَنْ لا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَمَّا كَسْرُ أَوْثَانِكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَسَنُعْفِيكُمْ مِنْهُ، وَأَمَّا الصَّلاةُ فَلا خَيْرَ فِي دِينٍ لا صَلاةَ فِيهِ** ". فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابًا، أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ، وَكَانَ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُ

www.saida-islam.weebly.com

كَانَ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الإِسْلامِ وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ . فَلَمَّا فَرَغُوا مِنْ أَمْرِهِمْ وَتَوَجَّهُوا إِلَى بِلادِهِمْ رَاجِعِينَ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ فِي هَدْمِ الطَّاغِيَةِ، فَخَرَجَا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا الطَّائِفَ، أَرَادَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ أَنْ يُقَدِّمَ أَبَا سُفْيَانَ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ : ادْخُلْ أَنْتَ عَلَى قَوْمِك، وَأَقَامَ أَبُو سُفْيَانَ بِمَالِهِ بِذِي الْهَدْمِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، عَلاهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ، وَقَامَ دُونَهُ بَنُو مُعَتِّبٍ خَشْيَةَ أَنْ يُرْمَى أَوْ يُصَابَ كَمَا أُصِيبَ عُرْوَةُ، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسَّرًا يَبْكِينَ عَلَيْهَا، وَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ – وَالْمُغِيرَةُ يَضْرِبُهَا بِالْفَأْسِ – : واهًا لَك ! واهًا لَك !. فَلَمَّا هَدَمَهَا الْمُغِيرَةُ وَأَخَذَ مَالَهَا وَحُلِيَّهَا، أَرْسَلَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بِمَجْمُوعَ مَالِهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَزْعِ[1]. وَنَزَلَ مَنْ كَانَ مِنْهُم مِنَ الأَحْلافِ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَأَكْرَمَهُم، وضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَنْ كَانَ فِيهِم مِنْ بَنِي مَالِكٍ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِيهِم كُلَّ لَيلَةٍ بَعدَ العِشَاءِ فَيَقِفُ عَلَيهِم، ويُحَدِّثُهُم حَتَّى يُرَاوِحَ بَينَ قَدَمَيْهِ، ويَشْكُو قُرَيشاً، ويَذْكُرُ الحَربَ الَّتِي كَانَتْ بَينَهُ وبَينَهُم، ثُمَّ قَاضَى النَّبِيُّ ﷺ ثَقِيفاً عَلَى قَضِيَّةٍ، وعُلِّمُوا القُرْآنَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيهِم عُثْمَانَ بْنَ أَبِي العَاصِ، وَاسْتَعْفَتْ ثَقِيفٌ مِنْ هَدْمِ اللَّاتِ وَالعُزَّى فَأَعْفَاهُم . قَالَ المغِيرَةُ : فَكُنْتُ أَنَا هَدَمْتُهَا. قَالَ الْمُغِيرَةُ : فَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ، فَلَا أَعْلَمُ قوماً مِنَ العَرَبِ، بَنِي أَبٍ وَلَا قَبِيلَةٍ كَانُوا أَصَحَّ إِسْلَاماً وَلَا أَبْعَدَ أَنْ يُوجَدَ فِيهِم غِشٌّ للهِ ولِكِتَابِهِ مِنْهُم [2] .

*****

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم» (٣/٤٣٦ – ٤٣٨) .

(٢) «الطبقات الكبرى لابن سعد» (١/٣١٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثالث عشر

رحمته ﷺ بالمشركين بدعائه لهم بالهداية بدلاً من الدعاء عليهم بالهلاك مهما صدر منهم من أذى للمسلمين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ :" **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً** " [(١)]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**" [(٢)]. و فِي رِوَايَةٍ عَنْ كُرْزِ بْنِ سَامَةَ رضي الله عنه قَالَ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ، الْعَنْ بَنِي عَامِرٍ قَالَ :" **إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا** ". وَقَالَ :" **اللهُمَّ اهْدِ بَنِي عَامِرٍ** ". ثَلاثًا [(٣)] .

---

(١) رواه مسلم برقم (٦٧٧٨) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٢٩٨١) والصغير (٢٦٤) والحاكم في المستدرك (١٠٠) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه البزار، والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح . وقوله ﷺ : «**وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**» وقوله : «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» موافق لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا لِلۡعَٰلَمِينَ** ﴾[الأنبياء:١٠٧]، أي أنَّ الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمةً لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم؛ فأمَّا مؤمنهم فإنَّ الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذّبة رسلها من قبله. «تفسير الطبري» (١٣٨/١٠)؛ كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية أنه قَالَ :" **مَنْ آمَنَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ كُتِبَ لَهُ الرَّحْمَةُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ومَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ ورَسُولِهِ، عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الأُمَمَ مِنَ الخَسْفِ والقَذْفِ**". أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٨٩٢). وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً مُهْدَاةً، بُعِثْتُ بِرَفْعِ قَومٍ وخَفْضِ آخَرِينَ**". ذكره ابن كثير في تفسيره وعزاه للحافظ ابن عساكر (٢٠٦/٣). وأخرج الترمذي في سننه وحسَّنه (٣٦٢٠) والحاكم في المستدرك (٤٢٢٩) وصحَّحه عن أبي موسى رضي الله عنه في خبر خروج أبي طالب إلى الشام، وخروج النبي ﷺ معه، ونزولهم بالراهب، قال : فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلا يَلْتَفِتُ، قَالَ : فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : **هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** .

(٣) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥٩٠٢) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٤٧) . وقال القاضي عياض رحمه الله في كتابه «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» (٩١/١) : هو – يعني=

www.saida-islam.weebly.com

=النبي ﷺ – للمؤمن رحمة بالهداية، وللمنافق رحمة بالأمان من القتل، ورحمة للكافرين بتأخير العذاب اه. فأَمِنَ أعداؤُه من العذاب مدة حياته ﷺ فيهم، وذلك قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال : ٣٣] فلم يعذبهم مع استعجالهم إياه تحقيقاً لما نعته به. فالله ﷻ وصف كتابه بأنه كتاب هداية ورحمة، فقال ﷻ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]، وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١]، وقال : ﴿ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل:٧٦ – ٧٧]، وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢]؛ كما وصف نبيه ﷺ بأنه رحمة للعالمين، ووصف نبوته ورسالته ودعوته بالرحمة بقوله : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ ثم قال بعدها : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف:٣٢]، وبقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [القصص:٨٦]، وهو كقوله ﷻ : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الدخان:٥–٦]، وقوله : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف:٦٥]. وهذه الرحمة لا تتوقف عند حد معين، بل تتجاوز كل الحدود، وتتعدى إلى كل المخلوقات، حتى شملت أعدائه الذين يتفكرون لقتله وقتل أصحابه، فكان ﷺ يتفكر لهدايتهم، ويترفق بهم رجاء أن يتوب الله عليهم ويدخلهم دينه، ويجعلهم من أكابر أنصاره، وأعاظم أعوانه بعد طول ضلالهم، وكثرة ظلمهم وطغيانهم؛ فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "**اللَّهمَّ أعزَّ الإسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَوْ بِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ** "، فَجَعَلَ اللهُ دَعوَةَ رَسُولِهِ ﷺ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَبَنَى عَلَيهِ الإِسْلَامَ وهَدَمَ بِهِ الأَوْثَانَ. رواه الطبراني في الأوسط (٤٧٥٢) والحاكم في المستدرك (٤٤٨٥) وصحَّحه وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح غير مجالِد بن سعيد وقد وُثِّق. وجاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال عنه الحافظ في الفتح : قال الترمذي: حسن صحيح . قلت : وصحَّحه ابن حبان أيضاً اه. ومعلوم أنهما كانا من أشد المشركين عليه ﷺ وعلى دعوته وعلى أصحابه؛ كما أخرج أبو نعيم في الحلية (١/٤١) عن أَسْلَمَ قال: قال لنا عمر رضي الله عنه : **أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعْلِمَكُم أَوَّلَ إِسْلَامِي؟** قُلنَا: نَعَم، **قال: كُنْتُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَتَيتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَارٍ عِنْدَ الصَّفَا، أَهْدِهِ، قال: فقلت: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ في طُرُقِ مَكَّةَ** . فذكر الحديث. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **كَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ عِزّاً، وهِجْرَتُهُ نَصْراً، وإِمَارَتُهُ رَحْمَةً، واللهِ مَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نُصَلِّيَ حَولَ البَيتِ ظَاهِرِينَ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ** . وظَهَرَ من عِزِّ الإسلَامِ في=

www.saida-islam.weebly.com

=إِمَارَتِهِ شَرقاً وغَرباً، وفَتَحَ الشَّامَ والعِرَاقَ ومِصرَ، وكَسَّرَ عَسَاكِرَ كِسْرَى وقَيْصَرَ مَا تَحَقَّقَ بِهِ إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ ﷺ . فرحمته وسعت عمر وأمثاله، وشملهم دعاؤه، حتى دخل هو وكثيرٌ ممَّن نصب له العِدَاءَ في دِين الله ﷻ، وصاروا من أنصاره وأصحابه؛ ولم يكن همَّهُ ﷺ أن يحفظ نفسه ويحرز ماله من النَّاس، بل كان همه أن يحفظ النَّاس ويحرزهم من عذاب جهنم، فأخرج أحمد في مسنده (١٦٦٩١) عن ابنٍ لسعدٍ عن أبيه – وهو سعد الدليل: أو سعد العرجيُّ –، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُمْ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَتْ لِأَبِي بَكْرٍ عِنْدَنَا بِنْتٌ مُسْتَرْضَعَةٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرَادَ الِاخْتِصَارَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: هَذَا الْغَائِرُ مِنْ رَكُوبَةٍ، وَبِهِ لِصَّانِ مِنْ أَسْلَمَ يُقَالُ لَهُمَا الْمُهَانَانِ، فَإِنْ شِئْتَ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **خُذْ بِنَا عَلَيْهِمَا** ". قَالَ سَعْدٌ: فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفْنَا إِذَا أَحَدُهُمَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: هَذَا الْيَمَانِي. فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَا، ثُمَّ سَأَلَهُمَا عَنْ أَسْمَائِهِمَا، فَقَالَا: نَحْنُ الْمُهَانَانِ، فَقَالَ :" **بَلْ أَنْتُمَا الْمُكْرَمَانِ** ". وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْدَمَا عَلَيْهِ الْمَدِينَةَ. قال الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد، وابن سعد اسمه عبد الله ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وكان هذا في رحلة الهجرة؛ وممن لقيه ﷺ في رحلة الهجرة ودعاه إلى الله : **بريدة بن الحصيب الأسلمي**، فقد مرَّ به النبي ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وأصبح بريدة بعد ذلك من الدعاة إلى الإسلام، وفتح الله لقومه– أَسْلَم– على يديه أبواب الهداية، واندفعوا إلى الإسلام، فقال ﷺ :" **أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ، وغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، أَمَا وإِنِّي لَمْ أَقُلْهَا، ولَكِنْ قَالَهَا اللهُ ﷻ** ". رواه مسلم عن أبي هريرة (٢٥١٦) . وقد غزا مع الرسول ﷺ ست عشرة غزوة . رواه الشيخان. هذا وقد كان ﷺ دائم الفكر في هداية الناس، متواصل الدعاء لهم، حثيث السعي في إخراجهم من الظلمات إلى النور؛ فقال هند بن أبي هالة رضي الله عنه : **كَانَ رَسُولُ اللهِ مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ، وَلا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السُّكُوتِ**. رواه الترمذي في الشمائل المحمدية (٢٢٦) والطبراني في الكبير (٤١٤) والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٠) وأبو نعيم في المعرفة (٦٥٥٣) وقال الهيثمي في المجمع : فيه من لم يسمَّ . وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قَالَ : **انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِصَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ**. رواه أحمد في مسنده (١٦٣١٣) والنسائي في سننه (١٢١٤) والحاكم في المستدرك (٩٧١) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي . فكان ﷺ يبكي رحمةً بأمته، وخوفاً عليهم من الوقوع في الهلكة، وحرصاً على نجاتهم من عذاب الله ﷻ . وعَنِ الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ، قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ :" **إِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلنَّاسِ كَافَّةً، فَأَدُّوا عَنِّي يَرْحَمْكُمُ اللَّهُ، وَلا تَخْتَلِفُوا كَمَا اخْتَلَفَ الْحَوَارِيُّونَ عَلَى عِيسَى عليه السلام، فَإِنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى مِثْلِ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ، فَأَمَّا مَنْ قَرُبَ مَكَانُهُ، فَإِنَّهُ أَجَابَ وَأَسْلَمَ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ مَكَانُهُ فَكَرِهَهُ، فَشَكَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ=**

www.saida-islam.weebly.com

=ﷻ، **فَأَصْبَحُوا وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وُجِّهَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِ، فَامْضُوا فَافْعَلُوا** "، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نُؤَدِّي عَنْكَ، فابْعَثْنَا حَيْثُ شِئْتَ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بن حُذَافَةَ إِلَى كِسْرَى، وَبَعَثَ سَلِيطَ بنَ عَمْرٍو إِلَى هَوْذَةَ بن عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ، وَبَعَثَ الْعَلاءَ بن الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بن سَاوَى صَاحِبِ هَجَرَ، وَبَعَثَ عَمْرَو بن الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرَ وَعَبَّادِ ابْنَيِ جَلَنْدَا مَلِكَيْ عُمَانَ، وَبَعَثَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرَ، وَبَعَثَ شُجَاعَ بن وَهْبٍ الأَسَدِيَّ إِلَى الْمُنْذِرِ بن الْحَارِثِ بن أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَبَعَثَ عَمْرَو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَرَجَعُوا جَمِيعًا قَبْلَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ الْعَلاءِ بن الْحَضْرَمِيِّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ وَهُوَ بِالْبَحْرَيْنِ. رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٤٤) وقال الهيثمي في المجمع : وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف. وهذه هي الرحمة الكبرى التي بُعِثَ بها النبيُّ الكريم ﷺ، وأُنزِلَ بها القرآنُ الكريم، وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما قال ﷻ : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١]، وقال ﷺ : **"إِنِّي رَحْمَةٌ، بَعَثَنِي اللهُ، وَلَا يَتَوَفَّانِي حَتَّى يُظْهِرَ اللهُ دِينَهُ** ". رواه الطبراني في الكبير عن جبير بن مطعم (١٥٣٢) وقال أحمد ابن صالح : أرجو أن يكون الحديث صحيحاً . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله ثقات . لذلك كان ﷺ أكثرَ الخلق نصيباً من رحمة الله ﷻ في الدنيا والآخرة، لأنه كَانَ أَرْحَمَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، وأَنْفَعَهُمْ لَهُمْ، وأَحْرَصَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، كَمَا وَصَفَهُ ﷻ بِذَلِكَ، فَقَالَ : ﴿ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: ١٢٨]. والجزاء من جنس العمل، فَكَانَ ﷺ أَحْظَى النَّاسِ بِالصَّلَاةِ مِنَ اللهِ ومَلَائِكَتِهِ وسَائِرِ الخلائق، فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] . كَمَا أَنَّ مَنْ سَخَّرَ نَفْسَهُ لِهَذِهِ الرَّحْمَةِ، وسَعَى فِي إِيْصَالِهَا إِلَى النَّاسِ، كَيْ لا يَقَعُوا فِي التَّهْلُكَةِ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ بِنَفْسِهِ يَرْحَمُهُ، ويُسَخِّرُ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَيهِ، كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأحزاب:٤٣]. وقَالَ ﷻ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر:٧]. ولا شَكَّ أَنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذِهِ الصَّلاةِ مِنَ اللَّهِ ﷻ وحَمَلَةِ عَرْشِهِ وسَائِرِ مَلائِكَتِهِ هو رسوله الكريم ﷺ، ومن مشى على طريقه، وسار على سبيله في دعوة الْعِبَادِ إِلى اللَّهِ ﷻ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ فَهَؤُلاءِ يُسَخِّرُ اللَّهُ ﷻ مَخْلُوقَاتِهِ لِلصَّلاةِ عَلَيهِمْ، كما قَالَ ﷺ:=

www.saida-islam.weebly.com

="**إِنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ وأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وأَهْلَ الأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ في جُحْرِهَا، والْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الْخَيْرَ**". رواه الترمذي في سننه عن أبي أمامة (٢٦٨٥) وقال النووي في «رياض الصالحين»: قال الترمذي: حديث حسن. فَالصَّلاةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ رَحْمَةٌ لَهُمْ، ومِنَ الْعِبَادِ دُعَاءٌ لَهُمْ وَاسْتِغْفَارٌ، كَيْ لا يَقَعُوا في هَلَكَةِ الذُّنُوبِ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ خُرُوجُهُم لِلنَّاسِ لإِخْرَاجِهِم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وتَعْلِيمُهُمُ الْخَيرَ سَبَباً لِنَجَاتِهِم وسَعَادَتِهِم وزَكَاةِ نُفُوسِهِمْ، جَازَاهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِم، بِأَنْ جَعَلَ عَلَيهِمْ مِنْ صَلاتِهِ وصَلاةِ مَلائِكَتِهِ وأَهْلِ الأَرْضِ، مَا يَكُونُ سَبَباً لِنَجَاتِهِم وسَعَادَتِهِم وفَلاحِهِمْ؛ كَمَا أَنَّهُم لَمَّا كَانُوا مُظْهِرِينَ لِدِينِ الرَّبِّ ﷻ وأَحْكَامِهِ، ومُعَرِّفِينَ بِأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ، جَعَلَ اللَّهُ مِنْ صَلاتِهِ وصَلاةِ أَهْلِ سَمَاوَاتِهِ وأَرْضِهِ عَلَيهِمْ مَا يَكُونُ تَنْوِيهاً بِهِمْ، وتَشْرِيفاً لَهُمْ، وإِظْهَاراً لِلثَّنَاءِ عَلَيهِمْ بَينَ أَهْلِ السَّمَاءِ والأَرْضِ. «مفتاح دار السعادة» (٨٢/١) بتصرف يسير. وهَذِهِ الأُمَّةُ تَنُوبُ عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ في إِيْصَالِ هَذِهِ الرَّحْمَةِ إِلى الْعِبَادِ؛ وعِزَّتُهَا وسُؤْدَدُهَا والتَّمْكِينُ لَهَا في الأَرْضِ مَرْبُوطٌ بِقِيَامِهَا بِهَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، وإِذَا تَرَكَتْ هَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةَ، وأَخْلَدَتْ إِلى الأَرْضِ، ورَضِيَتْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا واطْمَأَنَّتْ إِلَيهَا، وبَخِلَتْ بِأَمْوَالِهَا وأَنْفُسِهَا عَلَى دِينِ اللَّهِ، واسْتَبْدَلَتِ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيرٌ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَوَعَّدَهُمْ بِالْعَذَابِ الأَلِيمِ، وبِالذِّلَّةِ حَتَّى يَرْجِعُوا لِلْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ **إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التوبة:٣٩] ، وقَالَ ﷻ : ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم** ﴾ [محمد:٣٨]. وهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَفْهَمُونَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ إِلى النَّاسِ كَافَّةً بِالرَّحْمَةِ، لِذَلِكَ قَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ﷺ مُبَيِّناً مَقْصَدَ خُرُوجِ الصَّحَابَةِ في سَبِيلِ اللَّهِ :" **اللَّهُ ابْتَعَثَنَا، لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العباد إِلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ** ". «تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣٩/٧) . وعن زياد بن جُزْءٍ الزبيديِّ، قال : افْتَتَحْنَا الإِسْكَنْدَرِيَّةَ في خِلافَةِ عُمَرَ ﷺ، فذكر الحديث وفيه، ثُمَّ وَقَفْنَا بِبَلْهِيبَ، وأَقَمْنَا نَنْظُرُ كِتَابَ عُمَرَ حَتَّى جَاءَنَا، فَقَرَأَهُ عَلَينَا عَمْرٌو ﷺ وفِيهِ : .. **فَاعْرِضْ عَلَى صَاحِبِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَنْ يُعْطِيَكَ الجِزْيَةَ عَلَى أَنْ تُخَيِّرُوْا مَنْ في أَيْدِيكُم مِنْ سَبْيِهِم بَينَ الإِسْلامِ وبَينَ دِينِ قَومِهِ، فَمَنِ اخْتَارَ الإِسْلامَ فَهُوَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَهُ مَا لَهُم، وعَلَيهِ مَا عَلَيهِم، ومَنِ اخْتَارَ دِينَ قَوْمِهِ فَضَعْ عَلَيهِ الجِزْيَةَ مَا يُوضَعُ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ** .. قَالَ زيادٌ : فَجَمَعْنَا مَا في أَيْدِينَا مِنَ السَّبَايَا وَاجْتَمَعَتِ النَّصَارَى، فَجَعَلْنَا نَأْتِي بِالرَّجُلِ مِمَّنْ في أَيْدِينَا ثُمَّ نُخَيِّرُهُ بَينَ الإِسْلامِ والنَّصْرَانِيَّةِ، فَإِذَا اخْتَارَ الإِسْلامَ كَبَّرْنَا تَكْبِيرَةً هِيَ أَشَدُّ مِنْ تَكْبِيرِنَا حِينَ يُفْتَحُ الْحِصْنُ، قَالَ: ثُمَّ نَحُوْزُهُ إِلَينَا، وإِذَا اخْتَارَ النَّصْرَانِيَّةَ نَخَرَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ حَازُوهُ إِلَيهِم، وَوَضَعْنَا عَلَيهِ الجِزْيَةَ وجَزِعْنَا مِنْ ذَلِكَ جَزَعاً شَدِيداً حَتَّى كَأَنَّهُ رَجُلٌ خَرَجَ مِنَّا إِلَيهِم.=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=«تاريخ الطبري» (٤/٢٢٧) . وعن أبي عمران الجوني قال: مَرَّ عُمَرُ رضي الله عنه بِرَاهِبٍ، فَوَقَفَ ونُودِيَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ : هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَاطَّلَعَ فَإِذَا إِنْسَانٌ بِهِ مِنَ الضُّرِّ والِاجْتِهَادِ وتَرْكِ الدُّنيَا، فَلَمَّا رَآهُ عُمَرُ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ نَصرَانِيٌّ، فَقَالَ عُمَرُ: **قَدْ عَلِمْتُ ولَكِنِّي رَحِمْتُهُ، ذَكَرْتُ قَولَ اللهِ** ﷻ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٣، ٤]، **رَحِمْتُ نَصَبَهُ وَاجْتِهَادَهُ وهُوَ في النَّارِ**. أخرجه البيهقي وابن المنذر والحاكم كما في كنز العمال. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤١٦) عَنْ يَزِيدَ ابْنِ الأَصَمِّ، قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ذُو بَأْسٍ، وَكَانَ يَفِدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَفَقَدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ : **مَا فَعَلَ فَلانُ بْنُ فُلانٍ؟** قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، يُتَابِعُ فِي هَذَا الشَّرَابِ، قَالَ: فَدَعَا عُمَرُ كَاتِبَهُ، فَقَالَ : **اكْتُبْ : مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى فُلانِ بْنِ فُلانٍ، سَلامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرِ** . ثُمَّ قَالَ لأَصْحَابِهِ : **ادْعُوا اللَّهَ لأَخِيكُمْ أَنْ يُقْبِلَ بِقَلْبِهِ، وَأَنْ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ** . فَلَمَّا بَلَغَ الرَّجُلَ كِتَابُ عُمَرَ، جَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَيُرَدِّدُهُ غَافِرُ الذَّنْبِ، وَقَابِلُ التَّوْبِ، شَدِيدُ الْعِقَابِ، قَدْ حَذَّرَنِي عُقُوبَتَهُ، وَوَعَدَنِي أَنْ يَغْفِرَ لِي . وأخرج أبو داوود في سننه (٥١٩) بإسناد حسن، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، قَالَتْ : كَانَ بَيْتِي مِنْ أَطْوَلِ بَيْتٍ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ بِلاَلٌ رضي الله عنه يُؤَذِّنُ عَلَيْهِ الْفَجْرَ، فَيَأْتِي بِسَحَرٍ فَيَجْلِسُ عَلَى الْبَيْتِ يَنْظُرُ إِلَى الْفَجْرِ، فَإِذَا رَآهُ تَمَطَّى ثُمَّ قَالَ : **اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ وَأَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ يُقِيمُوا دِينَكَ**. قَالَتْ : ثُمَّ يُؤَذِّنُ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهُ كَانَ تَرَكَهَا لَيْلَةً وَاحِدَةً تَعْنِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الرابع عشر

رحمته ﷺ بزعيم المنافقين عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول على ما كان منه من الأذى، وذلك بصلاته عليه رجاء المغفرة له وترغيباً لأمثاله بالتوبة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : **لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ**(١) **جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ**(٢) **إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكَفِّنَ فِيهِ أَبَاهُ،**

---

(١) هو عبدالله بن أبيٍّ بن مالك، وسلول أم أبيّ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يُتَوِّجُوهُ ويسندوا أمرهم إليه قبل مبعث النبي ﷺ، فلما ظهر النبي ﷺ، وانصرف الخزرج وغيرهم إليه، حسده عبد الله، وناصبه العداوة، غير أن الإسلام غلبه فنافق، وكان رأسًا في المنافقين، وهو أعظمهم نفاقًا، وأشدهم كفرًا؛ وذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّهُ مَاتَ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِمْ مِنْ تَبُوكَ، وَذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَة سَنَةَ تِسْع، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ هُوَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَزْوَة تَبُوكَ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ﴾ [التوبة:٤٧] . «فتح الباري» (٨/٣٣٤) .

(٢) هو عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري، كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، ومن أصدقهم إسلامًا، وأكثرهم عبادة، وأشرحهم صدرًا رضي الله عنهم. شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان أبرَّ الناس بأبيه هذا؛ وَمِنْ مَنَاقِبِهِ : أَنَّهُ بَلَغَهُ بَعْضُ مَقَالات أَبِيه، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيّ ﷺ يَسْتَأْذِنهُ فِي قَتْله، قَالَ :" **بَلْ أَحْسِنْ صُحْبَتَهُ** ". أَخْرَجَهُ ابْن مَنْدَهْ مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة بِإِسْنَادٍ حَسَن. وكان اسمه الحباب فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، ولَمَّا قال أبوه : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾، وَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ قَالَ لَهُ ابْنُهُ: وَرَاءَكَ. فَقَالَ: مَا لَكَ؟ وَيْلَكَ. فَقَالَ: والله لا تجوز من هاهنا حَتَّى يأذنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ الْعَزِيزُ وَأَنْتَ الذَّلِيلُ. فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. قَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا حَتَّى تَأْذَنَ لَهُ. فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجُز الْآنَ. «تفسير ابن كثير» (٨/١٣٢) . وأَتَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، إنّهُ بَلَغَنِي أَنّك تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيٍّ فِيمَا بَلَغَك عَنْهُ، فَإِنْ كُنْت لا بُدّ فَاعِلاً فَمُرْنِي بِهِ، فَأَنَا أَحْمِلُ إلَيْك رَأْسَهُ؛ فَوَاَللّهِ لَقَدْ عَلِمَتْ الْخَزْرَجُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبَرَّ بِوَالِدِهِ مِنّي، وَإِنّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلُهُ، فَلا تَدَعْنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيّ يَمْشِي فِي النّاسِ فَأَقْتُلُهُ، فَأَقْتُلُ رَجُلا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ فَأَدْخُلُ النّارَ . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **بَلْ نَتَرَفّقُ بِهِ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا** ". «سيرة ابن هشام» (٢/٢٩٢). وكان حريصاً على إسلام أبيه، وعلى أن ينتفع أبوه من بركات رسول الله ﷺ بشيء، ولذلك سأل النبيَّ ﷺ أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه؛ قال ابن عبد البر : كان رسول الله =

www.saida-islam.weebly.com

فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ[١]؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ، فَقَامَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ [٢]. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللَّهُ فَقَالَ : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ [٣]". قَالَ : إِنَّهُ مُنَافِقٌ . فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٤] .

=ﷺ يثني على عبد الله بن عبد الله بن أبيٍّ هذا، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة وروت عنه عائشة رضي الله عنها. «الاستيعاب» (٢٨٧/١) و«فتح الباري» (٣٣٤/٨).

(١) كَأَنَّهُ كَانَ يَحْمِل أَمْر أَبِيهِ عَلَى ظَاهِر الإِسْلام، فَلِذَلِكَ الْتَمَسَ مِن النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ .

(٢) جاء في الرِّوَايَة الأخرى بِلَفْظِ : فَقَالَ تُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاك اللَّه أَنْ تَسْتَغْفِر لَهُمْ . وَوَقَعَ عِنْدَ ابْن مَرْدَوَيْهِ عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قال : فَقَالَ عُمَر : أَتُصَلِّي عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَاك اللَّه أَنْ تُصَلِّي عَلَيْهِ ؟ قَالَ : أَيْنَ ؟ قَالَ : قَالَ : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ الآيَة؛ فَكَأَنَّ عُمَر قَدْ فَهِمَ مِن الآيَة الْمَذْكُورَة مَا هُوَ الأَكْثَر الأَغْلَب مِنْ لِسَان الْعَرَب مِنْ أَنَّ «أَوْ» لَيْسَتْ لِلتَّخْيِيرِ، بَلْ لِلتَّسْوِيَةِ فِي عَدَم الْوَصْف الْمَذْكُور؛أَيْ أَنَّ الاسْتِغْفَار لَهُمْ وَعَدَم الاسْتِغْفَار سَوَاءٌ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المنافقون:٦]؛ لَكِن الثَّانِيَة أَصْرَح، وَفَهِمَ عُمَر أَيْضًا مِنْ قَوْله : ﴿ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ أَنَّهَا لِلْمُبَالَغَةِ، وَأَنَّ الْعَدَد الْمُعَيَّن لا مَفْهُوم لَهُ، بَل الْمُرَاد نَفْيُ الْمَغْفِرَة لَهُمْ وَلَوْ كَثُرَ الاسْتِغْفَار، فَيَحْصُل مِنْ ذَلِكَ النَّهْي عَنْ الاسْتِغْفَار فَأَطْلَقَهُ، وَفَهِمَ أَيْضًا أَنَّ الْمَقْصُود الأَعْظَم مِن الصَّلاة عَلَى الْمَيِّت طَلَب الْمَغْفِرَة لِلْمَيِّتِ وَالشَّفَاعَة لَهُ، فَلِذَلِكَ اسْتَلْزَمَ عِنْدَهُ النَّهْي عَنْ الاسْتِغْفَار تَرْك الصَّلاة، وَلِهَذِهِ الأُمُور اسْتَنْكَرَ إِرَادَة الصَّلاة عَلَى عَبْد اللَّه بْن أُبَيٍّ . هَذَا تَقْرِير مَا صَدَرَ عَنْ عُمَر مَعَ مَا عُرِفَ مِنْ شِدَّة صَلابَته فِي الدِّين وَكَثْرَة بُغْضه لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، فَلِذَلِكَ أَقْدَمَ عَلَى كَلامه لِلنَّبِيِّ ﷺ بِمَا قَالَ . قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير : وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عُمَر حِرْصًا عَلَى النَّبِيّ ﷺ وَمَشُورَةً لا إِلْزَامًا، وَلَهُ عَوَائِد بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَشَارَ بِالَّذِي ظَهَرَ لَهُ فَقَطْ، وَلِهَذَا احْتَمَلَ مِنْهُ النَّبِيّ ﷺ أَخَذَهُ بِثَوْبِهِ وَمُخَاطَبَته لَهُ فِي مِثْل ذَلِكَ الْمَقَام، حَتَّى الْتَفَتَ إِلَيْهِ مُتَبَسِّمًا . «فتح الباري» (٣٣٥/٨) .

(٣) فيه بيان عظيم رحمته ﷺ بأشد المنافقين له عداءً؛ وتجاوزه عن أخطائه بحقه ﷺ، رجاء أن يغفر له؛ وروي أنه ﷺ أَطَالَ فِي حَال الصَّلاة عَلَيْهِ مِن الاسْتِغْفَار لَهُ، فَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ أَنَّ مُجَمِّعَ بْنَ جَارِيَة قَالَ : مَا رَأَيْت رَسُول اللَّه ﷺ أَطَالَ عَلَى جِنَازَة قَطُّ مَا أَطَالَ عَلَى جِنَازَة عَبْد اللَّه بْن أُبَيٍّ مِن الْوُقُوف . وَرَوَى الطَّبَرِيُّ (١٧٠٢٤) عَنِ الشَّعْبِيّ قَالَ : قَالَ النَّبِيّ ﷺ :" قَالَ اللَّه : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ فَأَنَا أَسْتَغْفِر لَهُمْ سَبْعِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِينَ ".

(٤) جَزْمُ عُمَر بِأَنَّهُ مُنَافِق جَرَى عَلَى مَا كَانَ يَطَّلِع عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَاله؛ وَإِنَّمَا لَمْ يَأْخُذ النَّبِيّ ﷺ بِقَوْلِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ إِجْرَاء لَهُ عَلَى ظَاهِر حُكْم الإِسْلام، ولِكَمَالِ شَفَقَته عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ بِطَرَفٍ مِنَ الدِّين، =

www.saida-islam.weebly.com

وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [١] .

وعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : **لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ الْقَائِلِ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا : كَذَا وَكَذَا، يَعُدُّ أَيَّامَهُ** [٢]. **قَالَ : وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ، حَتَّى**

=وَلِتَطْيِيبِ قَلْب وَلَده عَبْد اللَّه الرَّجُل الصَّالِح، وَلِتَأَلُّفِ قَوْمه مِنْ الْخَزْرَج وتابعيه لِرِيَاسَتِهِ فِيهِمْ، فقد كان يدين له بالولاء فئةٌ كبيرةٌ من المنافقين، فعسى أن يتأثروا ويرجعوا عن نفاقهم ويعتبروا ويخلصوا لله ولرسوله؛ فَلَوْ لَمْ يُجِبْ سُؤَال ابْنه وَتَرَكَ الصَّلاة عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُود النَّهْي الصَّرِيح لَكَانَ سُبَّةً عَلَى ابْنه وَعَارًا عَلَى قَوْمه، فَاسْتَعْمَلَ أَحْسَن الأَمْرَيْنِ فِي السِّيَاسَة إِلَى أَنْ نُهِيَ فَانْتَهَى. وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ (١٧٠٥٨) عَنْ قَتَادَةَ فِي هَذِهِ الْقِصَّة قَالَ : فَذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّه ﷺ قَالَ :" **وَمَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِن اللَّه، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ بِذَلِكَ أَلْفٌ مِنْ قَوْمه** ". وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّل الأَمْر يَصْبِر عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَيَعْفُو وَيَصْفَح ثُمَّ أُمِرَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَاسْتَمَرَّ صَفْحُهُ وَعَفْوُهُ عَمَّن يُظْهِر الإِسْلام وَلَوْ كَانَ بَاطِنه عَلَى خِلاف ذَلِكَ لِمَصْلَحَةِ الاسْتِئْلاف وَعَدَم التَّنْفِير عَنْهُ وَلِذَلِكَ قَالَ :" **لا يَتَحَدَّثُ النَّاس أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**". «فتح الباري» (٣٣٦/٨) .

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٧٠) (٤٦٧٢) (٥٧٩٦) ومسلم (٦٣٦٠) (٧٢٠٣) .

(٢) أخرج البخاري (٣٥١٨) ومسلم (٦٧٨٤) عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : كُنَّا فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِن الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ.. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** ".. فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ : أَوَقَدْ فَعَلُوا؟ وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **دَعْهُ لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ** ". وأخرج البخاري (٤٩٠٠ إلى ٤٩٠٤) ومسلم (٧٢٠٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ ابْنَ سَلُولَ يَقُولُ : لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا؛ وَقَالَ أَيْضًا : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ؛ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ :" **إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ** ". وأخرج البخاري (٤٥٦٦)=

www.saida-islam.weebly.com

=(٥٦٦٣) عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أنه أَخْبَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ وَأُسَامَةُ وَرَاءَهُ يَعُودُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي بَنِي حَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَا حَتَّى مَرَّا بِمَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ ابْنُ أُبَيٍّ أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ : لا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا . فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثُمَّ وَقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ : أَيُّهَا الْمَرْءُ لا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ إِنْ كَانَ حَقًّا، فَلا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، فَمَنْ جَاءَكَ فَاقْصُصْ عَلَيْهِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشَنَا فِي مَجَالِسِنَا، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، فَاسْتَبَّ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَابَّتَهُ فَسَارَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ** – يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ – **قَالَ كَذَا وَكَذَا** ". فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ، اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ، فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ، لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، وَلَقَدِ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ وَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ، فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ . فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ **وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ** ﴾ الآيَةَ؛ وَقَالَ : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ** ﴾؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَأَوَّلُ فِي الْعَفْوِ عَنْهُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بِهَا مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ الْكُفَّارِ وَسَادَةِ قُرَيْشٍ، فَقَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَنْصُورِينَ غَانِمِينَ، مَعَهُمْ أُسَارَى مِنْ صَنَادِيدِ الْكُفَّارِ وَسَادَةِ قُرَيْشٍ، قَالَ ابْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأَوْثَانِ : هَذَا أَمْرٌ قَدْ تَوَجَّهَ، فَبَايِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ فَأَسْلَمُوا . كما أنه آذى النبي ﷺ في أهله، فكان هو الذي تولى كبر الإفك في حق السيدة الصديقة عائشة رضي الله عنها، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فقال :" **يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا** ". وكانت له اتصالات ببني النضير يتآمر معهم ضد المسلمين، وقال لهم : ﴿ **لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ** ﴾ [**الحشر** : ١١] . وكذلك فعل هو وأصحابه في غزوة الأحزاب، من إثارة القلق والاضطراب، وإلقاء الرعب والدهشة في قلوب المؤمنين ما قَصَّهُ الله ﷻ في سورة الأحزاب : ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا** ﴾؛ وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ – كَمَا حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيِّ – لَهُ مَقَامٌ يَقُومُهُ كُلَّ جُمُعَةٍ لا يُنْكِرُ شَرَفًا لَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِي قَوْمِهِ – وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا – إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ قَامَ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ=

www.saida-islam.weebly.com

إِذَا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ :" أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ؛ إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي : ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾؛ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ ". قَالَ : ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، وَمَشَى مَعَهُ، فَقَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى فُرِغَ مِنْهُ[1]؛ قَالَ : فَعُجِبَ لِي وَجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلاَّ يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الآيَتَانِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ . قَالَ : فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ، وَلا قَامَ عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ" [2] .

*****

=وَأَعَزِّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ وَعَزِّرُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا؛ ثُمّ يَجْلِسُ، حَتّى إذَا صَنَعَ يَوْمَ أُحُدٍ مَا صَنَعَ وَرَجَعَ بِالنّاسِ، قَامَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُهُ، فَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ بِثِيَابِهِ مِنْ نَوَاحِيهِ وَقَالُوا : اجْلِسْ أَيْ عَدُوَّ اللّهِ، لَسْت لِذَلِكَ بِأَهْلٍ، وَقَدْ صَنَعْت مَا صَنَعْت، فَخَرَجَ يَتَخَطّى رِقَابَ النّاسِ وَهُوَ يَقُولُ : وَاَللّهِ لَكَأَنّمَا قُلْت بَجْرًا إنْ قُمْت أُشَدِّدُ أَمْرَهُ . فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ .. فقَالَ : وَيْلَك ارْجِعْ يَسْتَغْفِرْ لَك رَسُولُ اللّهِ ﷺ . قَالَ : وَاَللّهِ مَا ابْتَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي . «سيرة ابن هشام» (١٠٥/٢) . ومع هذا كله — وغيره كثير – فقد صلى عليه النبي ﷺ واستغفر له، رجاء أن يغفر الله له؛ فأيُّ رحمةٍ كانت في قلبه ﷺ للناس، حتى على ألدِّ أعدائه؛ فصدق الله العظيم حين قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

(١) ومن صور رحمته ﷺ بالمنافقين ما رواه الطبراني في الكبير (٣٤٧٥) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ حَرْمَلَةُ بنُ زَيْدٍ الأنصاريُّ، أحد بني حارثة، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الإِيْمَانُ هَهُنَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ، وَالنِّفَاقُ هَهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَلا يَذْكُرُ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً، فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَرَدَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَسَكَتَ حَرْمَلَةُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِطَرَفِ لِسَانِ حَرْمَلَةَ، فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى الْخَيْرِ** ". فَقَالَ حَرْمَلَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِخْوَانًا مُنَافِقِينَ كُنْتُ فِيهِمْ رَأْسًا، أَفَلا أَدُلُّكَ عَلَيْهِمْ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَى ذَنْبِهِ فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِ، وَلا تَخْرِقْ عَلَى أَحَدٍ سَتْرًا** ". قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٩٥) والترمذي في سننه (٣٠٩٧) وقال : حديث حسن صحيح غريب .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ عَشَرَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَبْرِ اليَهُودِيِّ بِحِلْمِهِ عَلَيهِ مِمَّا أَدَّى إِلَى هِدَايَتِهِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن سَلامٍ ﷺ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بن سَعْنَةَ، قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : مَا مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا[١] مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا تَزِيدُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْطُفُ لَهُ لِأَنْ أُخَالِطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ .

قَالَ زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ[٢] وَمَعَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةَ بني فُلانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الإِسْلامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا[٣]، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ[٤] وَشِدَّةٌ وقُحُوطٌ[٥] مِنَ الْغَيْثِ[٦]، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الإِسْلامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتَ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أُرَاهُ عَلِيًّا ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ .

قَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي تَمْرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بني فُلانٍ إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : لا يَا يَهُودِيُّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ تَمْرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلا تُسَمِّي حَائِطَ بني فُلانٍ، قُلْتُ : بَلَى، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي[٧]،

---

(١) أي لم أعرف خبرهما على الحقيقة عن تجربة .

(٢) الحجرات : جمع حجرة وهي منازل أزواج النبي ﷺ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلاَّ من المغرب وكانت أبوابها شارعة في المسجد . «أخبار مدينة الرسول ﷺ » .

(٣) أي واسعاً .

(٤) أي جدب .

(٥) أي احتباس .

(٦) أي المطر .

(٧) الهميان : كيس يجعل فيه النفقة ويشدُّ على الوسط؛ وجمعه هَمَايِينُ .

www.saida-islam.weebly.com

فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالاً[١] مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمْرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعِنْهُمْ بِهَا[٢]. فَقَالَ زَيْدُ بن سَعْنَةَ : فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ[٣] الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ[٤] قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بني عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَمُطْلٌ[٥]، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عَلِمٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكِ الْمُسْتَدِيرِ[٦]، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلا مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ[٧] لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وتُؤَدَةٍ[٨]، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا[٩]، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التِّبَاعَةِ[١٠]، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ

---

(١) قال في النهاية : المِثْقال في الأصل : مِقْدَارٌ من الوَزْن أيَّ شيء كان من قَلِيل أو كثير فمعْنى مِثْقال ذرَّة : وزْن ذرَّة . والناس يُطْلقونه في العُرف على الدّينار خاصَّة وليس كذلك اه . وقدره في الموازين عشرون قيراطاً، وهو ما يعادل (٢٤،٤) غراماً «معجم لغة الفقهاء» .

(٢) فيه شدة رحمته ﷺ بأمته وخوفه عليهم من الردة الموقعة لهم في الهلكة، فيقترض على نفسه، ويحمل نفسه الديون، لينقذهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

(٣) مصدر ميمي من الحلول، أي قبل مجيء وقت الأداء .

(٤) أي بمواضع اجتماع قميصه وردائه .

(٥) بضم ميم وطاء وسكونها. جمع مَطُول، من المطل : وهو التَّسْويفُ بالعِدَةِ والدَّيْنِ، ومَدُّ الحَبْلِ والحديدِ وسَبْكُه وطَبْعُهُ وصَوْغُه بَيْضَةً «القاموس المحيط » .

(٦) هو مدار النجوم من السماء، وقيل : موج البحر؛ شبَّه بهما العينين في الاضطراب والاستدارة، وهي كناية عن شدة غضب سيدنا عمر رضي الله عنه لله ولرسوله «حاشية الشيخ إلياس البارة بنكوي على حياة الصحابة» (١٩٧/١) .

(٧) أي عذاب الله . وفي السيرة النبوية (٢٥٠/٣) أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت «حاشية البارة بنكوي» (١٩٧/١) .

(٨) التؤدة كهُمَزَة : وهي الرزانة والتأني .

(٩) أي أنا واليهودي كنَّا أحوج إلى غير هذا الذي صدر منك بالنسبة إلى ما حدث منك وهو الغضب.

(١٠) أي حسن التقاضي . كما في «السيرة النبوية» (٢٥١/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

مَكَانَ مَا رَوَّعْتَهُ[١]، قَالَ زَيْدٌ : فَذَهَبَ بِي عُمَرُ ﷺ، فَأَعْطَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ ؟ فَقَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُكَ، قُلْتُ : وتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ ؟ قَالَ : لا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ : أَنَا زَيْدُ بنُ سَعْنَةَ، قَالَ : الْحَبْرُ[٢]، قُلْتُ: الْحَبْرُ، قَالَ : فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا فَعَلْتَ، وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتَ[٣]؟ قُلْتُ: يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِيدُهُ الْجَهْلُ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا[٤]، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي – وَإِنِّي أَكْثَرُهَا[٥] مَالاً – صَدَقَةٌ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لا تَسَعُهُمْ، قُلْتُ : أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ زَيْدٌ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ[٦] كَثِيرَةً؛ ثُمَّ تُوُفِّيَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلاً غَيرَ مُدْبِرٍ[٧]. رَحِمَ اللهُ زَيْداً [٨] .

---

(١) أي أفزعته، والظاهر أن رسول الله ﷺ كلَّم سيدنا عمر ﷺ هذا الكلام سرّاً، كما سيتضح بعده من سؤال زيد بن سعنة ﷺ : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ والله أعلم «حاشية البارة بنكوي» (١٩٨/١) .

(٢) بالفتح والكسر، هو العالم . وسيدنا عمر كان يعرف الاسم ولا يعرف الشكل .

(٣) يقول سيدنا عمر ﷺ ذلك لأنه ليس من شأن العلماء الذين لهم معرفة بصفات النبي الأمي ﷺ في الكتب السابقة أن يصنعوا مثل هذا الصنيع «حاشية البارة بنكوي» (١٩٨/١) .

(٤) معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى قوله : أنه لم يطلب غير الله ﷻ، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلاَّ ما يوافق شريعة محمد ﷺ، فلا شك في أنَّ من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه «فتح الملهم للعثماني » (٢٠٨/١) .

(٥) أي أكثر أهل المدينة .

(٦) هي المغازي، لأنها موضع الشهادة «حاشية البارة بنكوي» .

(٧) أي مقبلاً على طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ غير مدبر أي غير مولٍّ ظهره عن سبيل الله «حاشية البارة بنكوي».

(٨) رواه الطبراني في الكبير (٥٠٠٢) وقال الهيثمي : رجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً . وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» : هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة . وأورد الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة» هذه القصة، وعزاها إلى الطبراني والحاكم وأبي الشيخ في =

www.saida-islam.weebly.com

=كتابه «أخلاق النبي ﷺ » وابن سعد وغيرهم ثم قال: ورجال الإسناد موثقون، وقد صرَّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد، وثَّقه ابن معين وليَّنه أبو حاتم (٦٠٦/٢) ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرى عن الزهري مرسلاً (٣٦١/١) وقال فيه: وأسلم أهل بيت اليهودي كلُّهم إلاَّ شيخاً كان ابن مائة سنة فعسا على الكفر . وبمعناه ما رواه الحاكم في المستدرك (٤٢٤٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٨١/٦) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنْ يَهُودِيًّا، كَانَ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجِرَةُ كَانَ لَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَنَانِيرُ فَتَقَاضَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَهُ :" **يَا يَهُودِيُّ، مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ** ". قَالَ: فَإِنِّي لَا أُفَارِقُكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى تُعْطِيَنِي، فَقَالَ ﷺ :" **إِذًا أَجْلِسُ مَعَكَ**". فَجَلَسَ مَعَهُ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ الْآخِرَةَ وَالْغَدَاةَ وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَدَّدُونَهُ وَيَتَوَعَّدُونَهُ، فَفَطِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" **مَا الَّذِي تَصْنَعُونَ بِهِ؟**" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَهُودِيٌّ يَحْبِسُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**مَنَعَنِي رَبِّي أَنْ أَظْلِمَ مُعَاهَدًا وَلَا غَيْرَهُ** ". فَلَمَّا تَرَحَّلَ النَّهَارُ قَالَ الْيَهُودِيُّ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَالَ: شَطْرُ مَالِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا فَعَلْتُ الَّذِي فَعَلْتُ بِكَ إِلَّا لِأَنْظُرَ إِلَى نَعْتِكَ فِي التَّوْرَاةِ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا مُتَزَيٍّ بِالْفُحْشِ، وَلَا قَوْلِ الْخَنَا، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، هَذَا مَالِي فَاحْكُمْ فِيهِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، وَكَانَ الْيَهُودِيُّ كَثِيرَ الْمَالِ. وفيه أبو علي بن الأشعث، قال فيه الحافظ في الإصابة: أحد الضعفاء. وقد جاءت الأحاديث في النهي عن ظلم المعاهد والاعتداء عليه والوعيد الشديد على ذلك؛ منها : ما رواه البخاري في صحيحه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما (٣١٦٦) عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" **مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا** ". وروى أبو داوود في سننه (٣٠٥٤) عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ". قال الحافظ العراقي : إسناده جيد . وحسَّنه السيوطي في «الدرر المنتثرة» . وقد جاء ذكر وصف النبي ﷺ في التوراة عن عدة من الصحابة والتابعين ممن كان يهودياً فأسلم، وعن غيرهم ممن قرأ التوراة؛ فروى البخاري في صحيحه (٢١٢٥) عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قُلْتُ أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ . قَالَ: أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ : **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا : لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا**. وأخرج الطبراني في الكبير (١٦٣) والدارمي في سننه (٦) عَن عبد الله بْنِ سَلامٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : إِنَّا لَنَجِدُ صِفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِرْزًا لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُهُ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ=

www.saida-islam.weebly.com

=بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا صَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ، وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى نُقِيمَ الْمِلَّةَ الْمُتَعَوِّجَةَ، بِأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، يَفْتَحُ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو وَاقِدٍ اللَّيْثِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَعْبًا يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَ ابْنُ سَلامٍ. وأخرج ابن سعد في الطبقات (١/٣٦٠) والدارمي في سننه (٨) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : فذكر نحو كلام عبد الله بن سلام، وزاد : **أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللَّهَ فِي كُلِّ سَرَّاءَ وَضَرَّاءَ، وَيُكَبِّرُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يُصَفُّونَ فِي صَلَوَاتِهِمْ كَمَا يُصَفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ** . وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥٥٤) عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قال : **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنبِيَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ يُقَالُ لَهُ شِعْيَاء: أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنِّي مُنطِقٌ لِسَانَكَ بِوَحْيٍ، فَقَامَ فَقَالَ : ...، وَيُرِيدُ أَنْ يَبْعَثَ أُمِّيّاً مِنَ الأُمِّيِّيْنَ، أَبْعَثُهُ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، لَوْ يَمُرُّ إِلى جَنْبِ سِرَاجٍ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكِينَتِهِ، وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الْقَصَبِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، أَبْعَثُهُ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لا يَقُولُ الْخَنَا، أَفْتَحُ بِهِ أَعْيُناً كُمْهاً وَآذَانَا صُمّاً وَقُلُوباً غُلْفاً، أُسَدِّدُهُ لِكُلِّ أَمْرٍ جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، وَأَجْعَل السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالْبِرَّ شِعَارَهُ، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَنطِقَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالإِسْلامَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلالَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ، وَأُعَرِّفُ بِهِ بَعْدَ النَّكِرَةِ، وَأُكَثِّرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ أُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَقُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ، وَأَسْتَنقِذُ بِهِ فِئَاماً مِنَ النَّاسِ عَظِيمَةً مِنَ الْهَلَكَةِ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ، مُوَحِّدِينَ مُؤْمِنِينَ مُخْلِصِينَ مُصَدِّقِينَ لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي، أُلْهِمُهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ وَالثَّنَاءَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُنقَلَبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ، يُصَلُّونَ لِي قِيَاماً وَقُعُوداً، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صُفُوفاً وَزُحُوفاً، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أُلُوفاً، يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالأَطْرَافَ، وَيَشُدُّونَ الثِّيَابَ فِي الأَنصَافِ، قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ، وَأَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ، وَأَجْعَلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ السَّابِقِينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، أُمَّتُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَأُعِزُّ مَنْ نَصَرَهُمْ، وَأُؤَيِّدُ مَنْ دَعَا لَهُمْ، وَأَجْعَلُ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ بَغَى عَلَيْهِمْ أَوْ أَرَادَ أَنْ يَنتَزِعَ شَيْئاً مِمَّا فِي أَيْدِيهِمْ، أَجْعَلُهُمْ وَرَثَةً لِنَبِيِّهِمْ، وَالدَّاعِيَةَ إِلَى رَبِّهِمْ، يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ، أَخْتِمُ بِهِمُ الْخَيْرَ الَّذِي بَدَأْتُهُ بِأَوَّلِهِمْ، ذَلِكَ فَضْلِي أُؤْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**". قال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٠١) هَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ الْيَمَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. وأخرجه الطبري في تفسيره عن ابن إسحاق (٢٢٠٦٠) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَرَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِدُعَائِهِ بِالهِدَايَةِ لِقَبِيلَةِ دَوْسٍ مَعَ عِصْيَانِهَا وَإِبَائِهَا وَاسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ لَهُمْ بِدُخُولِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ ﷻ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : جَاءَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّاسُ : هَلَكُوا . فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ، اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ** " [١] .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى مَا يَرَى مِنْ قَومِهِ يَبْذُلُ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، ويَدْعُوهُم إِلَى النَّجَاةِ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَجَعَلَتْ قُرَيشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللهُ مِنهُم يُحَذِّرُونَهُ النَّاسَ، ومَن قَدِمَ عَلَيهِم مِنَ العَرَبِ؛ وكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا[٢]، فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ رَجُلاً شَرِيفًا شَاعِرًا لَبِيبًا، قَالُوا لَهُ : إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلادَنَا، وَإِنَّ هَذَا الرَّجُلَ – وَهُوَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا – فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُهُ كَالسِّحْرِ، يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا قَدْ حَلَّ عَلَيْنَا، فَلا تُكَلِّمْهُ وَلا تَسْمَعْ مِنْهُ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْت أَنْ لا أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا وَلا أُكَلِّمَهُ، حَتَّى حَشَوْتُ فِي أُذُنَيَّ حِينَ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ كُرْسُفًا فَرَقًا مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ[٣] .

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٣٧) و(٤٣٩٢) و(٦٣٩٧) ومسلم (٦٦١١) .

(٢) كَانَ قُدُومُ الطُّفَيلِ بْنِ عَمْرٍو المدِينَةَ عَقِبَ رُجُوعِهِ ﷺ مِنْ رِحْلَةِ الطَّائِفِ. «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبد البر. ص (٦٦) .

(٣) قال ابن القيم : فِيهِ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُقَلِّدَ النّاسَ فِي الْمَدْحِ وَالذّمّ، وَلا سِيّمَا تَقْلِيدَ مَنْ يَمْدَحُ بِهَوًى وَيَذُمُّ بِهَوًى، فَكَمْ حَالَ هَذَا التّقْلِيدُ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَ الْهُدَى، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إلاَّ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللّهِ الْحُسْنَى .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقُمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ، فَسَمِعْتُ كَلامًا حَسَنًا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاثَكَلَ أُمِّيَاهْ ! وَاللَّهِ إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى عَلَيَّ الْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ مَا يَقُولُ ؟ فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ حَسَنًا قَبِلْت، وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا تَرَكْتُ . قَالَ : فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ قَوْمَك قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَك حَتَّى سَدَدْت أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ، لِئَلَّا أَسْمَعَ قَوْلَك، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِيهِ، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَنًا، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَك، فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الإِسْلامَ، وَتَلا عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلا أَمْرًا أَعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْت وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى الإِسْلامِ[(١)]، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً تَكُونُ عَوْنًا لِي عَلَيْهِمْ فِيمَا أَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ[(٢)]، فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً** ". قَالَ : فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ[(٣)] تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلَ الْمِصْبَاحِ، قُلْتُ : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِي دِينِهِمْ، قَالَ : فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ، وَأَنَا أَنْهَبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ حَتَّى جِئْتهمْ وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا نَزَلْتُ أَتَانِي أَبِي – وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا – فَقُلْتُ : إِلَيْك عَنِّي يَا أَبَتِ، فَلَسْتَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْك، قَالَ : لِمَ يَا بُنَيَّ ؟ قُلْتُ : قَدْ أَسْلَمْت وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . قَالَ يَا بُنَيَّ فَدِينِي دِينُك. قَالَ فَقُلْت : اذْهَبْ فَاغْتَسِلْ[(٤)]، وَطَهِّرْ ثِيَابَك، ثُمَّ

---

(١) فيه ما كان عليه الصحابة من المبادرة إلى دعوة أقوامهم إلى الحق الذي آمنوا به فورَ إسلامهم، وقد مرَّ نظائر لهذا، وستأتي زيادة بعون الله ﷻ.

(٢) فيه وُقُوعُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ لِحَاجَةٍ فِي الدِّينِ، أَوْ لِمَنْفَعَةٍ لِلإِسْلامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَهَذِهِ هِيَ الأَحْوَالُ الرَّحْمَانِيَّةُ، سَبَبُهَا مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ، وَنَتِيجَتُهَا إِظْهَارُ الْحَقِّ، وَكَسْرُ الْبَاطِلِ، وَالأَحْوَالُ الشَّيْطَانِيَّةُ ضِدّهَا سَبَبًا وَنَتِيجَةً .

(٣) كُلُّ عَقَبَةٍ فِي جَبَلٍ أَوْ طَرِيقٍ عَالٍ فِيهِ تُسَمَّى ثَنِيَّةً . «فتح الباري» (٤٣٧/٣) .

(٤) فِيهِ أَنَّ عَادَةَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ غُسْلَ الإِسْلامِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ فِيهِ وَقَدْ صَحّ أَمْرُ النَّبِيّ ﷺ بِهِ .

www.saida-islam.weebly.com

تَعَالَ حَتَّى أُعَلِّمَكَ مَا عَلِمْتُ . قَالَ : فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، ثُمَّ جَاءَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ الإِسْلامَ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ أَتَتْنِي صَاحِبَتِي[١]، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكِ عَنِّي فَلَسْتُ مِنْكِ وَلَسْتِ مِنِّي. قَالَتْ: لِمَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟ قُلْتُ : فَرَّقَ الإِسْلامُ بَيْنِي وَبَيْنِك، أَسْلَمْتُ وَتَابَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . قَالَتْ : فَدِينِي دِينُكَ . قَالَ : قُلْتُ : فَاذْهَبِي فَاغْتَسِلِي، فَفَعَلَتْ ثُمَّ جَاءَتْ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهَا الإِسْلامَ، فَأَسْلَمَتْ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الإِسْلامِ فَأَبْطَئُوا عَلَيَّ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزِّنَى، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا** ". ثُمَّ قَالَ :" **ارْجِعْ إِلَى قَوْمِك فَادْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَارْفُقْ بِهِمْ**[٢] ". فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ،

---

(١) يعني زوجته وامرأته، ويقال لها صاحبة، كما قال ﷻ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾ .

(٢) فيه أنه ينبغي التَّأَنِّي وَالصَّبْرُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَأَنْ لا يستعجِلَ بِالْعُقُوبَةِ وَالدُّعَاءِ عَلَى الْعُصَاةِ، بل يَصبرُ على دَعوَتِهم، ويتحمَّلُ مَا يَلقَاهُ من إِبَاءٍ وتَكْذِيبٍ، ويُوَاصلُ دعوته إيَّاهم، ودعائه لهم بالهداية، رجاءَ أن يهديهم الله، وأن يُقْبِلَ بقلوبهم إليه، لأن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرَّحْمَن، يُقَلِّبُهَا كيف يَشَاءُ، وقد وعد الله ﷻ على هذه الخَصلَةِ بالتَّغيير في حال المدعوِّ من الإباء والتكذيب إلى القبول والتصديق، إلاَّ أنه بَيَّنَ أنها تحتاج إلى مستوىً عالٍ من الصبر، وعليه تكون الهداية للمدعو إن شاء الله، وحظُّ القائم بهذا العمل عظيمٌ عند الله ﷻ، فقال ﷻ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٤ – ٣٥]؛ فَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلى اللهِ هِيَ أَحْسَنُ الأَعْمَالِ وَأَحَبُّهَا إِلى اللهِ ﷻ، فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٣]، بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ :﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ [فصلت: ٣٤]، فَكَأَنَّ سَائِلاً سَأَلَ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلى اللهِ وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً عَظِيمَةً، إِلاَّ أَنَّ الصَّبرَ عَلَى سَفَاهَةِ هَؤُلاءِ الْكُفَّارِ شَدِيدٌ لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، فَعِنْدَ هَذَا ذَكَرَ اللهُ ﷻ مَا يَصْلُحُ لأَنْ يَكُونَ دَافِعاً لِهَذَا الإِشْكَالِ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾، وَالْمُرَادُ بِالْحَسَنَةِ دَعْوَةُ الرَّسُولِ ﷺ إِلى دِيْنِ الْحَقِّ، وَالصَّبرُ عَلَى جَهَالَةِ الْكُفَّارِ، وَتَرْكُ الانْتِقَامِ، وَتَرْكُ الالْتِفَاتِ إِلَيْهِم، وَالْمُرَادُ بِالسَّيِّئَةِ مَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْجَلافَةِ فِي قَولِهِم : ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [فصلت: ٥]، وَمَا ذَكَرُوهُ فِي قَولِهِم :﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ ﴾ [فصلت: ٢٦]، ثُمَّ قَالَ : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾، يَعْنِي ادْفَعْ سَفَاهَتَهُم وَجَهَالَتَهُم بِالطَّرِيقِ الَّذِي هُوَ أَحْسَنُ الطُّرُقِ، فَإِنَّكَ إِذَا صَبَرْتَ عَلَى سُوءِ أَخْلاقِهِم مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تُقَابِلْ سَفَاهَتَهُم بِالْغَضَبِ، وَلا إِضْرَارَهُم بِالإِيْذَاءِ وَالإِيْحَاشِ اسْتَحْيَوْا مِنْ تِلْكَ الأَخْلاقِ الْمَذْمُومَةِ، وَتَرَكُوا تِلْكَ الأَفْعَالَ الْقَبِيْحَةَ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَإِذَا

www.saida-islam.weebly.com

فَلَمْ أَزَلْ بِأَرْضِ دَوْسٍ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَنَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتًا مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ [١].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، خَرَجَ الطُّفَيْلُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى فَرَغُوا مِنْ طُلَيْحَةَ، ثُمَّ سَارَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْيَمَامَةِ، وَمَعَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا فَاعْبُرُوهَا لِي : رَأَيْتُ أَنَّ رَأْسِي قَدْ حُلِقَ، وَأَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ فَمِي طَائِرٌ، وَأَنَّ امْرَأَةً لَقِيَتْنِي فَأَدْخَلَتْنِي فِي فَرْجِهَا، وَرَأَيْتُ أَنَّ ابْنِي يَطْلُبُنِي طَلَبًا حَثِيثًا، ثُمَّ رَأَيْتُهُ حُبِسَ عَنِّي. قَالُوا : خَيْرًا رَأَيْت . قَالَ : أَمَا وَاَللَّهِ إِنِّي قَدْ أَوَّلْتُهَا . قَالُوا : وَمَا أَوَّلْتَهَا ؟ قَالَ أَمَّا حَلْقُ رَأْسِي فَوَضْعُهُ[٢]، وَأَمَّا الطَّائِرُ الَّذِي خَرَجَ مِنْ فَمِي فَرُوحِي[٣]، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ الَّتِي

﴿ ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ يَعْنِيْ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ تَرَكُوا أَفْعَالَهُمُ الْقَبِيحَةَ، وَانْقَلَبُوا مِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ، وَمِنَ الْبُغْضَةِ إِلَى الْمَوَدَّةِ، وَلَمَّا أَرْشَدَ اللهُ ﷻ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ عَظَّمَهُ فَقَالَ : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ **[فصلت: ٣٥]**. قَالَ الزَّجَّاجُ رَحِمَهُ اللهُ : أَيْ وَمَا يُلَقَّى هَذِهِ الفِعْلَةَ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى تَحَمُّلِ الْمَكَارِهِ وَتَجَرُّعِ الشَّدَائِدِ وَكَظْمِ الْغَيظِ وَتَرْكِ الاِنْتِقَامِ «التفسير الكبير» للرازي (١١٢/٢٧) .

(١) فيه أَنّ الْمَدَدَ إِذَا لَحِقَ بِالْجَيْشِ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْحَرْبِ أُسْهِمَ لَهُمْ .

(٢) تَعْبِيرُهُ حَلْقَ رَأْسِهِ بِوَضْعِهِ لأَنّ حَلْقَ الرَّأْسِ وَضْعُ شَعْرِهِ عَلَى الأَرْضِ وَهُوَ لا يَدُلّ بِمُجَرّدِهِ عَلَى وَضْعِ رَأْسِهِ، فَإِنّهُ دَالّ عَلَى خَلاصٍ مِنْ هَمّ أَوْ مَرَضٍ أَوْ شِدّةٍ لِمَنْ يَلِيقُ بِهِ ذَلِكَ، وَعَلَى فَقْرٍ وَنَكَدٍ وَزَوَالِ رِيَاسَةٍ وَجَاهٍ لِمَنْ لا يَلِيقُ بِهِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ فِي مَنَامِ الطِّفْلِ قَرَائِنُ اقْتَضَتْ أَنّهُ وَضَعَ رَأْسَهُ مِنْهَا أَنّهُ كَانَ فِي الْجِهَادِ وَمُقَاتَلَةِ الْعَدُوّ ذِي الشّوْكَةِ وَالْبَأْسِ .

(٣) أَوّلُ الطّائِرِ الّذِي خَرَجَ مِنْ فِيهِ بِرُوحِهِ، فَإِنّهَا كَالطّائِرِ الْمَحْبُوسِ فِي الْبَدَنِ فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْهُ كَانَتْ كَالطّائِرِ الّذِي فَارَقَ حَبْسَهُ فَذَهَبَ حَيْثُ شَاءَ، وَلِهَذَا أَخْبَرَ النّبِيّ ﷺ أَنّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرِ الْجَنّةِ، وَهَذَا هُوَ الطّائِرُ الّذِي رُئِيَ دَاخِلاً فِي قَبْرِ ابْنِ عَبّاسٍ لَمّا دُفِنَ وَسُمِعَ قَارِئٌ يَقْرَأُ : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الْفَجْر ٢٧] . وَعَلَى حَسَبِ بَيَاضِ هَذَا الطّائِرِ وَسَوَادِهِ وَحُسْنِهِ وَقُبْحِهِ تَكُونُ الرّوحُ وَلِهَذَا كَانَتْ أَرْوَاحُ آلِ فِرْعَوْنَ فِي صُورَةِ طُيُورٍ سُودٍ تَرِدُ النّارَ بُكْرَةً وَعَشِيّةً .

www.saida-islam.weebly.com

أَدْخَلَتْنِي فِي فَرجِهَا فَالأَرْضُ، تُحْفَرُ فَأَغِيبُ فِيهَا[١]، وأَمَّا طَلَبُ ابْنِي إيَّايَ وَحَبْسُهُ عَنِّي، فَإِنِّي أَرَاهُ سَيَجْهَدُ لأَنْ يُصِيبَهُ مِنَ الشّهَادَةِ مَا أَصَابَنِي[٢]، فَقُتِلَ الطُّفَيْلُ شَهِيدًا بِالْيَمَامَةِ، وَجُرِحَ ابْنُهُ عَمْرٌو جُرْحًا شَدِيدًا، ثُمَّ قُتِلَ عَامَ الْيَرْمُوكِ شَهِيدًا فِي زَمَنِ عُمَرَ رضي الله عنه .

*****

(١) أَوَّلَ الْمَرْأَةَ بِالأَرْضِ إذْ كِلاهُمَا مَحَلّ الْوَطْءِ وَأَوّلَ دُخُولَهُ فِي فَرْجِهَا بِعَوْدِهِ إلَيْهَا، كَمَا خُلِقَ مِنْهَا كَمَا قَالَ ﷻ : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ١٥٥] .

(٢) أَوّلَ طَلَبَ ابْنِهِ لَهُ بِاجْتِهَادِهِ فِي أَنْ يَلْحَقَ بِهِ فِي الشّهَادَةِ، وَحَبْسُهُ عَنْهُ هُوَ مُدّةُ حَيَاتِهِ بَيْنَ وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ وَالْيَرْمُوكِ . وَاَللّهُ أَعْلَمُ «زاد المعاد» (٣/٥٤٨ - ٥٤٩) .

www.saida-islam.weebly.com

المَدِيثُ السَّابِعُ عَشَرَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالمُشْرِكِينَ بِتَجْوَالِهِ عَلَيهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ مَعَ إِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَإِيْذَائِهِمْ لَهُ، وَهِدَايَةُ اللهِ ﷻ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ، وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى[(١)]، يَقُولُ :" **مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ**

---

(١) فِيهِ ما كان عليه ﷺ من تحمُّل المشاق والأذى، وتكلُّف المصاعب والمتاعب في سبيل الرحمة على الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ودعوتهم إلى الله؛ فلم يكن من دأبه ﷺ أن يَنتَظِرَ قُدُومَ النَّاسِ إِلَيهِ لِيُبَلِّغَهُمْ، بَل هُوَ الَّذِي يَذهَبُ بنفسه بِمَقَالَتِهِ إِلى النَّاس، فعَنْ مُدْرِكَةَ بْنِ الحَارِثِ رضي الله عنه قَالَ : حَجَجْتُ مَعَ أَبِي، فَلَمَّا نَزَلْنَا مِنىً، إِذَا نَحْنُ بِجَمَاعَةٍ، فَقُلْتُ لأَبِي: مَا هَذِهِ الْجَمَاعَةُ ؟ قَالَ: هَذَا الصَّابِئُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوا**". رواه الطبراني في الكبير (٨٠٦) وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وروى أحمد في مسنده من رقم (١٦٠٦٣) إلى (١٦٠٧٠) والطبراني في الكبير من رقم (٤٥٨٢) إلى (٤٥٩٠) عن رَبِيعَةَ بْنِ عُبَادَةَ مِنْ بَنِي الدِّيلِ – وَكَانَ جَاهِلِيّاً فَأَسْلَمَ – قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِيْ الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُوْلُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ تُفْلِحُوا**". وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ وَضِيءُ الْوَجْهِ أَحْوَلُ ذُو غَدِيرَتَيْنِ يَقُول : إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، يَتَّبِعُهُ حَيْثُ ذَهَبَ، فَسَأَلْت عَنهُ، فَقَالُوا : هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ . وقال الهيثمي : رواه أحمد وابنه والطبراني في الكبير والأوسط باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله ابن أحمد ثقات الرجال . وفي رواية للطبراني في الكبير (٨١٧٥) عن طارق ابن عبد الله بنحوه، وقال فيها : وَرَجُلٌ خَلْفَهُ قَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وَسَاقَيْهِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ كَذَّابٌ فَلَا تُطِيعُوهُ . وأخرج أحمد في مسنده (١٦٦٠٣) عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا، يَقُولُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا** ". قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ، وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسِ لَا يَغْوِيَنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى. قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . قال في البداية : كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً، ويحتمل أن يكون تارةً يكون ذا، وتارةً يكون ذا، وأنَّهما كانا يتناوبان على أذاته ﷺ. وأخرج البيهقي في الدلائل (٢/٤٢٢-٤٢٧) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، خَرَجَ وَأَنَا مَعَهُ، وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَدُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ، فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه وَكَانَ مُقَدَّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وكان رجلاً نسَّابة فَسَلَّمَ، وَقَالَ: مِمَّنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ. قَالَ: وَأَيُّ رَبِيعَةَ أَنْتُمْ؟ فذكر الحديث بطوله؛ قَالَ: فَدُفِعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فَمَا=

www.saida-islam.weebly.com

رَبِّي ؟ وَلَهُ الْجَنَّةُ ". حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ كَذَا؛ قَالَ : فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ فَيَقُولُونَ : احْذَرْ غُلامَ قُرَيْشٍ، لا يَفْتِنُكَ [(١)]. وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ[(٢)]، وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ[(٣)]؛ حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ، فَآوَيْنَاهُ، وَصَدَّقْنَاهُ[(٤)]، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنَّا، فَيُؤْمِنُ

=نَهَضْنَا حَتَّى بَايَعُوا رسول الله ﷺ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ سُرَّ بِمَا كَانَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمَعْرِفَتِهِ بِأَنْسَابِهِمْ. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما : حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكر شيئاً من هذا الحديث . وقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، كُلّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النّاسُ بِالْمَوْسِمِ، أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللهِ وَإِلَى الإِسْلامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللهِ مِنَ الْهُدَى وَالرّحْمَةِ، وَهُوَ لا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدَمُ مَكّةَ مِنَ الْعَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ إلاّ تَصَدّى لَهُ فَدَعَاهُ إِلَى اللهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ. «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٢٥). وهَكَذَا كَانَ الأَنبِيَاءُ عليهم السلام، فَمَا تَرَكُوا النَّاسَ عَلَى جَهلِهِم وَانْتَظَرُوا مَجِيئَهُم، بَل كَانُوا يُنَادُونَ النَّاسَ فِي مَجَامِعِهِم، ويَدُورُونَ عَلَى أَبوَابِهِم فِي الابْتِدَاءِ، ويَطْلُبُونَ وَاحِداً وَاحِداً فَيُرشِدُونَهُم، وهَذَا دَأْبُ وَرَثَتِهِم فِي تَبلِيغِ مَا جَاءَ عَنْهُم .

(١) فيه ما كان عليه المشركون من الحرص على ثباتهم وثبات غيرهم على باطلهم، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾؛ فأهل الحق أولى بالحرص على الثبات على الحق، والتواصي بينهم بذلك .

(٢) أي منازلهم .

(٣) أخرج البيهقي في الدلائل (٢/٤١٤) عن ابن شهاب، قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي تِلْكَ السِّنِينَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ، وَيُكَلِّمُ كُلَّ شَرِيفِ قَوْمٍ لَا يَسْأَلُهُمْ مَعَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَرْوُهُ وَيَمْنَعُوهُ، وَيَقُولُ :" **لَا أُكْرِهُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَلَى شَيْءٍ، مَنْ رَضِيَ مِنْكُمْ بِالَّذِي أَدْعُوهُ إِلَيْهِ فَذَلِكَ، وَمَنْ كَرِهَ لَمْ أُكْرِهْهُ، إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ تُحْرِزُونِي مِمَّا يُرَادُ بِي مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَحَتَّى يَقْضِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلِمَنْ صَحِبَنِي بِمَا شَاءَ اللهُ** ". فَلَمْ يَقْبَلْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ إِلَّا قَالَ: قَوْمُ الرَّجُلِ أَعْلَمُ بِهِ، أَتَرَوْنَ أَنَّ رَجُلًا يُصْلِحُنَا وَقَدْ أَفْسَدَ قَوْمَهُ وَلَفَظُوهُ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا ذَخَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْأَنْصَارِ وَأَكْرَمَهُمْ بِهِ.

(٤) أخرج أبو نُعيم في الدلائل (٢٢٥) عَنْ أُمِّ سَعْدٍ بِنْتِ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَتْ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَيُؤْذَى وَيُشْتَمُ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَا أَرَادَ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَانْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى نَفَرٍ عِنْدَ الْعَقَبَةِ وَهُمْ يَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ، قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا أُمَّهْ؟ قَالَتْ: سِتَّةُ نَفَرٍ أَوْ سَبْعَةٌ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ثَلَاثَةٌ: أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَابْنَا عَفْرَاءَ وَلَمْ تُسَمِّ لِي مَنْ بَقِيَ قَالَتْ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَاسْتَجَابُوا لِلَّهِ=

www.saida-islam.weebly.com

وَرَسُولِهِ، فَوَافَوْا قَابِلَ وَهِيَ الْعَقَبَةُ الْأُولَى ثُمَّ كَانَتِ الْعَقَبَةُ الْآخِرَةُ. وأخرج الطبراني في الأوسط (٦٤٥٤) عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ عَلَى الْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ، أَنْ يُؤْوُوهُ إِلَى قَوْمِهِمْ، حَتَّى يُبَلِّغَ كَلَامَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ، وَلَهُمُ الْجَنَّةَ، فَلَيْسَتْ قَبِيلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ تَسْتَجِيبُ لَهُ، حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ إِظْهَارَ دِينِهِ، وَنَصْرَ نَبِيِّهِ وَإِنْجَازَ مَا وَعَدَهُ، سَاقَهُ اللَّهُ إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَاسْتَجَابُوا لَهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ دَارَ هِجْرَتِهِ. قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن عمر العمري وثَّقه أحمد وجماعة وضعَّفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات . وأخرج أبو نُعيم في الدلائل (٢٢٤) من طريق الواقدي عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﵁، أَنَّهُ ذَكَرَ يَوْمًا الْأَنْصَارَ وَفَضْلَهُمْ وَسَابِقَتَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يُحِبَّ الْأَنْصَارَ وَيَعْرِفْ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ، هُمْ وَاللَّهِ رَبَّوُا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفَلُوُّ فِي فِنَائِهِمْ بِأَسْيَافِهِمْ، وَطُولِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ، لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ فِي الْمَوَاسِمِ فَيَدْعُو الْقَبَائِلَ، مَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَسْتَجِيبُ لَهُ وَيَقْبَلُ مِنْهُ دُعَاءَهُ، فَقَدْ كَانَ يَأْتِي الْقَبَائِلَ بِمَجَنَّةَ وَعُكَاظٍ وَبِمِنًى حَتَّى يَسْتَقْبِلَ الْقَبَائِلَ، يَعُودُ إِلَيْهِمْ سَنَةً بَعْدَ سَنَةٍ، حَتَّى إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَا آنَ لَكَ أَنْ تَيْأَسَ مِنَّا ؟ مِنْ طُولِ مَا يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ ﷻ مَا أَرَادَ بِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَاسْتَجَابُوا وأسرعوا وَآوَوْا وَنَصَرُوا وَوَاسَوْا، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ خَيْرًا، قَدِمْنَا عَلَيْهِمْ، فَنَزَلْنَا مَعَهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَلَقَدْ تَشَاحُّوا فِينَا، حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيَقْتَرِعُونَ عَلَيْنَا، ثُمَّ كُنَّا فِي أَمْوَالِهِمْ أَحَقَّ بِهَا مِنْهُمْ، طَيِّبَةً بِذَلِكَ أَنْفُسُهُمْ، ثُمَّ بَذَلُوا مُهَجَ أَنْفُسِهِمْ دُونَ نَبِيِّهِمْ ﷺ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وأخرج أبو نُعيم أيضاً في الدلائل (٢٢٦) عن عقيل بن أبي طالب ﵁ والزُّهري ﵁ قال : لَمَّا اشْتَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: يَا عَمِّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ نَاصِرٌ دِينَهُ بِقَوْمٍ يُهَوَّنُ عَلَيْهِمْ رَغْمَ قُرَيْشٍ عِزًّا فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَامْضِ بِي إِلَى عُكَاظٍ فَأَرِنِي مَنَازِلَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَتَّى أَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِنْ يَمْنَعُونِي وَيُؤْوُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ عَنِ اللَّهِ ﷻ مَا أَرْسَلَنِي بِهِ. قَالَ: فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي امْضِ إِلَى عُكَاظٍ فَأَنَا مَاضٍ مَعَكَ حَتَّى أَدُلَّكَ عَلَى مَنَازِلِ الْأَحْيَاءِ، فَبَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَقِيفٍ، ثُمَّ اسْتَقْرَأَ الْقَبَائِلَ فِي سَنَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، وَذَلِكَ حِينَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُعْلِنَ الدُّعَاءَ، لَقِيَ السِّتَّةَ نَفَرٍ الْخَزْرَجِيِّينَ وَالْأَوْسِيِّينَ : أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَسَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ حَارِثَةَ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ؛ فَلَقِيَهُمُ النبي ﷺ فِي أَيَّامِ مِنًى عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ لَيْلاً، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَى عِبَادَتِهِ وَالْمُؤَازَرَةِ عَلَى دِينِهِ الَّذِي بَعَثَ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِمْ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَرَقَّ الْقَوْمُ وَأَخْبَتُوا حِينَ سَمِعُوا وَأَجَابُوهُ. فذكر الحديث بطوله في بيعتهم .

www.saida-islam.weebly.com

بِهِ، وَيُقْرِؤُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلامِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ[١] الأَنْصَارِ إِلاَّ وَفِيهَا رَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يُظْهِرُونَ الإِسْلامَ؛ ثُمَّ ائْتَمَرُوا[٢] جَمِيعًا، فَقُلْنَا : حَتَّى مَتَى نَتْرُكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ ؟!

فَرَحَلَ إِلَيْهِ مِنَّا سَبْعُونَ رَجُلاً، حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ[٣]؛ فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، حَتَّى تَوَافَيْنَا[٤]، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ نُبَايِعُكَ . قَالَ : "**تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ**[٥]، **وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ**[٦]، **وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ**

---

(١) هي المنازل المسكونة والمحالُّ، وأراد القبائل، وكل قبيلة اجتمعت في محلة سميت المحلة داراً، وسمي ساكنوها بها مجازاً .

(٢) الائتمار : المشاورة كالمؤامرة .

(٣) هي عقبة منى، ومنها ترمى جمرة العقبة، وهي مدخل منى من الغرب؛ وكانت البيعة في شعب قريب من العقبة .

(٤) أي اجتمعنا .

(٥) المراد هنا النفقة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ ففيه أن مال المسلم ينبغي أن تكون الحصة الكبرى منه لإعلاء كلمة الله وإقامة دينه، كما قال ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ :" **إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** ". رواه أحمد في مسنده عن أبي واقد الليثي (٢١٩٠٦) والطبراني في الكبير (٣٣٠١) وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح. وقال أبو بكر الصديق ﷺ : **لَا خَيرَ فِي مَالٍ لَا يُنفَقُ فِي سَبِيلِ اللهِ** . رواه الطبراني في الكبير (٣٩) وقال ابن كثير في تفسيره: هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات.

(٦) فيه أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق ابتغاءَ مرضات الله، وأنه من أهم المهمات في الدين، لذلك بايعهم النبي ﷺ على القيام به في جميع الأحوال؛ وهو سبب خيرية هذه الأمة على سائر الأمم، كما قال تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي «إحياء علوم الدين» (٤٣٢/٢): إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الْقُطْبُ الأَعْظَمُ فِي الدِّينِ، وَهُوَ الْمُهِمُّ الَّذِي ابْتَعَثَ اللهُ لَهُ النَّبِيِّيْنَ أَجْمَعِيْنَ، وَلَوْ طُوِيَ بِسَاطُهُ وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لَتَعَطَّلَتِ النُّبُوَّةُ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وعَمَّتِ الْفَتْرَةُ، وفَشَتِ الضَّلالَةُ، وشَاعَتِ الْجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الْفَسَادُ، واتَّسَعَ الْخَرْقُ وخَرِبَتِ الْبِلادُ، وهَلَكَ الْعِبَادُ، ولَمْ يَشْعُرُوا بِالْهَلاكِ إِلاَّ يَوْمَ التَّنَادِ. وقَالَ عنه النَّوَوِيُّ في «شرح صحيح مسلم»=

www.saida-islam.weebly.com

لَوْمَةَ لائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ [(١)]". قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ؛ وَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ مِنْ أَصْغَرِهِمْ، فَقَالَ : رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، فَإِنَّا لَمْ نَضْرِبْ أَكْبَادَ الإِبِلِ [(٢)] إِلاَّ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنَّ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ [(٣)]؛ فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ جَبِينَةً [(٤)]، فَبَيِّنُوا ذَلِكَ، فَهُوَ عُذْرٌ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ. قَالُوا : أَمِطْ عَنَّا يَا أَسْعَدُ [(٥)]،

=(٢١٤/١) : هُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، بِهِ قِوَامُ الأَمْرِ وَمِلاكُهُ. وقَالَ ابْنُ العَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ فِي «عارضة الأحوذي» (١٣/٢): الأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ أَصْلٌ فِي الدِّينِ، وعُمْدَةٌ مِنْ أَعْمِدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وخِلافَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، والْمَقْصُودُ الأَكْبَرُ مِنْ بَعْثِ النَّبِيِّينَ، وَهُوَ فَرْضٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ مَثْنَى وفُرَادَى بِشَرْطِ الْقُدْرَةِ .

(١) أخرج الطبراني في الكبير (٧١٠) عن أبي مسعود ﷺ قال : وَعَدَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْلِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ الْأَضْحَى وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا، قَالَ عُقْبَةُ: إِنِّي لَأَصْغَرُهُمْ سِنًّا، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ : "**أَوْجِزُوا فِي الْخُطْبَةِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ** ". فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، سَلْنَا لِرَبِّكَ وَسَلْنَا لِنَفْسِكَ وَسَلْنَا لِأَصْحَابِكَ، وَأَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللهِ ﷻ وَعَلَيْكَ، فَقَالَ :" **أَمَّا الَّذِي أَسْأَلُ لِرَبِّي تُؤْمِنُوا بِهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي أَسْأَلُ لِنَفْسِي فَإِنِّي أَسْأَلُكُمْ أَنْ تُطِيعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَأَسْأَلُكُمْ لِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُواسُونَا فِي ذَاتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنْ تَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ، فَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَلَكُمْ عَلَى اللهِ الْجَنَّةُ وَعَلَيَّ** ". قَالَ: فَمَدَدْنَا أَيْدِيَنَا فَبَايَعْنَاهُ. قال الهيثمي : وفيه مجالد بن سعيد وحديثه حسن وفيه ضعف . ورواه أحمد مرسلاً عن الشعبي؛ ولفظه :" **أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ﷻ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلِأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ** ". قَالُوا: فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ :" **لَكُمُ الْجَنَّةُ** ". قَالُوا : فَلَكَ ذَلِكَ. قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى والبزار بنحوه ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . ورواه الطبراني في الثلاثة عن جابر بن عبد الله بسند رجاله ثقات.

(٢) أي لم نسافر إلى النبي ﷺ عليها؛ وضرب الأكباد كناية عن السير السريع لأن مريده يضرب كبده برجله .

(٣) أي تناولكم .

(٤) وفي رواية عند أحمد : وقال : تخافون من أنفسكم خيفة .

(٥) أي نَحِّها؛ وفي البداية : أبط، أي تأخر .

www.saida-islam.weebly.com

فَوَاللَّهِ لا نَدَعُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ أَبَدًا، وَلا نَسْلُبُهَا أَبَدًا . قَالَ : فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَبَايَعْنَاهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا وَشَرَطَ، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ [١] .

وعَنْ عُرْوَةَ قَالَ : فَلَمَّا حَضَرَ الْمَوْسِمُ، حَجَّ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ بني مَالِكِ بن النَّجَّارِ؛ مِنْهُمْ: مُعَاذُ ابْنُ عَفْرَاءَ، وأَسْعَدُ بن زُرَارَةَ؛ وَمِنْ بني زُرَيْقٍ : رَافِعُ بن مَالِكٍ، وَذَكْوَانُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ؛ وَمِنْ بني عَبْدِ الأَشْهَلِ : أَبُو الْهَيْثَمِ بنُ التَّيْهَانِ؛ وَمِنْ بني عَمْرِو بن عَوْفٍ : عُوَيْمُ بنُ سَاعِدَةَ؛ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَهُ أَنْصِتُوا، وَاطْمَأَنَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَى دَعْوَتِهِ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِمْ إِيَّاهُ بِصِفَتِهِ، وَمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَصَدَّقُوهُ، وَآمَنُوا بِهِ، وَكَانُوا مِنْ أسبابِ الْخَيْرِ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنَ الدِّمَاءِ، وَنَحْنُ نُحِبُّ مَا أَرْشَدَ اللَّهُ بِهِ وأَمَرَكَ، وَنَحْنُ لِلَّهِ وَلَكَ مُجْتَهِدُونَ، وَإِنَّا نُشِيرُ عَلَيْكَ بِمَا تَرَى، فَامْكُثْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى قَوْمِنَا فَنُخْبِرَهُمْ بِشَأْنِكَ، وَنَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ[٢]، فَلَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَنَا، وَيَجْمَعُ أَمْرَنَا، فَإِنَّا الْيَوْمَ مُتَبَاعِدُونَ مُتَبَاغِضُونَ، وَإِنْ تَقْدُمْ عَلَيْنَا الْيَوْمَ وَلَمْ نَصْطَلِحْ لَمْ يَكُنْ لَنَا جَمَاعَةٌ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ نُوَاعِدُكَ الْمَوْسِمَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، فَرَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الَّذِي قَالُوا، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَدَعَوْهُمْ سِرًّا، وَأَخْبَرُوهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ، وَدَعَا إِلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لا مَحَالَةَ، ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : أَنِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلا مِنْ قِبَلِكَ، فَيَدْعُو النَّاسَ بِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤٤٥٦) و(١٤٦٥٣) والبيهقي في سننه (١٧٥١٣) وقال ابن كثير في البداية والنهاية : هذا إسناد جيِّد على شرط مسلم، ولم يخرِّجوه. وقال الحافظ في فتح الباري : إسناده حسن، وصحَّحه الحاكم وابن حبان؛ وقال الهيثمي : ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال : ورواه البزّار وقال في حديثه : فوالله لا نذَرَ هذه البَيْعة ولا نستقيلها .

(٢) فيه ما كان عليه الصحابة من المسارعة إلى دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ، وسرعة انتقال عاطفة الرحمة بالآخرين إليهم، لإنقاذهم من الهلكة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور؛ وقد تقدم كثير من هذا القبيل .

www.saida-islam.weebly.com

أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ أَخَا بني عَبْدِ الدَّارِ، فَنَزَلَ فِي بني غَنْمٍ عَلَى أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ سِرًّا، وَيَفْشُو الإِسْلامُ، وَيَكْثُرُ أَهْلُهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدُعَائِهِمْ، ثُمَّ إِنَّ أَسْعَدَ بنَ زُرَارَةَ أَقْبَلَ هُوَ وَمُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ حَتَّى أَتَيَا بِئْرَ مُرِّيٍّ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَجَلَسْنَا هُنَالِكَ وَبَعَثَا إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَتَوْهُمْ مُسْتَخْفِينَ، فَبَيْنَمَا مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ يُحَدِّثُهُمْ وَيَقُصُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، أُخْبِرَ بِهِمْ سَعْدُ بن مُعَاذٍ، فَأَتَاهُمْ فِي لأُمَتِهِ مَعَهُ الرُّمْحُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ : عَلامَ يَأْتِينَا فِي دُورِنَا بِهَذَا الْوَحِيدِ الْفَرِيدِ الطَّرِيحِ الْغَرِيبِ، يُسَفِّهُ ضُعَفَاءَنَا بِالْبَاطِلِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ؟ لا أَرَاكُمْ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنْ جِوَارِنَا، فَرَجَعُوا، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا الثَّانِيَةَ بِبِئْرِ مُرِّيٍّ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، فَأُخْبِرَ بِهِمْ سَعْدُ بن مُعَاذٍ الثَّانِيَةَ، فَوَاعَدَهُمْ بِوَعِيدٍ دُونَ الْوَعِيدِ الأَوَّلِ، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ مِنْهُ لِينًا، قَالَ : يَا ابْنَ خَالَةِ اسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ، فَإِنْ سَمِعْتَ مُنْكَرًا، فَارْدُدْهُ يَا هَذَا مِنْهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ خَيْرًا فَأَجِبْ إِلَيْهِ، فَقَالَ : مَاذَا يَقُولُ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ : ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، فَقَالَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ : مَا أَسْمَعُ إِلاَّ مَا أَعْرِفُ، فَرَجَعَ وَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ، وَلَمْ يُظْهِرْ لَهُمُ الإِسْلامَ حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَدَعَا بني عَبْدِ الأَشْهَلِ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَظْهَرَ إِسْلامَهُ، وَقَالَ : مَنْ شَكَّ فِيهِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ أَوْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، فَلْيَأْتِنَا بِأَهْدَى مِنْهُ نَأْخُذْ بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ أَمْرٌ لَتُحَزَّنَّ فِيهِ الرِّقَابُ، فَأَسْلَمَتْ بنو عَبْدِ الأَشْهَلِ عِنْدَ إِسْلامِ سَعْدٍ وَدُعَائِهِ إِلاَّ مَنْ لا يُذْكَرُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ دُورٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهَا، ثُمَّ إِنَّ بني النَّجَّارِ أَخْرَجُوا مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ وَاشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدَ بنِ زُرَارَةَ، فَانْتَقَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى سَعْدِ بن مُعَاذٍ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَدْعُو وَيَهْدِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، حَتَّى قَلَّ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ أَسْلَمَ فِيهَا نَاسٌ لا مَحَالَةَ، وَأَسْلَمَ أَشْرَافُهُمْ، وَأَسْلَمَ عَمْرُو بنُ الْجَمُوحِ، وَكُسِرَتْ أَصْنَامُهُمْ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَعَزَّ أَهْلِهَا، وَصَلُحَ أَمْرُهُمْ، وَرَجَعَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَانَ يُدْعَى الْمُقْرِئَ [١] .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧٢٣٨) وقال الهيثمي : رواه الطبراني مرسلاً؛ فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ عَاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتَادَةَ ويَزِيدَ بْنِ رُومَانَ وغَيرِهِمَا، قَالُوا : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ مِنْ أَوَّلِ نُبُوَّتِهِ مُستَخفِياً، ثُمَّ أَعلَنَ في الرَّابِعَةِ، فَدَعَا النَّاسَ إلى الإِسْلَامِ عَشْرَ سِنِينَ، يُوَافِي الْمَوسِمَ كُلَّ عَامٍ، يَتْبَعُ الحَاجَّ في مَنَازِلِهِم وفي الْمَوَاسِمِ بِعُكَاظٍ ومِجَنَّةَ وذِي الْمَجَازِ، يَدعُوهُم إلى أَنْ يَمنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالاتِ رَبِّهِ ولَهُمُ الجَنَّةُ، فَلا يَجِدُ أَحَداً يَنصُرُهُ ولا يُجِيبُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْأَلُ عَنِ الْقَبَائِلِ ومَنَازِلِهَا قَبِيلَةً قَبِيلَةً، ويَقُولُ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ تُفْلِحُوا وَتَملِكُوا بِهَا العَرَبَ، وتَذِلُّ لَكُمُ العَجَمُ، فَإِذَا آمَنْتُم كُنتُم مُلُوكاً في الجَنَّةِ**". وأَبُو لَهَبٍ وَرَائَهُ يَقُولُ : لا تُطِيعُوهُ فَإِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ . فَيَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقبَحَ الرَّدِّ ويُؤْذُونَهُ، ويَقُولُونَ: أُسْرَتُكَ وعَشِيْرَتُكَ أَعْلَمُ بكَ حَيثُ لَمْ يَتَّبِعُوْكَ، وَهُوَ يَدعُوهُم إلى اللَّهِ، وَيَقُولُ :" **اللَّهُمَّ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونَوا هَكَذَا** ". قال : وكان مِمَّنْ يُسَمَّى لَنَا مِنَ القَبَائِلِ الَّذِينَ أَتَاهُم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ودَعَاهُم، وعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَيهِم : بَنُو عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ[1]،

---

(١) أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طريق الواقدي (٢١٩) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ سِنِينَ مِنْ نُبُوَّتِهِ مُسْتَخْفِيًا ثُمَّ أَعْلَنَ فِي الرَّابِعَةِ، فَدَعَا عَشْرَ سِنِينَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ، يَتْبَعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمِجَنَّةَ وَذِي الْمَجَازِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ﷻ وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ، حَتَّى إِنَّهُ يسأَلَ عَنِ الْقَبَائِلِ وَمَنَازِلِهِمْ قَبِيلَةً قَبِيلَةً، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، فَلَمْ يَلْقَ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَذَى قَطُّ مَا لَقِيَ مِنْهُمْ، حَتَّى خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَإِنَّهُمْ لَيَرْمُونَهُ مِنْ وَرَائِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَنِي مُحَارِبِ بْنِ خَصَفَةَ، فَوَجَدَ فِيهِمْ شَيْخًا ابْنَ مِائَةِ سَنَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ أَنْ يَمْنَعَهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيُّهَا الرَّجُلُ قَوْمُكَ أَعْلَمُ بِنَبَئِكَ، وَاللَّهِ لَا يَؤُوبُ بِكَ رَجُلٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا آب بِشَرِّ مَا يَؤُوبُ بِهِ أَهْلُ الْمَوْسِمِ، فَأَغْنِ عَنَّا نَفْسَكَ، وَإِنَّ أَبَا لَهَبٍ لَقَائِمٌ يَسْمَعُ كَلَامَ الْمُحَارِبِيِّ، ثُمَّ وَقَفَ أَبُو لَهَبٍ عَلَى الْمُحَارِبِيِّ فَقَالَ: لَوْ كَانَ أَهْلُ الْمَوْسِمِ كُلُّهُمْ مِثْلَكَ لَتَرَكَ هَذَا الدِّينَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ صَابِئٌ كَذَّابٌ. قَالَ الْمُحَارِبِيُّ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَعْرَفُ بِهِ؛ هُوَ ابْنُ أَخِيكَ ولَحَمْتُكَ، ثُمَّ قَالَ الْمُحَارِبِيُّ: لَعَلَّ بِهِ يَا أَبَا عُتْبَةَ لَمَمًا، فَإِنَّ مَعَنَا رَجُلًا مِنَ الْحَيِّ يَهْتَدِي لِعِلَاجِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ أَبُو لَهَبٍ بشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا رَآهُ وَقَفَ عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ صَاحَ بِهِ أَبُو لَهَبٍ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ. وفي رواية عنده في الدلائل (٢١٥) أنه جاء رجل منهم يقال له : بُجْرة بن قيس القُشَيري، فَأَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: قُمْ فَالْحَقْ بِقَوْمِكَ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّكَ عِنْدَ قَوْمِي لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ . قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى نَاقَتِهِ فَرَكِبَهَا، فَغَمَزَ الْخَبِيثُ بَجَرَةُ شَاكِلَتَهَا فَقَمَصَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَتْهُ .

www.saida-islam.weebly.com

ومُحَارِبِ بْنِ خَصْفَةَ، وفَزَارَةُ، وغَسَّانُ، ومُرَّةُ، وحَنِيفَةُ[١]، وسُلَيم؛ وعَبْسُ[٢]؛ وبَنُو النَّضْرِ، وكِنْدَةُ[٣]، وكَلْبٌ[٤]، وَالحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ، وعُذْرَةُ، وَالحَضَارِمَةُ، فَلَمْ يَستَجِبْ مِنْهُم أَحَدٌ [٥] .

---

(١) قال ابن إسحاق : عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى بَنِيْ حَنِيفَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ، فَدَعَاهُم إِلَى اللهِ، وعَرَضَ عَلَيهِمْ نَفْسَهُ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ أَقْبَحَ رَدّاً عَلَيهِ مِنْهُم . «السيرة النبوية لابن هشام» (١/ ٤٢٤) .

(٢) قال الواقدي : أخبرنا عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بِمنى ونحن نازلون بالجَمْرة الأولى التي تلي مسجد الخَيْف، وهو على راحلته مُرْدِفاً خلفه زيد بن حارثة فدعانا، فوالله ما استجبنا له ولا خير لنا، قال: وقد كنّا سمعنا به وبدعائه في الموسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له. ثم ساق الخبر، وذكر إسلام مَيْسرة بن مسروق العبسي، قال : فأسلم فحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر رضي الله عنه مكان . «البداية والنهاية» (٢/١٧٠) .

(٣) أخرج أبو نُعيم في الدلائل (٢٢٢) من طريق الواقدي عَنِ ابْنِ رُومَانَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَغَيْرِهِمَا قَالُوا : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِنْدَةَ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ، فَلَمْ يَأْتِ حَيًّا مِنَ الْعَرَبِ كَانَ أَلْيَنَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى لِينَهُمْ وَقُوَّةَ جَبَهِهِمْ لَهُ، جَعَلَ يُكَلِّمُهُمْ وَيَقُولُ :" **أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ فَإِنْ أَظْهَرُ فَأَنْتُمْ بِالْخِيَارِ** ". فَقَالَ عَامَّتُهُمْ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْقَوْلَ، وَلَكِنَّا نَعْبُدُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، قَالَ أَصْغَرُ الْقَوْمِ: يَا قَوْمِ اسْبِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ تُسْبَقُوا إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَيُحَدِّثُونَ أَنَّ نَبِيًّا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَمِ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ إِنْسَانٌ أَعْوَرُ فَقَالَ: أَمْسِكُوا عَلَيَّ، أَخْرَجَتْهُ عَشِيرَتُهُ وَتُؤْوُونَهُ أَنْتُمْ؟ تَحَمَّلُونَ حَرْبَ الْعَرَبِ قَاطِبَةً؟ لَا ثُمَّ لَا، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ حَزِينًا، فَانْصَرَفَ الْقَوْمُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَخَبَّرُوهُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ: وَاللَّهِ إِنَّكُمْ مُخْطِئُونَ بِخَطِئِكُمْ، لَوْ سَبَقْتُمْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ لَسُدْتُمُ الْعَرَبَ، وَنَحْنُ نَجِدُ صِفَتَهُ فِي كِتَابِنَا، فَوَصَفَهُ الْقَوْمُ الَّذِينَ رَأَوْهُ ،كُلَّ ذَلِكَ يُصَدِّقُونَهُ بِمَا يَصِفُ مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: نَجِدُ مَخْرَجَهُ بِمَكَّةَ، وَدَارَ هِجْرَتِهِ بِيَثْرِبَ. فَأَجْمَعَ الْقَوْمُ لِيُوَافُوهُ فِي الْمَوْسِمِ القَابِلِ، فَحَبَسَهُمْ سَيِّدٌ لَهُمْ عَنْ حَجِّ تِلْكَ السَّنَةِ، فَلَمْ يُوَافِ أَحَدًا مِنْهُمْ، فَمَاتَ الْيَهُودِيُّ، فَسُمِعَ عِنْدَ مَوْتِهِ يُصَدِّقُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْمَنُ بِهِ .

(٤) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُصَيْنٍ : أَنَّهُ – ﷺ – أَتَى كَلْبًا فِي مَنَازِلِهِمْ، إِلَى بَطْنٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو عَبْدِ اللَّهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لَهُمْ : يَا بَنِي عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَحْسَنَ اسْمَ أَبِيكُمْ، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ . «السيرة النبوية لابن هشام» (١/ ٤٢٤) .

(٥) «السيرة النبوية» (١/ ٤٢٤) و«زاد المعاد» (٣/٣٨) .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث الثامن عشر

رحمته ﷺ بثمامة بن أثال بإحسانه إليه ودعوته إلى الإسلام ودخوله الإسلام بذلك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ(١)، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : "**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ** (٢)". فَقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ(٣)، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ

---

(١) قال ابن إسحاق : بَلَغَنِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَتْ خَيْلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذَتْ رَجُلاً مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ لا يَشْعُرُونَ مَنْ هُوَ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ : "**أَتَدْرُونَ مَنْ أَخَذْتُمْ، هَذَا ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيُّ، أَحْسِنُوا إِسَارَهُ** ". وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ :" **اجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ** ". وَأَمَرَ بِلِقْحَتِهِ أَنْ يَغْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحُ، فَجَعَلَ لا يَقَعُ مِنْ ثُمَامَةَ مَوْقِعًا وَيَأْتِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَقُولُ : "**أَسْلِمْ يَا ثُمَامَةُ** ". فَيَقُولُ: إِيهًا يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُرِدْ الْفِدَاءَ فَسَلْ مَا شِئْت، فَمَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَ ثُمّ قَالَ النّبِيّ يَوْمًا :" **أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** ". فَلَمّا أَطْلَقُوهُ خَرَجَ حَتّى أَتَى الْبَقِيعَ، فَتَطَهّرَ فَأَحْسَنَ طَهُورَهُ ثُمّ أَقْبَلَ فَبَايَعَ النّبِيّ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ، فَلَمّا أَمْسَى جَاءُوهُ بِمَا جَاءُوهُ بِمَا كَانُوا يَأْتُونَهُ مِنَ الطّعَامِ فَلَمْ يَنَلْ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلاً، وَبِاللّقْحَةِ فَلَمْ يُصِبْ مِنْ حِلابِهَا إِلاَّ يَسِيرًا، فَعَجِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ :" **مِمَّ تَعْجَبُونَ؟ أَمِنْ رَجُلٍ أَكَلَ أَوّلَ النّهَارِ فِي مِعًى كَافِرٍ، وَأَكَلَ آخِرَ النّهَارِ فِي مِعًى مُسْلِمٍ، إِنَّ الْكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَأْكُلُ فِي مِعًى وَاحِدٍ** ".

(٢) أَيْ : أَيُّ شَيْءٍ عِنْدك ؟ بمعنى مَا الَّذِي اسْتَقَرَّ فِي ظَنّك أَنْ أَفْعَلهُ بِك ؟ فَأَجَابَ بِأَنَّهُ ظَنَّ خَيْرًا فَقَالَ: عِنْدِي يَا مُحَمَّد خَيْر، أَيْ لأَنَّك لَسْت مِمَّنْ يَظْلِم، بَلْ مِمَّنْ يَعْفُو وَيُحْسِن. «فتح الباري» (٨/٨٨) وَكَرَّرَ ذَلِكَ ثَلاثَة أَيَّام، وهَذَا مِنْ تَأْلِيف الْقُلُوب، وَمُلاطَفَة لِمَنْ يُرْجَى إِسْلامه مِن الأَشْرَاف الَّذِينَ يَتْبَعهُمْ عَلَى إِسْلامهمْ خَلْق كَثِير. «شرح مسلم للنووي» (١٢/٨٩).

(٣) مَعْنَاهُ : إِنْ تَقْتُل تَقْتُل صَاحِب دَم لِدَمِهِ مَوْقِع يَشْتَفِي بِقَتْلِهِ قَاتِلُهُ، وَيُدْرِكُ قَاتِلُهُ بِهِ ثَأْره . أَيْ : لِرِيَاسَتِهِ وَفَضِيلَته، وَحُذِفَ هَذَا لأَنَّهُمْ يَفْهَمُونَهُ فِي عُرْفهمْ . وَقَالَ آخَرُونَ : مَعْنَاهُ تَقْتُل مَنْ عَلَيْهِ دَمٌ وَمَطْلُوبٌ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ عَلَيْهِ فَلا عَتَب عَلَيْك فِي قَتْله . «شرح مسلم للنووي» (١٢/٨٨).

www.saida-islam.weebly.com

لَهُ:" **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟**". قَالَ : مَا قُلْتُ لَكَ : إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ [١]. فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ؛ فَقَالَ :" **مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ** ؟" فَقَالَ : عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ : "**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ** ". فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ؛ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ؛ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلادِ إِلَيَّ؛ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى ؟. فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ [٢]. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : صَبَوْتَ ؟ قَالَ : لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٣]، وَلا وَاللَّهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ [٤] .

---

(١) هَكَذَا اقْتَصَرَ فِي الْيَوْم الثَّانِي عَلَى أَحَد الشِّقَّيْنِ، وَحَذَفَ الأَمْرَيْنِ فِي الْيَوْم الثَّالِث، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدَّمَ أَوَّل يَوْم أَشَقّ الأَمْرَيْنِ عَلَيْهِ وَأَشْفَى الأَمْرَيْنِ لِصَدْرِ خُصُومه وَهُوَ الْقَتْل، فَلَمَّا لَمْ يَقَع اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْر الاسْتِعْطَاف، وَطَلَب الإِنْعَام فِي الْيَوْم الثَّانِي، فَكَأَنَّهُ فِي الْيَوْم الأَوَّل رَأَى أَمَارَات الْغَضَب فَقَدَّمَ ذِكْر الْقَتْل، فَلَمَّا لَمْ يَقْتُلهُ طَمِعَ فِي الْعَفْو فَاقْتَصَرَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا لَمْ يَعْمَل شَيْئًا مِمَّا قَالَ اقْتَصَرَ فِي الْيَوْم الثَّالِث عَلَى الإِجْمَال تَفْوِيضًا إِلَى جَمِيل خُلُقه ﷺ.«فتح الباري» (٨/٨٨).

(٢) يَعْنِي بَشَّرَهُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْخَيْر الْعَظِيم بِالإِسْلامِ وَأَنَّ الإِسْلام يَهْدِم مَا كَانَ قَبْله، وَأَمَّا أَمْره بِالْعُمْرَةِ فَاسْتِحْبَاب؛ لأَنَّ الْعُمْرَة مُسْتَحَبَّة فِي كُلّ وَقْت لا سِيَّمَا مِنْ هَذَا الشَّرِيف الْمُطَاع إِذَا أَسْلَمَ، وَجَاءَ مُرَاغِمًا لأَهْلِ مَكَّة فَطَافَ وَسَعَى وَأَظْهَرَ إِسْلامه وَأَغَاظَهُمْ بِذَلِكَ. «شرح مسلم للنووي» (١٢/٨٩).

(٣) كَأَنَّهُ قَالَ : لا مَا خَرَجْت مِنَ الدِّين، لأَنَّ عِبَادَة الأَوْثَان لَيْسَتْ دِينًا، فَإِذَا تَرَكْتُهَا لا أَكُون خَرَجْتُ مِنْ دِين، بَل اسْتَحْدَثْتُ دِين الإِسْلام . وَقَوْله : «مَعَ مُحَمَّد» أَيْ وَافَقْته عَلَى دِينه فَصِرْنَا مُتَصَاحِبَيْنِ فِي الإِسْلام أَنَا بِالابْتِدَاءِ وَهُوَ بِالاسْتِدَامَةِ . «فتح الباري» (٨/٨٨).

(٤) فِي قِصَّة ثُمَامَة مِنَ الْفَوَائِد رَبْطُ الْكَافِر فِي الْمَسْجِد، وَالْمَنُّ عَلَى الأَسِير الْكَافِر، وَتَعْظِيم أَمْر الْعَفْو عَنْ الْمُسِيء، لأَنَّ ثُمَامَة أَقْسَمَ أَنَّ بُغْضه انْقَلَبَ حُبًّا فِي سَاعَة وَاحِدَة لِمَا أَسَدَاهُ النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهِ مِنَ الْعَفْو وَالْمَنّ بِغَيْرِ مُقَابِل . وَفِيهِ الاغْتِسَال عِنْد الإِسْلام، وَأَنَّ الإِحْسَان يُزِيل الْبُغْض وَيُثْبِتُ الْحُبَّ، وَأَنَّ الْكَافِر إِذَا أَرَادَ عَمَل خَيْر ثُمَّ أَسْلَمَ شَرَعَ لَهُ أَنْ يَسْتَمِرّ فِي عَمَل ذَلِكَ الْخَيْر . وَفِيهِ الْمُلاطَفَة بِمَنْ يُرْجَى إِسْلامه مِنَ الأَسَارَى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلإِسْلامِ، وَلا سِيَّمَا مَنْ يَتْبَعُهُ عَلَى إِسْلامه الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ قَوْمه . «المصدر السابق» .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ خَرَجْتُ مُعْتَمِرًا، وَأَنَا عَلَى دِينِ قَوْمِي، فَأَسَرَنِي أَصْحَابُكَ فِي عُمْرَتِي، فَسَيِّرْنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ فِي عُمْرَتِي، فَسَيَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَتِهِ، وَعَلَّمَهُ، فَخَرَجَ مُعْتَمِرًا، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ[١]، وَسَمِعَتْهُ قُرَيْشٌ يَتَكَلَّمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ، قَالُوا : صَبَأَ ثُمَامَةُ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا صَبَوْتُ، وَلَكِنَّنِي أَسْلَمْتُ، وَصَدَّقْتُ مُحَمَّدًا، وَآمَنْتُ بِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ ثُمَامَةَ بِيَدِهِ لا تَأْتِيكُمْ حَبَّةٌ مِنَ الْيَمَامَةِ، وَكَانَتْ رِيفَ أَهْلِ مَكَّةَ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَانْصَرَفَ إِلَى بَلَدِهِ، وَمَنَعَ الْحَمْلَ إِلَى مَكَّةَ، فَجَهَدَتْ قُرَيْشٌ، فَكَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ بِأَرْحَامِهِمْ، إِلَّا كَتَبَ إِلَى ثُمَامَةَ يُخَلِّي لَهُمْ حَمْلَ الطَّعَامِ، فَفَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ .

وَلَمَّا ظَهَرَ مُسَيْلَمَةُ، وَقَوِيَ أَمْرُهُ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فُرَاتَ بْنَ حَيَّانَ الْعِجْلِيَّ إِلَى ثُمَامَةَ فِي قِتَالِ مُسَيْلَمَةَ وَقَتْلِهِ [٢] .

قَالَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا ارْتَدَّ أَهْلُ اليَمَامَةِ عَنِ الإِسْلَامِ لَمْ يَرْتَدَّ ثُمَامَةُ، وثَبَتَ عَلَى إِسْلَامِهِ هُوَ ومَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَومِهِ، وكَانَ مُقِيماً بِاليَمَامَةِ يَنْهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ مُسَيْلَمَةَ وتَصْدِيقِهِ، ويَقُولُ : **إِيَّاكُمْ وأَمْراً مُظْلِماً لَا نُورَ فِيهِ، وإِنَّهُ لَشَقَاءٌ كَتَبَهُ اللهُ وَجَلَّ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِهِ مِنْكُم، وبَلَاءٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ مِنْكُم يَا بَنِي حَنِيفَةَ** [٣]. فَلَمَّا عَصَوْهُ وأَصْفَقُوا عَلَى اتِّبَاعِ

---

(١) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَبَلَغَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مُعْتَمِرًا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَبَّى، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ يُلَبِّي، فَأَخَذَتْهُ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا : لَقَدْ اخْتَرْت عَلَيْنَا، فَلَمَّا قَدِمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : دَعُوهُ فَإِنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى الْيَمَامَةِ لِطَعَامِكُمْ؛ فَحَنَوْهُ. فَقَالَ الْحَنَفِيُّ فِي ذَلِكَ : **وَمِنَّا الَّذِي لَبَّى بِمَكَّةَ مُعْلِنًا ... بِرَغْمِ أَبِي سُفْيَان فِي الأَشْهُرِ الْحُرُمِ** .

(٢) «أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير» (١/١٥٦) .

(٣) جاء في كتاب «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي» (٣/٤٣) أن ثمامة قال لقومه : اسمعوا مني وأطيعوا أمري ترشدوا، إنه لا يجتمع نبيَّان بأمر واحد، وإن محمداً ﷺ لا نبي بعده، ولا نبي مرسل معه، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حم ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ **[غافر:١-٣]**؛ هذا كلام الله وَجَلَّ، أين هذا من : يَا ضِفْدَعُ نُقِّي كَمْ تَنُقِّينَ، لَا الشُّرْبَ تَمْنَعِينَ، =

www.saida-islam.weebly.com

مُسَيْلَمَةَ عَزَمَ عَلَى مُفَارَقَتِهِم، ومَرَّ العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَمِيِّ ومَنْ مَعَهُ عَلَى جَانِبِ اليَمَامَةِ يُرِيدُونَ البَحْرَينَ، وبِهَا الحُطَمُ ومَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ مِنْ رَبِيعَةَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : إِنِّي وَاللهِ مَا أَرَى أَنْ أُقِيمَ مَعَ هَؤُلَاءِ وَقَدْ أَحْدَثُوا، وإِنَّ اللهَ ضَارِبُهُم بِبَلِيَّةٍ لَا يَقُومُونَ بِهَا ولَا يَقْعُدُونَ، ومَا أَرَى أَنْ نَتَخَلَّفَ عَنْ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي ابْنَ الحَضْرَمِيِّ وأَصْحَابَهُ - وهُمْ مُسْلِمُونَ، وقَدْ عَرَفْنَا الَّذِي يُرِيدُونَ، وقَدْ مَرُّوا بِنَا، ولَا أَرَى إِلَّا الخُرُوجَ مَعَهُمْ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُم فَلْيَخْرُجْ، فَخَرَجَ مُمِدّاً لِلْعَلَاءِ ومَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَفَتَّ ذَلِكَ فِي أَعْضَادِ عَدُوِّهِم حِينَ بَلَغَهُم مَدَدُ بَنِي حَنِيفَةَ، وشَهِدَ مَعَ العَلَاءِ قِتَالَ الحُطَمِ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ وقُتِلُوا، وقَسَّمَ العَلَاءُ الغَنَائِمَ، ونَفَّلَ رِجَالاً، فَأَعْطَى العَلَاءُ خَمِيصَةً - كَانَتْ لِلْحُطَمِ يُبَاهِي بِهَا - رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ ثُمَامَةُ، فَلَمَّا رَجَعَ ثُمَامَةُ بَعْدَ هَذَا الفَتْحِ، رَأَى بَنُو قَيسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَومُ الحُطَمِ خَمِيصَتَهُ عَلَى ثُمَامَةَ، فَقَالُوا : أَنْتَ قَتَلْتَ الحُطَمَ، قَالَ : لَمْ أَقْتُلْهُ، ولَكِنِّي اشْتَرَيْتُهَا مِنَ الْمَغْنَمِ، فَقَتَلُوهُ [1] .

*****

=ولَا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ . واللهِ إِنَّكُم لَتَرَونَ أَنَّ هذا الكلامَ ما يَخْرُجُ من الله، وقد استَحَقَّ محمدٌ ﷺ أمراً أذكره به : مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وأنا عَلَى دِينِ قَومِي، فأردتُ قَتلَهُ، فَحَالَ بيني وبينه عمير، وكان موفَّقاً، فَأَهدَرَ رسولُ الله ﷺ دمي، ثم خرجت معتمراً، فبينا أنا أسير قد أظللت على المدينة أخذتني رسله في غير عهد ولا ذمة، فعفا عن دمي وأسلمت، فأذن لي في الخروج إلى بيت الله، وقلت : يا رسول الله إن بني قشير قتلوا أثالاً في الجاهلية، فأذن لي أغزهم، فغزوتهم وبعثت إليه بالخمس، فتوفي رسول الله ﷺ وقام بهذا الأمر من بعده رجل هو أفقههم في أنفسهم، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم بعث إليكم رجلاً لا يسمى باسمه ولا اسم أبيه، يقال له سيف الله، معه سيوف لله كثيرة، فانظروا في أمركم .

(١) «أسد الغابة» (١/١٥٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحديث التاسع عشر

رحمته ﷺ برجل مشرك أراد قتله، وعفوه عنه رجاء هدايته

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ[١] رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ معَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ[٢] في وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ[٣]، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحتَ سَمُرَةٍ[٤] فَعَلَّقَ بِهَا سَيفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أعْرَابِيٌّ، فَقَالَ :" **إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ[٥] عَلَيَّ سَيفِي وَأنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيقَظْتُ وَهُوَ في يَدِهِ صَلتاً[٦]، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : الله – ثلاثاً –** ". وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ[٧] . وفي رِوَايَةٍ، قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَسَيفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ معَلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ :" **لاَ** ". فَقَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ : "**اللهُ**"[٨].

---

(١) أي رجع .

(٢) القائلة هي نصف النهار أو الظهيرة، والمراد هنا القيلولة، وهي النوم في نصف النهار «تاج العروس شرح القاموس» .

(٣) هو الشجر الَّذِي لَهُ شوك .

(٤) بفتح السين وضم الميم : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْح ، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ .

(٥) أي سلّه وَهُوَ في يدِهِ .

(٦) أي مسلولاً ، وَهُوَ بفتحِ الصادِ وضَمِّها «رياض الصالحين» .

(٧) رواه البخاري برقم (٢٩١٠) ومسلم (٦٠٩٠) .

(٨) رواه البخاري برقم (٤١٣٦) ومسلم بنحوه (١٩٨٦)

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ : قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَارِبَ بْنَ خَصَفَةَ[١]، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسَّيْفِ، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ :" **اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ**". فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : "**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟**" قَالَ : كُنْ كَخَيْرِ آخِذٍ . قَالَ :" **أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟**" قَالَ : لا، وَلَكِنْ أُعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لا أُقَاتِلَكَ وَلا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ[٢].

---

(١) أي قبيلة محارب، وهم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وقد أتاهم رسول الله ﷺ بعكاظ، ودعاهم إلى الله، وطلب المنعة حتى يبلغ رسالات ربه، فرد شيخ منهم على رسول الله ﷺ أقبح الرد، وأراد أحد سفهائهم أن يطرحه في البئر، فقام رسول الله ﷺ، وأخذ بزمام راحلته يقودها، وهم يرمونها بالحجارة حتى توارى عنهم وهو يقول :" **اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُونُوا هَكَذَا، وإِنَّ قُلُوبَهُم بِيَدِكَ، وأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِم، فَإِنْ كَانَ هَذَا عَنْ سَخَطٍ بِكَ عَلَيَّ فَلَكَ العُتْبَى، ولَا حَولَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ** ". «الاكتفاء للكلاعي» .

(٢) أخرج الواقدي في مغازيه (١/١٩٤) قصّةً تُشْبِهُ هذه القصة؛ فقال : بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنّ جَمْعًا مِنْ ثَعْلَبَة وَمُحَارِبٍ بِذِي أَمَرّ قَدْ تَجَمّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، جَمَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ دُعْثُور بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مُحَارِبٍ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسِينَ وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ، .. فذكر الحديث في مسيره إلى أن قال: فَلَمْ يُلاقِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحَدًا، إلاّ أَنّهُ يَنْظُرُ إلَيْهِمْ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ . فَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ذَا أَمَرّ، وَعَسْكَرَ مُعَسْكَرُهُمْ، فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ كَثِيرٌ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ فَأَصَابَهُ ذَلِكَ الْمَطَرُ فَبَلّ ثَوْبَهُ، وَقَدْ جَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَادِيَ ذِي أَمَرّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ . ثُمّ نَزَعَ ثِيَابَهُ فَنَشَرَهَا لِتَجِفّ، وَأَلْقَاهَا عَلَى شَجَرَةٍ، ثُمّ اضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَالأَعْرَابُ يَنْظُرُونَ إلَى كُلّ مَا يَفْعَلُ، فَقَالَتْ الأَعْرَابُ لِدُعْثُور، وَكَانَ سَيّدَهَا وَأَشْجَعَهَا : قَدْ أَمْكَنَك مُحَمّدٌ، وَقَدْ انْفَرَدَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَيْثُ إنْ غَوّثَ بِأَصْحَابِهِ لَمْ يُغَثْ حَتّى تَقْتُلَهُ . فَاخْتَارَ سَيْفًا مِنْ سُيُوفِهِمْ صَارِمًا، ثُمّ أَقْبَلَ مُشْتَمِلاً عَلَى السّيْفِ حَتّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النّبِيّ ﷺ بِالسّيْفِ مَشْهُورًا، فَقَالَ: يَا مُحَمّدُ مَنْ يَمْنَعُك مِنّي الْيَوْمَ ؟ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **اللّهُ** ". قَالَ وَدَفَعَ جِبْرِيلُ عليه السلام فِي صَدْرِهِ وَوَقَعَ السّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ :" **مَنْ يَمْنَعُك مِنّي الْيَوْمَ** ؟ قَالَ لا أَحَدَ . قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ، وَاَللّهِ لا أُكْثِرُ عَلَيْك جَمْعًا أَبَدًا. فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَيْفَهُ ثُمّ أَدْبَرَ ثُمّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ : أَمَا وَاَللّهِ لأَنْتَ خَيْرٌ مِنّي. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَا أَحَقّ بِذَلِكَ مِنْك . فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَك وَالسّيْفُ=

www.saida-islam.weebly.com

فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ [١] .

*****

=فِي يَدِك؟ قَالَ : وَاَللّهِ كَانَ ذَلِكَ، وَلَكِنّي نَظَرْت إلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْت لِظَهْرِي، فَعَرَفْت أَنّهُ مَلَكٌ، وَشَهِدْت أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ . وَاَللّهِ لا أُكْثِرُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى الإسْلامِ . وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ **[المائدة:١١]** الآيَةَ . وذكرها البيهقي في «دلائل النبوة» (١٦٨/٣) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٤) وقال : قال البيهقي : وسيأتي في غزوة ذات الرقاع قصة تشبه هذه، فلعلَّهما قصتان . قلت: إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعاً، لأن ذلك الرجل اسمه غورث بن الحارث أيضاً لم يسلم، بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي ﷺ ألاَّ يقاتله. والله أعلم. وقد عدَّ الحافظ الذهبي في «التجريد» غورث بن الحارث من جملة الصحابة، ونازعه الحافظ ابن حجر في ذلك في «الإصابة»، ثم إنه عدَّه في الصحابة في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» فقال : غورث بن الحارث، له صحبة . وقال في «الفتح» : وقع عند الواقدي في سبب هذه القصة أن اسم الأعرابي دعثور، وأنه أسلم، لكن ظاهر كلامه أنهما قصتان في غزوتين؛ فالله أعلم . وقال في «الإصابة» في ترجمة دعثور بن الحارث : وقصته هذه شبيهة بقصة غورث بن الحارث المخرَّجة في الصحيح من حديث جابر، فيحتمل التعدد، أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتِّحاد . والله أعلم .

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥١٩٠) والحاكم في المستدرك (٤٣٢٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ العِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَتَلَطُّفُهُ بِهِ فِي إِجَابَتِهِ عَلَى أَسْئِلَتِهِ وَهِدَايَتُهُ بِذَلِكَ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ[١]، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟ – وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ [٢]– فَقُلْنَا : هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ[٣] الْمُتَّكِئُ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ : ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **قَدْ أَجَبْتُكَ** [٤]". فَقَالَ الرَّجُلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلا تَجِدْ[٥] عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ . فَقَالَ :" **سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ** [٦]".

---

(١) جاء في رِوَايَة أَبِي نُعَيْمٍ : أَقْبَلَ عَلَى بَعِير لَهُ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِد فَأَنَاخَهُ ثُمَّ عَقَلَهُ فَدَخَلَ الْمَسْجِد. فَهَذَا السِّيَاق يَدُلّ عَلَى أَنَّهُ مَا دَخَلَ بِهِ الْمَسْجِد، وَأَصْرَح مِنْهُ رِوَايَة ابْن عَبَّاس عِنْد أَحْمَد وَالْحَاكِم، وَلَفْظهَا: فَأَنَاخَ بَعِيره عَلَى بَاب الْمَسْجِد فَعَقَلَهُ ثُمَّ دَخَلَ، فَعَلَى هَذَا فِي رِوَايَة أَنَس مَجَاز الْحَذْف، وَالتَّقْدِير : فَأَنَاخَهُ فِي سَاحَة الْمَسْجِد، أَوْ نَحْو ذَلِكَ. «فتح الباري» (١/١٠٠ – ١٠٢) .

(٢) فِيهِ مَا كَانَ رَسُول اللَّه ﷺ عَلَيْهِ مِنْ تَرْك التَّكَبُّر لِقَوْلِهِ : بَيْن ظَهْرَانَيْهِمْ، وَهِيَ بِفَتْحِ النُّون أَيْ بَيْنهمْ . وَزِيدَ لَفْظ الظَّهْر لِيَدُلّ عَلَى أَنَّ ظَهْرًا مِنْهُمْ قُدَّامه وَظَهْرًا وَرَاءَهُ، فَهُوَ مَحْفُوف بِهِمْ مِنْ جَانِبَيْهِ، وَالأَلِف وَالنُّون فِيهِ لِلتَّأْكِيدِ، قَالَهُ صَاحِب الْفَائِق . «المصدر السابق» .

(٣) أَيِ الْمُشْرَب بِحُمْرَةٍ، كَمَا فِي رِوَايَة الْحَارِث بْن عُمَيْر : «الأَمْغَر» . أَيِ الأَبْيَض الْمُشْرَب بِحُمْرَةٍ .

(٤) أَيْ سَمِعْتُك، وَالْمُرَاد إِنْشَاء الإِجَابَة .

(٥) أي لا تغضب .

(٦) فيه ما كان عليه ﷺ من سمو الأخلاق ورفعتها، والرحمة بالناس، ومراعاة مراتب علمهم، فلا يؤاخذهم بما يصدر منهم من عدم التزامهم بالأدب معه، خاصةً من كَانَتْ فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ جَفَاء الأَعْرَاب، كما ظهر من ضمام فِي قَوْله : فَمُشَدِّد عَلَيْك فِي الْمَسْأَلَة . وَفِي قَوْله فِي رِوَايَة ثَابِت : وَزَعَمَ رَسُولك أَنَّك تَزْعُم . وَلِهَذَا وَقَعَ فِي أَوَّل رِوَايَة ثَابِت عَنْ أَنَس : كُنَّا نُهِينَا فِي الْقُرْآن أَنْ نَسْأَل رَسُول اللَّه ﷺ عَنْ شَيْء، فَكَانَ يُعْجِبنَا أَنْ يَجِيء الرَّجُل مِنْ أَهْل الْبَادِيَة الْعَاقِل فَيَسْأَلهُ وَنَحْنُ نَسْمَع. زَادَ أَبُو عَوَانَة فِي صَحِيحه : وَكَانُوا أَجْرَأ عَلَى ذَلِكَ مِنَّا . يَعْنِي أَنَّ الصَّحَابَة وَاقِفُونَ عِنْد النَّهْي، وَأُولَئِكَ يُعْذَرُونَ بِالْجَهْلِ، وَتَمَنَّوْهُ عَاقِلاً لِيَكُونَ عَارِفًا بِمَا يَسْأَل عَنْهُ؛ وَظَهَرَ عَقْل ضِمَام فِي تَقْدِيمه=

www.saida-islam.weebly.com

فَقَالَ : أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ آللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ[١]؟ فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ**[٢] ". قَالَ : أَنْشُدُكَ[٣] بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ ؟ قَالَ : "**اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". قَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ، آللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **اللَّهُمَّ نَعَمْ** ". فَقَالَ الرَّجُلُ : آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ[٤]، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ [٥] .

=الاعْتِذَار بَيْن يَدَيْ مَسْأَلَته لِظَنِّهِ أَنَّهُ لا يَصِل إِلى مَقْصُوده إِلاَّ بِتِلْكَ الْمُخَاطَبَة . وَكَرَّرَ الْقَسَم فِي كُلّ مَسْأَلَة تَأْكِيدًا وَتَقْرِيرًا لِلأَمْرِ، ثُمَّ صَرَّحَ بِالتَّصْدِيقِ، فَكُلّ ذَلِكَ دَلِيل عَلَى حُسْن تَصَرُّفه وَتَمَكُّن عَقْله، وَلِهَذَا قَالَ عُمَر فِي رِوَايَة أَبِي هُرَيْرَة : **مَا رَأَيْت أَحَدًا أَحْسَن مَسْأَلَة وَلا أَوْجَز مِنْ ضِمَام** .

(١) هذا موافق لقوله ﷻ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا لِلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾، ولقوله ﷻ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ .

(٢) الْجَوَاب حَصَلَ بِنَعَمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُمَّ تَبَرُّكًا بِهَا، وَكَأَنَّهُ اسْتَشْهَدَ بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ تَأْكِيدًا لِصِدْقِهِ . وَوَقَعَ فِي رِوَايَة مُسلم: فَقَالَ: صَدَقْت . قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاء ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَمَنْ خَلَقَ الأَرْض وَالْجِبَال ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَمَنْ جَعَلَ فِيهَا الْمَنَافِع ؟ قَالَ :" **اللَّه** ". قَالَ : فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاء وَخَلَقَ الأَرْض وَنَصَبَ الْجِبَال وَجَعَلَ فِيهَا الْمَنَافِعَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ :" **نَعَمْ** ".

(٣) أَصْله مِنَ النَّشِيد، وَهُوَ رَفْع الصَّوْت، وَالْمَعْنَى سَأَلْتُك رَافِعًا نَشِيدَتِي؛ قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْح السُّنَّة . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : نَشَدْتُك بِاللَّهِ أَيْ سَأَلْتُك بِاللَّهِ، كَأَنَّك ذَكَّرْته فَنَشَدَ أَيْ تَذَكَّرَ .

(٤) هذا إِخْبَارٌ منه بإيمانه السابق، وليس إنشاءاً لإيمان حادث، وَهُوَ اخْتِيَار الْبُخَارِيّ، وَرَجَّحَهُ الْقَاضِي عِيَاض، وَأَنَّهُ حَضَرَ بَعْد إِسْلامه مُسْتَثْبِتًا مِنَ الرَّسُول ﷺ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ رَسُولُهُ إِلَيْهِمْ؛ لأَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيث ثَابِت عَنْ أَنَس عِنْد مُسْلِم وَغَيْره: فَإِنَّ رَسُولك زَعَمَ . وَقَالَ فِي رِوَايَة كُرَيْب عَنْ ابْن عَبَّاس عِنْد الطَّبَرَانِيّ : أَتَتْنَا كُتُبك وَأَتَتْنَا رُسُلك . وَمِمَّا يُؤَيِّد أَنَّ قَوْله: آمَنْت . إِخْبَار أَنَّهُ لَمْ يَسْأَل عَنْ دَلِيل التَّوْحِيد، بَلْ عَنْ عُمُوم الرِّسَالَة وَعَنْ شَرَائِع الإِسْلام، وَلَوْ كَانَ إِنْشَاءً لَكَانَ طَلَبَ مُعْجِزَةً تُوجِب لَهُ التَّصْدِيق .

(٥) الصَّوَاب أَنَّ قُدُوم ضِمَام كَانَ فِي سَنَة تِسْع، وَبِهِ جَزَمَ ابْن إِسْحَاق وَأَبُو عُبَيْدَة وَغَيْرهمَا؛ لأنه جاء في حَدِيث ابْن عَبَّاس أَنَّ قَوْمه أَطَاعُوهُ وَدَخَلُوا فِي الإِسْلام بَعْد رُجُوعه إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَدْخُل بَنُو سَعْد – وَهُوَ ابْنُ بَكْر بْن هَوَازِن – فِي الإِسْلام إِلاَّ بَعْد وَقْعَة حُنَيْن، وَكَانَتْ فِي شَوَّال سَنَة ثَمَان .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ فِي آخِرِهِ : فَأَتَى إِلَى بَعِيرِهِ، فَأَطْلَقَ عِقَالَهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : بِئْسَتِ اللاَّتُ وَالْعُزَّى . قَالُوا : مَهْ يَا ضِمَامُ؛ اتَّقِ الْبَرَصَ وَالْجُذَامَ، اتَّقِ الْجُنُونَ . قَالَ : وَيْلَكُمْ إِنَّهُمَا وَاللَّهِ لا يَضُرَّانِ وَلا يَنْفَعَانِ . إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ بَعَثَ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا اسْتَنْقَذَكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ؛ وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ وَلا امْرَأَةٌ إِلاَّ مُسْلِمًا[1]. قَالَ : يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ : **فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ**[2] .

*****

(١) فيه أن أمر الدعوة إلى الله أمر فطري في الإنسان المؤمن، دون أن يحتاج إلى من يبين له حكمه الشرعي، لأن فطرة الإنسان تقتضي أنه إذا خاف من شيء خوَّف غيره منه، كما كان حال الأنبياء ومن اهتدى بهديهم؛ قال ﷻ : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩]، وقال ﷻ :﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ [غافر:٣٠]، ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾؛ [غافر:٣٢]؛ وأول من يبدأ به أهله وخاصته وأقاربه، كما أن من أحب شيئاً دعا الناس إلى حبِّه، ومن رغب في شيء رغَّب غيره فيه، وهذا ما حصل مع ضمام وغير من الصحابة حينما أسلموا، فإنهم بدؤوا يدعون غيرهم إلى الله ﷻ، ويرغبونهم في الإسلام، مع حدثان عهدهم بالإسلام، وقلة بضاعتهم من العلم فيه؛ وهذا أمر امتدحه الله ﷻ في حق الجن الذين آمنوا ثم وَلَّوْا إلى قومهم منذرين؛ وتقدم الكلام على هذا .

(٢) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٢٣٨٠) والدارمي في سننه (٦٥٢) والحاكم في المستدرك (٤٣٨٠) وقال : قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة، ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله، وهذا صحيح ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : رجال أحمد موثوقون .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الحَادِي وَالعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِغُلَامٍ يَهُودِيٍّ بِدَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَفَرَحُهُ ﷺ بِهِدَايَتِهِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ[(١)]، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ :" **أَسْلِمْ** ". فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ : أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**"[(٢)].

وعَنهُ رضي الله عنه أَنَّ غُلَاماً يَهُودِيّاً كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَوَجَدَ أَبَاهُ عِنْدَ رَأْسِهِ يَقْرَأُ التَّوْرَاةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **يَا يَهُودِيُّ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوْسَى، هَلْ تَجِدُ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتِيْ، وصِفَتِيْ، ومَخْرَجِيْ ؟**". قَالَ : لَا [(٣)]. قَالَ

---

(١) فيه رفعة خلقه ﷺ وشدة رحمته بأمته، فيعود مريضهم، ويُلَقِّنُ مُحْتَضَرَهُمْ، رجاءَ دخولهم في رحمة الله ﷻ . وكذا كان أصحابه رضي الله عنهم من بعده، فكانت أخلاقهم سبباً للهداية إلى دين الحق؛ فأخرج الترمذي في سننه (١٩٤٣) وحسَّنه، عَن مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ فِي أَهْلِهِ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ** ".

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٥٦) .

(٣) فيه أنَّ علماء أهل الكتاب يعرفون صحَّة ما جاء به الرسول ﷺ، ولكن يمنعهم الكبر والحسد من اتِّباعِهِ، كما قال ﷻ: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ** ﴾ [البقرة:١٤٦]، وقال : ﴿ **وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ** ﴾[البقرة:٨٩]؛ وأخرج أحمد في مسنده (١٥٨٤١) عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلامَةَ بْنِ وَقْشٍ – وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ – قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودَ فِي بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، قَالَ : فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ بِيَسِيرٍ، فَوَقَفَ عَلَى مَجْلِسِ عَبْدِ الأَشْهَلِ. قَالَ سَلَمَةُ : وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَحْدَثُ مَنْ فِيهِ سِنًّا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ مُضْطَجِعًا فِيهَا بِفِنَاءِ أَهْلِي . فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ . فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلِ شِرْكٍ، أَصْحَابِ أَوْثَانٍ لا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَقَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ يَا فُلانُ تَرَى هَذَا كَائِنًا إِنَّ النَّاسَ =

www.saida-islam.weebly.com

الفَتَى : بَلَى وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَجِدُ لَكَ فِي التَّوْرَاةِ نَعْتَكَ، وَصِفَتَكَ، وَمَخْرَجَكَ، وإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ :" **أَقِيمُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ، وَلُوْا أَخَاكُمْ** " (١) .

وفي رِوَايَةٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه، قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى غُلامٍ مِنَ الْيَهُودِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، فَقَالَ :" **أَتَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؟**" قَالَ : نَعَمْ، قَالَ :" **أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؟**" قَالَ : نَعَمْ، ثُمَّ قُبِضَ، فَوَلِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، فَغَسَّلُوهُ، وَدَفَنُوهُ (٢) .

=يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ . قَالَ : نَعَمْ وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَوَدَّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُّورٍ فِي الدُّنْيَا يُحَمُّونَهُ ثُمَّ يُدْخِلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطْبَقُ بِهِ عَلَيْهِ وَأَنْ يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا . قَالُوا لَهُ : وَيْحَكَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : نَبِيٌّ يُبْعَثُ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلادِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ. قَالُوا : وَمَتَى تَرَاهُ ؟ قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ : إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلامُ عُمُرَهُ يُدْرِكْهُ . قَالَ سَلَمَةُ : فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِهِ وَكَفَرَ بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا . فَقُلْنَا : وَيْلَكَ يَا فُلانُ ! أَلَسْتَ بِالَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ ؟ قَالَ : بَلَى وَلَيْسَ بِه . وفي رواية قال : فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا لَكَ عَنِ الإِسْلامِ ؟ قَالَ : وَاللهِ لا أَدَعُ الْيَهُودِيَّةَ . قال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع. وأخرج البيهقي في الدلائل (٥٣٣/٢) عَنْ صَفِيَّةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : كُنْت أَحَبَّ وَلَدِ أَبِي إلَيْهِ وَإِلَى عَمّي أَبِي يَاسِرٍ، لَمْ أَلْقَهُمَا قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا إلاَّ أَخَذَانِي دُونَهُ. قَالَتْ : فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَنَزَلَ قُبَاءً، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ ابْنُ أَخْطَبَ مُغَلِّسَيْنِ . قَالَتْ: فَلَمْ يَرْجِعَا حَتّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشّمْسِ. قَالَتْ: فَأَتَيَا كَالَّيْنِ كَسْلانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى . قَالَتْ : فَهَشَشْتُ إلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاَللّهِ مَا الْتَفَتَ إلَيّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْغَمِّ. قَالَتْ : وَسَمِعْت عَمّي أَبَا يَاسِرٍ وَهُوَ يَقُولُ لأَبِي : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاَللّهِ. قَالَ : أَتَعْرِفُهُ وَتُثْبِتُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا فِي نَفْسِك مِنْهُ ؟ قَالَ : عَدَاوَتُهُ وَاَللّهِ مَا بَقِيت .

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٧٢/٦) وقال ابن تيمية في «الجواب الصحيح» : بإسناد صحيح .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٧٣٩٠) وقال الهيثمي في المجمع : إسناده حسن . وأخرج أحمد في مسنده بنحوه (٢٣٤٩٢) عَنْ أَبِي صَخْرٍ الْعُقَيْلِيِّ قال : حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الأَعْرَابِ، قَالَ : جَلَبْتُ جَلُوبَةً =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=إِلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنْ بَيْعَتِي قُلْتُ : لأَلْقَيَنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَلأَسْمَعَنَّ مِنْهُ. قَالَ: فَتَلَقَّانِي بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يَمْشُونَ، فَتَبِعْتُهُمْ فِي أَقْفَائِهِمْ، حَتَّى أَتَوْا عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ نَاشِرًا التَّوْرَاةَ يَقْرَؤُهَا، يُعَزِّي بِهَا نَفْسَهُ عَلَى ابْنٍ لَهُ فِي الْمَوْتِ، كَأَحْسَنِ الْفِتْيَانِ وَأَجْمَلِهِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَنْشُدُكَ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ هَلْ تَجِدُ فِي كِتَابِكَ ذَا صِفَتِي وَمَخْرَجِي** ؟". فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا: أَيْ لا . فَقَالَ ابْنُهُ : إِيِّ وَالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا صِفَتَكَ وَمَخْرَجَكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . فَقَالَ :" **أَقِيمُوا الْيَهُودَ عَنْ أَخِيكُمْ** ". ثُمَّ وَلِيَ كَفَنَهُ، وَحَنَّطَهُ، وَصَلَّى عَلَيْهِ . قال الهيثمي في المجمع : أبو صخر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه مسدد في مسنده كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٢٠) وقال البوصيري : هذا إسناد رجاله ثقات . عبد الله بن قدامة العنبري، قال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . وسعيد هو ابن إياس الجريري، وبشر هو ابن المفضل، أحد رجال الصحيحين، إلاَّ أن الجريري اختلط بآخره، لكنَّ بشراً روى عنه قبل الاختلاط، ومن طريقه روى له البخاري ومسلم .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِيْ وَالعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِرْسَالِ البُعُوثِ وَالسَّرَايَا لِهِدَايَةِ النَّاسِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ :" **لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**". **قَالَ : فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ**(١) **لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا**(٢)، **فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ :" أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ؟" فَقِيلَ : هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ . قَالَ: فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ**(٣)، **فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا**(٤)**؟ فَقَالَ :" انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ**(٥)**، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً**

---

(١) أَيْ يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ فِي ذَلِكَ .

(٢) فِيهِ حِرْصُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم عَلَى نَيْلِ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ لا عَلَى نَيْلِ الإِمَارَةِ، لأَنَّ تَوَلِّيَ الإِمَارَةِ يَومَئِذٍ كَانَ عَلامَةً عَلَى مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ لِلمُوَلَّى وَمَحَبَّتِهِ لَهُمَا .

(٣) فِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ، حَيثُ بَرَأَ مِنَ الرَّمَدِ الَّذِي بِعَيْنَيهِ حَتَّى عَادَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .

(٤) فِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم كَانُوا يَفْهَمُونَ أَنَّ الْمَقْصُودَ الأَعْلَى لِلْقِتَالِ هُوَ هِدَايَةُ النَّاسِ إِلى مَا كَانَ عَلَيهِ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم مِنَ الإِيْمَانِ باللهِ وَجَلَّ والْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الإِسْلامِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ**﴾ [البقرة: ١٣٧]، وَأَنَّ الْقِتَالَ لَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ، بَلِ الْمَقْصُودُ هُوَ الْهِدَايَةُ إِلى الدِّينِ الْحَقِّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿**وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ الطِّيْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : وَكَأَنَّهُ ﷺ اسْتَحْسَنَ قَولَهُ :" **أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا** ؟" وَاسْتَحْمَدَهُ عَلَى مَا قَصَدَهُ مِنْ مُقَاتَلَتِهِ إِيَّاهُم حَتَّى يَكُونُوا أَمْثَالَنَا مُهْتَدِينَ لإِعْلاءِ دِينِ اللهِ، وَمِنْ ثَمَّ حَثَّهُ الرَّسُولُ ﷺ بِقَولِهِ :" **فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** ".

(٥) فِيهِ أَنَّهُ لا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْكُفَّارِ بِالْقِتَالِ إِلاَّ بَعْدَ دَعْوَتِهِم إِلى الإِسْلامِ، كَمَا قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : **مَا قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْماً حَتَّى دَعَاهُمْ** . رواه أحمد في مسنده (٢٠٥٣) والحاكم في المستدرك=

www.saida-islam.weebly.com

وَاحِدًا[١]، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ [٢]" [٣] .

=(٣٣) وقال صحيح الإسناد وأقرَّه الذهبي . وكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيْراً عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى الله فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْراً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِدَعْوَةِ الْعَدُوِّ قَبْلَ قِتَالِهِمْ . رواه مسلم (٤٦١٩)؛ وأَرْسَلَ ﷺ عَلِيّاً رضي الله عنه إِلى قَوْمٍ وَأَمَرَهُ أَنْ لا يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَدْعُوَهُمْ . رواه الطبراني في الأوسط (٨٢٦٥) بإسناد حسن؛ وكَذَلِكَ قَالَ لِفَرْوَةَ الْغُطَيْفِيِّ حِيْنَمَا بَعَثَهُ إِلى قَوْمِهِ. رواه الترمذي (٣٢٢٢) وحسَّنه؛ أمَّا إِذَا بَلَغَتْهُمُ الدَّعْوَةُ فَيُسْتَحَبُّ تَجْدِيدُ دَعْوَتِهِم .

(١) تَأْكِيْدٌ لِمَا أَرْشَدَهُ مِنْ دُعَائِهِم إِلى الإِسْلامِ أَوَّلاً، فَإِنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ سَبَباً لإِيْمَانِهِمْ مِنْ غَيرِ حَاجَةٍ إِلى قِتَالِهِمُ الْمُتَفَرِّعِ عَلَيْهِ حُصُولُ الْغَنَائِمِ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ وغَيرِهَا، فَإِنَّ إِيْجَادَ مُؤْمِنٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنْ إِعْدَامِ أَلْفِ كَافِرٍ . «مرقاة المفاتيح» (٢٤٤/١١) .

(٢) حُمْرُ جَمْعُ حَمْرَاءَ، وَالنَّعَمُ هِيَ الإِبِلُ، وهُوَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلى الصِّفَةِ، أَيْ خيرٌ لَكَ مِنَ الإِبِلِ الْحُمْرَاءِ، وإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَرْغِيباً لِلْعَرَبِ فِيهَا، لأَنَّ حُمْرَ النَّعَمِ مِنْ أَعَزِّ الأَمْوَالِ عِنْدَهُمْ، فَكَانَتْ كِنَايَةً عَنْ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا كُلِّهَا، كَمَا جَاءَ فِي رِوَايَةٍ :" **لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ وَعَجَّلَ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ** ". رواه الطبراني في الكبير عن أبي رافع (٩٣٠) وحسَّنه السيوطي في الجامع الصغير. وقَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : تَشْبِيهُ أُمُورِ الآخِرَةِ بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ لِلتَّقْرِيبِ مِنَ الأَفْهَامِ، وَإِلاَّ فَذَرَّةٌ مِنَ الآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ خَيْرٌ مِنَ الأَرْضِ بِأَسْرِهَا وَأَمْثَالِهَا مَعَهَا لَوْ تُصُوِّرَتْ . «شرح مسلم للنووي» (١٧٤/١٥). قَالَ الْمُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في قَولِهِ :" **خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ** ". أَيْ فَتَصَدَّقْتَ بِهِ، وذَلِكَ لأَنَّ الْهُدَى عَلَى يَدَيْهِ شُعْبَةٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، لأَنَّ الرُّسُلَ إِنَّمَا بُعِثَتْ لِتُؤَدِّيَ عَنِ الله، فَإِذَا وَرَدَ الْقِيَامَةَ فَلَهُ حَظٌّ مِنْ ثَوَابِ الرُّسِلِ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا هَدَاهُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ مِنَ الله، وَالرُّسُلُ أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلى اللهِ فِي دَارِ السَّلامِ فِي الدَّرَجَاتِ، فَمَنْ دُوْنَ الرُّسُلِ إِذَا كَانَ دَاعِياً إِلى اللهِ فَهَدَى بِهِ عَبْداً فَقَدْ حَازَ مِنْ ثَوَابِ الرُّسُلِ حَظّاً مِنَ الْكَرَامَةِ، ومَنْ يَحْصُلُ مِنْ ثَوَابِ الرُّسُلِ شَيْئاً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ وغَرَبَتْ، يَعْنِي فَأَنْفَقَهُ كُلَّهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وإِذَا هَدَى اللهُ قَلْباً عَلَى لِسَانِ نَاطِقٍ بِالْهُدَى فَقَدْ أَكْرَمَ النَّاطِقَ بِجَزِيلِ الْكَرَامَةِ، فَمِنَ الْكَرَامَاتِ أَنْ جَعَلَ لِكَلامِهِ مِنَ النُّورِ كِسْوَةً تَلِجُ آذَانَ السَّامِعِينَ مَعَ تِلْكَ الْكِسْوَةِ، فَتَخْرِقُ حُجُبَ الشَّهَوَاتِ، حَتَّى تَصِلَ إِلى مُسْتَقَرِّ الإِيْمَانِ مِنْ قُلُوبِهِم، فَتُحْيِيَ مَا مَاتَ، وتَشْفِيَ مَا سَقِمَ؛ ومِنهَا أَنْ جَعَلَ لِكَلامِهِ مِنَ السُّلْطَانِ مَا يُذْهِلُ نُفُوسَ الْمُخَلِّطِينَ عَنْ شَهَوَاتِهِم؛ ومِنهَا أَنْ تَأْخُذَ نِعَمُهُ النُّوْرَانِيَّةُ بِنَوَاصِي قُلُوبِ الْعِبَادِ الأُبَّاقِ- أَيِ الشَّارِدِينَ- فَتَرُدَّهُمْ إِلى اللهِ جَذْباً وَسَيْراً؛ ومِنهَا أَنْ جَعَلَهُ مِنَ الْعَمَلَةِ الْخَزَنَةِ لِلْقُلُوبِ بِبِذْرٍ يَبْذُرُهُ، فَيَزْرَعُهُ اللهُ فِيهَا وَيُنَمِّيهِ مِنهَا، فَلا مَنْقَبَةَ أَعْلَى مِنْهَا . «فيض القدير» (٣٣٧/٥-٣٣٨) .

(٣) رواه البخاري برقم (٢٩٤٢) و(٣٧٠١) و(٤٢١٠) ورواه مسلم برقم (٦٣٧٦) . فالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ في هذا الحديث أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْقِتَالِ هُوَ هِدَايَةُ النَّاسِ، وإِخْرَاجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ، وأَنَّ=

www.saida-islam.weebly.com

=الْقِتَالَ لَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ، ولا مَا يُتَحَصَّلُ عَلَيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ النَّفِيسَةِ، كَمَا جَاءَ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا بَعَثَ بَعْثاً قَالَ :" **تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَلا تُغيرُوْا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلاَّ أَنْ تَأْتُوني بِهِمْ مُسْلِمِيْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُوني بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلادِهِمْ وَتَقْتُلُوْا رِجَالَهُمْ** "؛ أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن عبد الرحمن بن عائذ (٧٠٥٧) و(٧٠٥٨) وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٦٨٢) وقال الحافظ في «الإصابة»: أخرجه ابن شاهين والبغوي. وأخرج البيهقي في سننه عن أبي بن كعب برقم (١٨٠١٢) عَنهُ ﷺ أَنَّهُ أُتِيَ بِأُسَارَى مِنَ اللاَّتِ والْعُزَّى، فَقَالَ :" **هَلْ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلى الإِسْلامِ** ؟"، فَقَالُوا : لا، فَقَالَ لَهُم :" **هَلْ دَعَوْكُمْ إِلى الإِسْلامِ؟**"، فَقَالُوا : لا، قَالَ :" **خَلُّوا سَبِيْلَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ** "؛ ثُمَّ قَرَأَ هَاتَينِ الآيَتَينِ: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، ﴿**وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩] قال البيهقي : روح بن مسافر ضعيف. وفي رِوَايَةٍ قَالَ :" **رُدُّوهُمْ إِلى مَأْمَنِهِمْ ثُمَّ ادْعُوهُمْ** ". رواه الحارث في مسنده من طريق الواقدي كما في «كنز العمال» (١١٤٢٦) . فَفِي الْحَدِيثِ بَيَانُ فَضِيْلَةِ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ ﷻ، وأَنَّ هِدَايَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا ومَا فِيهَا مِنَ النَّفَائِسِ لَوْ غَنِمَهَا رَجُلٌ ثُمَّ أَنْفَقَهَا في طَاعَةِ اللهِ ﷻ، لأَنَّهُ بِهِدَايَتِهِ إِلى الإِسْلامِ يُنْقِذُهُ اللهُ ﷻ مِنْ غَضَبِهِ وعَذَابِهِ، ويَصِيرُ هُوَ ومَالُهُ في خِدْمَةِ الإِسْلامِ، كَمَا حَصَلَ مَعَ الصَّحَابَةِ ﷺ حِينَمَا أَسْلَمُوا فَوَظَّفُوا جَمِيْعَ طَاقَاتِهِمُ الْبَدَنِيَّةِ والْمَالِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ لإِعْلاءِ كَلِمَةِ اللهِ ونَشْرِ دِينِهِ؛ فَالَّذِينَ قَاتَلُوهُ في بِدَايَةِ الدَّعوةِ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا مَعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَهَا هُوَ خَالدُ ابْنُ الوَلِيدِ ﷺ يَقُودُ الْفُتُوحَاتِ الإِسْلامِيَّةَ في بِلادِ الشَّامِ حَتَّى فَتَحَهَا اللهُ ﷻ عَلَى يَدَيْهِ، وكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلى نَفْسِهِ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ ﷻ لإِعْلاءِ كَلِمَتِهِ؛ وهَا هُوَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ ﷺ حِينَمَا أَسْلَمَ قَالَ : **وَاللهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلا قِتَالاً كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ**؛ ثُمَّ اجْتَهَدَ حَتَّى قُتِلَ شَهِيداً . وهَكَذَا فَالْمَصَالِحُ الْمُتَرَتِّبَةُ عَلَى هِدَايَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لا يَقْدُرُ قَدْرَهَا إِلاَّ اللهُ ﷻ، ولا يَعْدِلُ فَضْلَهَا أَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدِّينِ الأُخْرَى، ولأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلى اللهِ وهِدَايَةَ النَّاسِ إِلَيهِ عَمَلُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فَمَنْ قَامَ بِهَذَا الْعَمَلِ فَقَدْ نَابَ عَنْهُم في هِدَايَةِ الْخَلْقِ إِلى الْخَالِقِ، فَيَكُونُ قَدْ تَحَصَّلَ عَلَى ثَوَابِهِمْ، ولا شَكَّ أَنَّ الْقَلِيلَ مِنْ عَمَلِ الْمُرْسَلِينَ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَوْ أُنْفِقَتْ في طَاعَةِ اللهِ ﷻ .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِقَبُولِ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيْشٍ بِإِغْلَاقِ بَابِ القِتَالِ لِفَتْحِ أَبْوَابِ الدَّعْوَةِ

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ عَنْ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ[١]، يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ؛ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ[٢] فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ** ". فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ[٣] الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ؛ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ : حَلْ حَلْ[٤] فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا : خَلأَتِ[٥] الْقَصْوَاءُ ! خَلأَتْ الْقَصْوَاءُ ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ[٦]** ".

---

(١) هو مروان بن الحكم .

(٢) قَالَ ابن حجر : وَسِيَاق الْحَدِيث ظَاهِر فِي أَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْحُدَيْبِيَة فَهُوَ غَيْر كُرَاع الْغَمِيم الَّذِي وَقَعَ ذِكْره فِي الصِّيَام، وَهُوَ الَّذِي بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة، وَأَمَّا الْغَمِيم هَذَا فَقَالَ ابْن حَبِيب : هُوَ قَرِيب مِنْ مَكَان بَيْن رَابِغ وَالْجُحْفَة. وَبَيَّنَ ابْن سَعْد أَنَّ خَالِدًا كَانَ فِي مِائَتَيْ فَارِس فِيهِمْ عِكْرِمَة بْن أَبِي جَهْل؛ وَالطَّلِيعَة مُقَدِّمَة الْجَيْش . * جميع الحواشي في هذا الحديث مما لم يعز إلى مرجع فهي مما ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/٢٨٣ -٢٨٦) .

(٣) أي الغبار الأسود؛ بمعنى فاجأهم الجيش .

(٤) كلمة تقال لزجر الناقة إذا تركت السير .

(٥) الْخَلاء لِلإِبِلِ كَالْحِرَانِ لِلْخَيْلِ، وَقَالَ ابْن قُتَيْبَة : لا يَكُون الْخَلاء إِلاَّ لِلنُّوقِ خَاصَّة . وَقَالَ ابْن فَارِس : لا يُقَال لِلْجَمَلِ خَلأَ لَكِنْ أَلَحَّ . وَالْقَصْوَاء : اسْم نَاقَة رَسُول اللَّه ﷺ .

(٦) أَيْ حَبَسَهَا اللَّه ﷻ عَنْ دُخُول مَكَّة كَمَا حَبَسَ الْفِيل عَنْ دُخُولهَا . وَقِصَّة الْفِيل مَشْهُورَة، وَمُنَاسَبَة ذِكْرهَا أَنَّ الصَّحَابَة لَوْ دَخَلُوا مَكَّة عَلَى تِلْكَ الصُّورَة وَصَدَّهُمْ قُرَيْش عَنْ ذَلِكَ لَوَقَعَ بَيْنهمْ قِتَال قَدْ يُفْضِي إِلَى سَفْك الدِّمَاء وَنَهْب الأَمْوَال كَمَا لَوْ قُدِّرَ دُخُول الْفِيل وَأَصْحَابه مَكَّة، لَكِنْ سَبَقَ فِي عِلْم اللَّه تَعَالَى فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الإِسْلام خَلْق مِنْهُمْ، وَيُسْتَخْرَج مِنْ أَصْلابهمْ نَاس يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ، وَكَانَ بِمَكَّة فِي الْحُدَيْبِيَة جَمْع كَثِير مُؤْمِنُونَ مِن الْمُسْتَضْعَفِينَ مِن الرِّجَال وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَان، فَلَوْ طَرَقَ الصَّحَابَة مَكَّة لَمَا أَمِنَ أَنْ يُصَاب نَاس مِنْهُمْ بِغَيْرِ عَمْد كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي قَوْله : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ ﴾ الآيَة [الفتح : ٢٥] .

www.saida-islam.weebly.com

ثُمَّ قَالَ :" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً[١] يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ[٢] إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا[٣]** ". ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ .

ثُمَّ سَاقَ القِصَّةَ، فَذَكَرَ مَجِيءَ بُدَيلِ بْنِ وَرْقَاءَ[٤]، وَكَلَامَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ إلى أَنْ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ[٥] مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ، فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا[٦]، وَإِنْ هُمْ**

---

(١) أي خصلة .

(٢) أَيْ مِنْ تَرْك الْقِتَال فِي الْحَرَم .

(٣) أَيْ أَجَبْتهمْ إِلَيْهَا .

(٤) هو صحابي مشهور، قال ابن عبد البر في «الدرر» (٢١٢/١) : بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي : أسلم هو وابنه عبد الله وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمر الظهران في قول ابن شهاب؛ وقال ابن إسحاق : إن قريشا يوم فتح مكة لجأ إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولاه رافع، وشهد بديل وابنه عبد الله حنيناً والطائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح؛ وقيل : أسلم قبل الفتح . وانظر «أسد الغابة» (١٠٦/١). وجاء في هذه الرواية وَصْفُهُ ومن معه مِنْ أَهْل تِهَامَة بأنهم كَانُوا عَيْبَةَ نُصْح؛ أَيْ أَنَّهُمْ مَوْضِع النُّصْح لَهُ وَالأَمَانَة عَلَى سِرّه، لأَنَّ خُزَاعَة كَانُوا مِنْ جُمْلَة أَهْل تِهَامَة؛ وَزَادَ ابْن إِسْحَاق فِي رِوَايَته : **وَكَانَتْ خُزَاعَة عَيْبَة رَسُول اللَّه ﷺ، مُسْلِمُهَا وَمُشْرِكُهَا، لا يُخْفُونَ عَلَيْهِ شَيْئًا كَانَ بِمَكَّة** . وَكَانَ الأَصْل فِي مُوَالاة خُزَاعَة لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بَنِي هَاشِم فِي الْجَاهِلِيَّة كَانُوا تَحَالَفُوا مَعَ خُزَاعَة فَاسْتَمَرُّوا عَلَى ذَلِكَ فِي الإِسْلام . وَفِيهِ جَوَاز اسْتِنْصَاح بَعْض الْمُعَاهَدِينَ وَأَهْل الذِّمَّة إِذَا دَلَّتْ الْقَرَائِن عَلَى نُصْحهمْ وَشَهِدَتْ التَّجْرِبَة بِإِيثَارِهِمْ أَهْل الإِسْلام عَلَى غَيْرهمْ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْل دِينهمْ، وَيُسْتَفَاد مِنْهُ جَوَازُ اسْتِنْصَاح بَعْض مُلُوك الْعَدُوّ اسْتِظْهَارًا عَلَى غَيْرهمْ، وَلا يُعَدّ ذَلِكَ مِنْ مُوَالاة الْكُفَّار وَلا مُوَادَّة أَعْدَاء اللَّه، بَلْ مِنْ قَبِيل اسْتِخْدَامهمْ وَتَقْلِيل شَوْكَة جَمْعهمْ وَإِنْكَاء بَعْضهمْ بِبَعْضٍ، وَلا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ جَوَاز الاسْتِعَانَة بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الإِطْلاق .

(٥) أَيْ جَعَلْت بَيْنِي وَبَيْنهمْ مُدَّة يُتْرَك الْحَرْب بَيْننَا وَبَيْنهمْ فِيهَا .

(٦) هُوَ شَرْط بَعْد الشَّرْط وَالتَّقْدِير فَإِنْ ظَهَرَ غَيْرهمْ عَلَيَّ كَفَاهُمْ الْمَؤُونَة، وَإِنْ أَظْهَر أَنَا عَلَى غَيْرهمْ فَإِنْ شَاءُوا أَطَاعُونِي وَإِلاَّ فَلا تَنْقَضِي مُدَّة الصُّلْح إِلاَّ وَقَدْ جَمُّوا، أَيِ اسْتَرَاحُوا وقَوُوا. وَإِنَّمَا رَدَّدَ الأَمْر مَعَ أَنَّهُ جَازِم بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى سَيَنْصُرُهُ وَيُظْهِرُهُ لِوَعْدِ اللَّه تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ، عَلَى طَرِيق التَّنَزُّل مَعَ الْخَصْم وَفَرْض الأَمْر عَلَى مَا زَعَمَ الْخَصْم .

www.saida-islam.weebly.com

أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي[١]، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ[٢]". فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ .

ثُمَّ تَابَعَ سِيَاقَهُ لِلقِصَّةِ، فَذَكَرَ مَا جَرَى بَينَهُ ﷺ وبَينَ عُروَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ، ومَا رَآهُ مِنْ شِدَّةِ تَعْظِيمِ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ : فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا : وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا [٣]. ثُمَّ تَابَعَ سِيَاقَ القِصَّةِ، فَذَكَرَ مَجِيءَ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ومَا جَرَى لَهُ، ومَجِيْءَ مِكْرَزِ بْنِ حَفْصٍ، وقَولَ النَّبِيِّ ﷺ فيه؛ قَالَ : فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُكَلِّمُهُ إِذْ جَاءَ سُهَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو[٤]، فَقَالَ : هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا [٥] .

---

(١) السَّالِفَة : صَفْحَة الْعُنُق، وَكَنَّى بِذَلِكَ عَن الْقَتْل لأَنَّ الْقَتِيل تَنْفَرِد مُقَدِّمَة عُنُقه. وَقَالَ ابْن الْمُنِير: لَعَلَّهُ ﷺ نَبَّهَ بِالأَدْنَى عَلَى الأَعْلَى، أَيْ إِنَّ لِي مِنَ الْقُوَّة بِاَللَّهِ وَالْحَوْل بِهِ مَا يَقْتَضِي أَنْ أُقَاتِل عَنْ دِينه لَوِ انْفَرَدْتُ، فَكَيْفَ لا أُقَاتِل عَنْ دِينه مَعَ وُجُود الْمُسْلِمِينَ وكثرتهم وَنَفَاذ بَصَائِرهمْ فِي نَصْر دِين اللَّه تَعَالَى.

(٢) أي فِي نَصْر دِينه . وَحَسُنَ الإِتْيَان بِهَذَا الْجَزْم بَعْد ذَلِكَ التَّرَدُّد، لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُورِدهُ إِلاَّ عَلَى سَبِيل الْفَرْض . وَفِي هَذَا الْفَصْل النَّدْب إِلَى صِلَة الرَّحِم، وَالإِبْقَاء عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلهَا، وَبَذْل النَّصِيحَة لِلْقَرَابَةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ مِنَ الْقُوَّة وَالثَّبَات فِي تَنْفِيذ حُكْم اللَّه وَتَبْلِيغ أَمْره .

(٣) جاء فِي مُرْسَل عَلِيّ بْن زَيْد عِنْد ابْن أَبِي شَيْبَة : فَقَالَ عُرْوَة : أَيْ قَوْم إِنِّي قَدْ رَأَيْت الْمُلُوك، مَا رَأَيْت مِثْل مُحَمَّد، وَمَا هُوَ بِمَلِكٍ، وَلَكِنْ رَأَيْت الْهَدْي مَعْكُوفًا، وَمَا أَرَاكُمْ إِلاَّ سَتُصِيبُكُمْ قَارِعَةٌ، فَانْصَرَفَ هُوَ وَمَن اتَّبَعَهُ إِلَى الطَّائِف.

(٤) فِي رواية البخاري من طريق عِكْرِمَةَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لَقَدْ سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ** ".

(٥) جاء فِي رِوَايَة ابْن إِسْحَاق : فَلَمَّا انْتَهَى إِلى النَّبِيّ ﷺ جَرَى بَيْنهمَا الْقَوْل، حَتَّى وَقَعَ بَيْنهمَا الصُّلْح عَلَى أَنْ تُوضَع الْحَرْب بَيْنهمَا عَشْر سِنِينَ، وَأَنْ يَأْمَنَ النَّاسُ بَعْضهمْ بَعْضًا، وَأَنْ يَرْجِع عَنْهُمْ عَامَهمْ هَذَا .

www.saida-islam.weebly.com

فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْكَاتِبَ[١]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ". قَالَ أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ. فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللَّهِ لا نَكْتُبُهَا إِلاَّ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ** ". ثُمَّ قَالَ :" **هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** ". فَقَالَ سُهَيْلٌ : وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ** [٢]". قَالَ الزُّهْرِيُّ : وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَطُوفَ بِهِ** ". فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَاللَّهِ لا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً[٣]، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ؛ فَكَتَبَ . فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ – وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ – إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا [٤]. قَالَ الْمُسْلِمُونَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا [٥] .

---

(١) هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) جاء في رواية للبخاري أنه ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه :" **امْحَ رَسُولَ اللَّهِ** ". فَقَالَ عَلِيٌّ : وَاللَّهِ لا أَمْحَاهُ أَبَدًا. قَالَ :" **فَأَرِنِيهِ** ". قَالَ : فَأَرَاهُ إِيَّاهُ . فَمَحَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ .

(٣) أَيْ قَهْرًا .

(٤) جاء في رِوَايَة ابْن إِسْحَاق : عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْش بِغَيْرِ إِذْن وَلِيّه رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ يَتَّبِع مُحَمَّدًا لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ . قَالَ ابْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه : وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد مُحَمَّد وَعَهْده دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُل فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ دَخَلَ فِيهِ، فَتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ، فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْد مُحَمَّد وَعَهْده، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْر فَقَالُوا : نَحْنُ فِي عَقْد قُرَيْش وَعَهْدهمْ، وَأَنَّك تَرْجِع عَنَّا عَامك هَذَا فَلا تَدْخُل مَكَّة عَلَيْنَا، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَام قَابِل خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتهَا بِأَصْحَابِك فَأَقَمْت بِهَا ثَلاثًا مَعَك سِلاح الرَّاكِب : السُّيُوف فِي الْقِرَب، وَلا تَدْخُلهَا بِغَيْرِهِ.

(٥) جاء في رواية لِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيث أَنَس بْن مَالِك : أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنَّهُ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ إِلَيْنَا، فَقَالُوا : يَا رَسُول اللَّه أَنَكْتُبُ هَذَا ؟ قَالَ : "**نَعَمْ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَده اللَّهُ، وَمَنْ جَاءَ مِنْهُمْ إِلَيْنَا فَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا**".

www.saida-islam.weebly.com

ثُمَّ ذَكَرَ مَجِيءَ أَبِي جَنْدَلِ بْنِ سُهَيلِ بْنِ عَمْرٍو مُسْلِماً، ومطُالَبَةَ أَبِيهِ بِرَدِّهِ وَفَاءاً بِالعَهْدِ، وَرَدَّهُ إِلَيهِم بَعْدَ اسْتِجَازَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِاسْتِثْنَائِهِ وعَدَمِ قَبُولِهَا؛ قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ :" **بَلَى** ". قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ :" **بَلَى** ". قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ[١] فِي دِينِنَا إِذًا ؟! قَالَ : "**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي** ". قُلْتُ : أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ [٢]؟ قَالَ :" **بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ** ". قَالَ : قُلْتُ : لا . قَالَ : "**فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ** ". قَالَ : فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ[٣]، فَقُلْتُ : يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ ؟ قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذًا ؟! قَالَ : أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ[٤]، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ . قُلْتُ : أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي

---

(١) أي النقيصة والخصلة الخسيسة .

(٢) في رِوَايَة ابْن إِسْحَاق : كَانَ الصَّحَابَة لا يَشُكُّونَ فِي الْفَتْح لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُول اللَّه، فَلَمَّا رَأَوْا الصُّلْح دَخَلَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَمْر عَظِيم حَتَّى كَادُوا يَهْلَكُونَ . وَعِنْد الْوَاقِدِيّ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ رَأَى فِي مَنَامه قَبْل أَنْ يَعْتَمِر أَنَّهُ دَخَلَ هُوَ وَأَصْحَابه الْبَيْت، فَلَمَّا رَأَوْا تَأْخِير ذَلِكَ شَقَّ عَلَيْهِمْ .

(٣) لَمْ يَذْكُر عُمَر أَنَّهُ رَاجَعَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ بَعْد رَسُول اللَّه ﷺ غَيْر أَبِي بَكْر الصِّدِّيق، وَذَلِكَ لِجَلالَةِ قَدْره، وَسَعَة عِلْمه عِنْده؛ وَفِي جَوَاب أَبِي بَكْر لِعُمَر بِنَظِيرِ مَا أَجَابَهُ النَّبِيّ ﷺ سَوَاء دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْمَلَ الصَّحَابَة، وَأَعْرَفهمْ بِأَحْوَالِ رَسُول اللَّه ﷺ، وَأَعْلَمَهُمْ بِأُمُورِ الدِّين، وَأَشَدَّهمْ مُوَافَقَة لأَمْرِ اللَّه تَعَالَى . وَقَدْ وَقَعَ التَّصْرِيح فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتَنْكَرُوا الصُّلْح الْمَذْكُور، وَكَانُوا عَلَى رَأْي عُمَر فِي ذَلِكَ، وَظَهَرَ مِنْ هَذَا الْفَصْل أَنَّ الصِّدِّيق لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مُوَافِقًا لَهُمْ، بَلْ كَانَ قَلْبه عَلَى قَلْب رَسُول اللَّه ﷺ سَوَاء، وَفِي الْهِجْرَة أَنَّ ابْن الدُّغُنَّة وَصَفَ أَبَا بَكْر الصِّدِّيق بِنَظِيرِ مَا وَصَفَتْ بِهِ خَدِيجَة رَسُول اللَّه ﷺ سَوَاء، مِنْ كَوْنه يَصِل الرَّحِم، وَيَحْمِل الْكَلّ، وَيُعِين عَلَى نَوَائِب الْحَقّ، وَغَيْر ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَتْ صِفَاتهمَا مُتَشَابِهَة مِنَ الابْتِدَاء اسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى الانْتِهَاء .

(٤) الْغَرْز لِلإِبِلِ بِمَنْزِلَةِ الرَّكْب لِلْفَرَسِ، وَالْمُرَاد بِهِ التَّمَسُّك بِأَمْرِهِ، وَتَرْك الْمُخَالَفَة لَهُ، كَالَّذِي يُمْسِك بِرَكْبِ الْفَارِس فَلا يُفَارِقهُ .

www.saida-islam.weebly.com

الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ ؟ قَالَ : بَلَى، أَفَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ ؟ قُلْتُ : لا . قَالَ : فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالاً [١] .

قَالَ : فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ :" **قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا** ". قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ [٢]. فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ . فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ [٣]. فَخَرَجَ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ، فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ

---

(١) الْمُرَاد بِهِ الأَعْمَال الصَّالِحَة لِيُكَفِّر عَنْهُ مَا مَضَى مِنَ التَّوَقُّف فِي الامْتِثَال ابْتِدَاءً، وَقَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَر التَّصْرِيح بِمُرَادِهِ بِقَوْلِهِ: «أَعْمَالاً» فَفِي رِوَايَة ابْن إِسْحَاق : وَكَانَ عُمَر يَقُول : مَا زِلْت أَتَصَدَّق وَأَصُوم وَأُصَلِّي وَأُعْتِق مِنَ الَّذِي صَنَعْت يَوْمئِذٍ مَخَافَة كَلامِي الَّذِي تَكَلَّمْت بِهِ . وَلَمْ يَكُنْ ذلك شَكّاً منه فِي الدِّين؛ وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّهُ تَوَقُّفٌ مِنْهُ لِيَقِف عَلَى الْحِكْمَة فِي الْقِصَّة وَتَنْكَشِف عَنْهُ الشُّبْهَة، وَنَظِيره قِصَّته فِي الصَّلاة عَلَى عَبْد اللَّه بْن أُبَيٍّ، وَإِنْ كَانَ فِي الأُولَى لَمْ يُطَابِق اجْتِهَاده الْحُكْم بِخِلافِ الثَّانِيَة، وَهِيَ هَذِهِ الْقِصَّة، وَإِنَّمَا عَمِلَ الأَعْمَال الْمَذْكُورَة لِهَذِهِ، وَإِلاَّ فَجَمِيع مَا صَدَرَ مِنْهُ كَانَ مَعْذُورًا فِيهِ، بَلْ هُوَ مَأْجُور لأَنَّهُ مُجْتَهِد فِيهِ .

(٢) قِيلَ : كَأَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا لاحْتِمَالِ أَنْ يَكُون الأَمْر بِذَلِكَ لِلنَّدْبِ، أَوْ لِرَجَاءِ نُزُول الْوَحْي بِإِبْطَالِ الصُّلْح الْمَذْكُور، أَوْ تَخْصِيصه بِالإِذْنِ بِدُخُولِهِمْ مَكَّة ذَلِكَ الْعَام لإِتْمَام نُسُكهمْ، وَسَوَّغَ لَهُمْ ذَلِكَ لأَنَّهُ كَانَ زَمَان وُقُوع النَّسْخ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُونُوا أَلْهَتْهُمْ صُورَة الْحَال فَاسْتَغْرَقُوا فِي الْفِكْر لِمَا لَحِقَهُمْ مِنَ الذُّلّ عِنْد أَنْفُسهمْ مِنْ ظُهُور قُوَّتهمَا وَاقْتِدَارهمْ فِي اعْتِقَادهمْ عَلَى بُلُوغ غَرَضهمْ وَقَضَاء نُسُكهمْ بِالْقَهْرِ وَالْغَلَبَة .

(٣) زَادَ ابْن إِسْحَاق : قَالَتْ أُمّ سَلَمَة : يَا رَسُول اللَّه لا تُكَلِّمهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ دَخَلَهُمْ أَمْر عَظِيم مِمَّا أَدْخَلْت عَلَى نَفْسك مِنَ الْمَشَقَّة فِي أَمْر الصُّلْح وَرُجُوعهمْ بِغَيْرِ فَتْح . وَيَحْتَمِل أَنَّهَا فَهِمَتْ عَنِ الصَّحَابَة أَنَّهُ احْتَمَلَ عِنْدهمْ أَنْ يَكُون النَّبِيّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالتَّحَلُّلِ أَخْذًا بِالرُّخْصَةِ فِي حَقّهمْ، وَأَنَّهُ هُوَ يَسْتَمِرّ عَلَى الإِحْرَام أَخْذًا بِالْعَزِيمَةِ فِي حَقّ نَفْسه، فَأَشَارَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَلَّل لِيَنْتَفِيَ عَنْهُمْ هَذَا الاحْتِمَال، وَعَرَفَ النَّبِيّ ﷺ صَوَاب مَا أَشَارَتْ بِهِ فَفَعَلَهُ، فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَة ذَلِكَ بَادَرُوا إِلَى فِعْل مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، إِذْ لَمْ يَبْقَ بَعْد ذَلِكَ غَايَة تُنْتَظَر . وَفِيهِ فَضْل الْمَشُورَة، وَأَنَّ الْفِعْل إِذَا انْضَمَّ إِلَى الْقَوْل كَانَ أَبْلَغَ مِنَ الْقَوْل الْمُجَرَّد .

www.saida-islam.weebly.com

بَعْضًا غَمًّا . ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ مُّهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة: ١٠]؛ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَالأُخْرَى صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ . ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ .

ثُمَّ سَاقَ القِصَّةَ، فَذَكَرَ خَبَرَ أَبِي بَصِيرٍ مَعَ الرَّجُلَيْنِ الَّذَيْنِ أُرْسِلَا فِي طَلَبِهِ، وَكَيفَ جَعَلَ اللهُ لَهُ ولِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَرَجاً ومَخْرَجاً كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ إِلَى أَنْ قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾، حَتَّى بَلَغَ : ﴿ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ﴾ [الفتح: ٢٤-٢٦]؛ وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، وَلَمْ يُقِرُّوا بِـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ .

وفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِنَحْوِهَا، وقَالَ فِي آخِرِهَا : فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ، فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا؛ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَفَتْحٌ هُوَ ؟! قَالَ :" نَعَمْ " [(١)] .

وقَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي حَدِيثِه : **ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلاً، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ ...؛ فَمَا فُتِحَ فِي الإِسْلام فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ الْتَقَى النَّاسُ، وَلَمَّا كَانَتِ الْهُدْنَةُ، وَوَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَأَمِنَ النَّاسُ، كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالْتَقَوْا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَلَمْ يُكَلَّمْ أَحَدٌ بِالإِسْلامِ يَعْقِلُ شَيْئًا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلاَّ دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ**

---

(١) رواه البخاري عن سهل بن حنيف برقم (٣١٨٢) . وقَالَ ابْنُ هِشَامٍ رَحِمَهُ اللهُ : يَدُلُّ عَلَيهِ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ سَنَتَيْنِ إِلى مَكَّةَ فِي عَشْرَةِ آلافٍ «سيرة ابن هشام» (٣/٢٠٦-٢٠٧) وانظر « فتح الباري» (٧/٥٥٠) . قلت : كما خرج ﷺ بعدها بسنة إلى تبوك في ثلاثين ألفاً، ثم بعدها بسنة كانت حجة الوداع، واجتمع فيها ما يزيد على مائة ألفٍ .

www.saida-islam.weebly.com

فِي تَيْنِكَ السَّنَتَيْنِ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الإِسْلام قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرُ، يَعْنِي مِنْ صَنَادِيد قُرَيْشٍ [(١)].

وقَالَ أَنَسٌ رضي الله عنه في قَولِهِ سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، قَالَ : الْفَتْحُ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ [(٢)]. وقال أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ رضي الله عنه : مَا كَانَ فَتْحٌ أَعْظَمَ فِي الإِسْلامِ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ قَصُرَ رَأْيُهُمْ عَمَّا كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَرَبِّهِ عزوجل، وَالْعِبَادُ يَعْجَلُونَ، وَاللهُ لا يَعْجَلُ كَعَجَلَةِ الْعِبَادِ حَتَّى تَبْلُغَ الأُمُورُ مَا أَرَادَ، لَقَدْ نَظَرْتُ إِلى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ قَائِماً عِنْدَ الْمَنْحَرِ يُقَرِّبُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ هَدْيَهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْحَرُهَا بِيَدِهِ، وَدَعَا الْحَلاَّقَ فَحَلَقَ رَأْسَهُ، وَأَنْظُرُ إِلى سُهَيْلٍ يَلْقُطُ مِنْ شَعَرِهِ، وَأَرَاهُ يَضَعُهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وأَذْكُرُ إِبَاءَهُ أَنْ يُقِرَّ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَيَأْبَى أَنْ يَكْتُبَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، فَحَمِدْتُ اللهَ الَّذِي هَدَاهُ لِلإِسْلامِ، وَصَلَوَاتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ الَّذِي هَدَانَا وَأَنْقَذَنَا مِنَ التَّهْلُكَةِ [(٣)].

---

(١) رواه البيهقي في سننه (١٨٥٩٣) وذكره في «معرفة السنن والآثار» (١٤٦/٧) وانظر «فتح الباري» (٥٥٠/٧) و«سيرة ابن هشام» (٢٠٦/٣-٢٠٧) و«البداية والنهاية» (١٧٠/٤) .

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٣٤) وقَالَ الحافظ ابْنُ حَجَرٍ رحمه الله : وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ مَصْلَحَة الصُّلْح الْمَذْكُور غَيْر مَا ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ كَانَ مُقَدِّمَةً بَيْن الْفَتْح الأَعْظَم الَّذِي دَخَلَ النَّاس عَقِبه فِي دِين اللَّه أَفْوَاجًا، وَكَانَتْ الْهُدْنَة مِفْتَاحًا لِذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ قِصَّة الْحُدَيْبِيَة مُقَدِّمَة لِلْفَتْحِ سُمِّيَتْ فَتْحًا، فَإِنَّ الْفَتْح فِي اللُّغَة فَتْح الْمُغْلَق، وَالصُّلْح كَانَ مُغْلَقًا حَتَّى فَتَحَهُ اللَّه، وَكَانَ مِنْ أَسْبَاب فَتْحه صَدُّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ الْبَيْت، وَكَانَ فِي الصُّورَة الظَّاهِرَة ضَيْمًا لِلْمُسْلِمِينَ وَفِي الصُّورَة الْبَاطِنَة عِزًّا لَهُمْ، فَإِنَّ النَّاس لأَجْلِ الأَمْن الَّذِي وَقَعَ بَيْنهمْ اخْتَلَطَ بَعْضهمْ بِبَعْضٍ مِنْ غَيْر نَكِير، وَأَسْمَعَ الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ الْقُرْآن، وَنَاظَرُوهُمْ عَلَى الإِسْلام جَهْرَة آمِنِينَ، وَكَانُوا قَبْل ذَلِكَ لا يَتَكَلَّمُونَ عِنْدهمْ بِذَلِكَ إِلاَّ خُفْيَة، وَظَهَرَ مَنْ كَانَ يُخْفِي إِسْلامه، فَذَلَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْعِزَّة، وَأُقْهِرُوا مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الْغَلَبَة . «فتح الباري» (٤٢٧/٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر عن الواقدي كما في «كنز العمال» (٣١٣٦)، وانظر «مختصر تاريخ دمشق» (١٤٢٧/١) . وأخرج الواقدي في مغازيه ص (٨٤٦- ٨٤٧) والحاكم في المستدرك (٥٢٢٥) عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه قال : وَلَمّا دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَكّةَ وَظَهَرَ اقْتَحَمْتُ بَيْتِي، وَأَغْلَقْت عَلَيّ بَابِي، وَأَرْسَلْت إلَى ابْنِي عَبْدِ اللّهِ بْنِ سُهَيْلٍ أَنِ اطْلُبْ لِي جِوَارًا مِنْ مُحَمّدٍ، وَإِنّي لا آمَنُ أَنْ أُقْتَلَ.=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=وَجَعَلْت أَتَذَكّرُ أَثَرِي عِنْدَ مُحَمّدٍ وَأَصْحَابِهِ فَلَيْسَ أَحَدٌ أَسْوَأَ أَثَرًا مِنّي، وَإِنّي لَقِيت رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بِمَا لَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ : وَكُنْت الّذِي كَاتَبْته، مَعَ حُضُورِي بَدْرًا وَأُحُدًا، وَكُلّمَا تَحَرّكَتْ قُرَيْشٌ كُنْت فِيهَا . فَذَهَبَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ سُهَيْلٍ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللّهِ تُؤَمّنُهُ ؟ فَقَالَ :" **نَعَمْ هُوَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللّهِ فَلْيَظْهَرْ** ". ثُمّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِمَنْ حَوْلَهُ :" **مَنْ لَقِيَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلا يَشُدّ النّظَرَ إلَيْهِ فَلْيَخْرُجْ، فَلَعَمْرِي إنّ سُهَيْلاً لَهُ عَقْلٌ وَشَرَفٌ، وَمَا مِثْلُ سُهَيْلٍ جَهِلَ الإِسْلامَ، وَلَقَدْ رَأَى مَا كَانَ يُوضَعُ فِيهِ أَنّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِنَافِعٍ** ". فَخَرَجَ عَبْدُ اللّهِ إلَى أَبِيهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَقَالَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ . فَقَالَ سُهَيْلٌ : كَانَ وَاَللّهِ بَرّا، صَغِيرًا وَكَبِيرًا . فَكَانَ سُهَيْلٌ يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ، وَخَرَجَ إلَى حُنَيْنٍ مَعَ النّبِيّ ﷺ وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ حَتّى أَسْلَمَ بِالْجِعِرّانَةِ . فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذٍ من غنائم حُنَين مائة من الإبل . وقال الواقدي ص (١٠٧) : وَلَمّا أُسِرَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ اللّهِ، انْزِعْ ثَنِيّتَيْهِ يُدْلَعُ لِسَانُهُ، فَلا يَقُومُ عَلَيْك خَطِيبًا أَبَدًا . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **لا أُمَثّلُ بِهِ فَيُمَثّلَ اللّهُ بِي، وَإِنْ كُنْت نَبِيّاً، وَلَعَلّهُ يَقُومُ مَقَامًا لا تَكْرَهُهُ** ". فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ جَاءَهُ وَفَاةُ النّبِيّ ﷺ بِخُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه بِمَكّةَ كَأَنّهُ كَانَ يَسْمَعُهَا . قَالَ عُمَرُ حِينَ بَلَغَهُ كَلامُ سُهَيْلٍ : أَشْهَدُ إنّك لَرَسُولُ اللّهِ . يُرِيدُ حَيْثُ قَالَ النّبِيّ ﷺ :" **لَعَلّهُ يَقُومُ مَقَامًا لا تَكْرَهُهُ** ". وأخرج الواقدي أيضاً في مغازيه ص (١٠٧) عَنْ أَبِيْ عَمْرِو بْنِ عَدِيّ بْنِ الحَمْرَاءِ الخُزَاعِيّ قَالَ : نَظَرْتُ إِلى سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَوْمَ جَاءَ نَعْيُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِلى مَكّةَ، وَقَدْ تَقَلّدَ السّيْفَ ثُمّ قَامَ خَطِيباً بِخُطْبَةِ أَبِي بَكْرٍ فِي الْمَدِينَةِ، كَأَنّهُ كَانَ يَسْمَعُهَا، فَقَالَ : أَيُّهَا النّاسُ ! مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمّداً فَإِنّ مُحَمّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنّ اللّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، وَقَدْ نَعَى اللّهُ نَبِيّكُمْ إِلَيْكُمْ، وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَنَعَاكُمْ إِلى أَنْفُسِكُمْ، فَهُوَ الْمَوْتُ حَتّى لا يَبْقَى أَحَدٌ، أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنّ اللّهَ قَالَ :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقَالَ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ثُمّ تَلا: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا ﴾ [القصص: ٨٨]، فَاتّقُوا اللّهَ وَاعْتَصِمُوا بِدِينِكُمْ، وَتَوَكّلُوا عَلَى رَبّكُمْ، فَإِنّ دِينَ اللّهِ قَائِمٌ، وَكَلِمَةَ اللّهِ تَامّةٌ، وَإِنّ اللّهَ نَاصِرٌ مَنْ نَصَرَهُ وَمُعِزٌّ دِيْنَهُ، وَقَدْ جَمَعَكُمُ اللّهُ عَلَى خَيْرِكُمْ. فَلَمّا بَلَغَ عُمَرَ كَلامُ سُهَيْلٍ بِمَكّةَ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّهِ، وَأَنّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، هَذَا هُوَ الْمَقَامُ الّذِي عَنَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ حِينَ قَالَ :" **لَعَلّهُ يَقُومُ مَقَاماً لا تَكْرَهُهُ** ".

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ[١] وَتَلَطُّفُهُ بِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِإِرَادَتِهِ قَتْلَهُ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى هِدَايَتِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ دَاعِياً

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ : لَمَّا رَجَعَ الْمَشْرِكُونَ إِلَى مَكَّةَ مِنْ بَدْرٍ، وَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، أَقْبَلَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ حَتَّى جَاءَ إِلَى صَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ[٢]، وفي رِوَايَةٍ : وكَانَ عُمَيرُ بْنُ وَهْبٍ شَيْطَاناً مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيشٍ، وكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وأَصْحَابَهُ، ويَلْقَونَ مِنْهُ عَنَاءً وهُمْ بِمَكَّةَ، فَقَالَ صَفْوَانُ : قَبَّحَ اللَّهُ الْعَيْشَ بَعْدَ قَتْلَى بَدْرٍ . فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَجَلْ، وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ بَعْدُ، وَلَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أَجِدُ لَهُ قَضَاءً، وَعِيَالِي وَرَائِي لا أَجِدُ لَهُمْ شَيْئًا، لَدَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَقَتَلْتُهُ إِنْ مُلِئَتْ عَيْنِي مِنْهُ، فَإِنَّ لِي عِنْدَهُ

---

(١) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية، وهو ابن عمِّ صفوان بن أمية بن خلف، كان له قدر وشرف في قريش، وشهد بدراً كافراً، وهو القائل لقريش يومئذ في الأنصار : إني أرى وجوهاً كوجوه الحيَّات لا يموتون ظمأ أو يقتلون منَّا أعدادهم، فلا تتعرضوا لهم بهذه الوجوه التي كأنَّها المصابيح، فقالوا له : دع هذا عنك، وحرَّش بين القوم، فكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول الله ﷺ وأنشب الحرب . وكان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها . وشهد فتح مكة. وقيل : إن عمير بن وهب أسلم بعد وقعة بدر وشهد أحداً مع النبي ﷺ وعاش إلى صدر من خلافة عثمان رضي الله عنه، وهو أحد الأربعة الذين أمدَّ بهم عُمَرُ ابنُ الخطَّاب رضي الله عنه عمرَو بن العاص بمصر؛ وهم : الزبير بن العوام، وعمير بن وهب الجمحي، وخارجة بن حذافة، وبسر ابن أرطاة . وقيل : المقداد موضع بسر . «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (١/٣٧٩) باختصار .

(٢) هو فناءٌ من الكعبة في شقِّها الشاميِّ، محوط بجدار (وكله من البيت، أو ستة أذرع منه، أو سبعة أذرع — أقوال) «المعالم الأثيرة» .

www.saida-islam.weebly.com

عِلَّةً؛ أَقُولُ قَدِمْتُ عَلَى ابْنِي هَذَا الأَسِيرِ[١]، فَفَرِحَ صَفْوَانُ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ : عَلَيَّ دَيْنُكَ، وَعِيَالُكَ أُسْوَةُ عِيَالِي فِي النَّفَقَةِ، إِنْ يَسَعْنِي شَيْءٌ[٢] وَنَعْجِزْ عَنْهُمْ، فَحَمَلَهُ صَفْوَانُ وَجَهَّزَهُ بِسَيْفِ صَفْوَانَ فَصُقِلَ وَسُمَّ، وَقَالَ عُمَيْرٌ لِصَفْوَانَ : اكْتُمْنِي لَيَالِيَ، فَأَقْبَلَ عُمَيْرٌ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَنَزَلَ بَابَ الْمَسْجِدِ، وَعَقَلَ رَاحِلَتَهُ، وَأَخَذَ السَّيْفَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ ابن الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنَ الأَنْصَارِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ، وَيَشْكُرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ عُمَيْرَ بنَ وَهْبٍ مَعَهُ السَّيْفُ فَزِعَ مِنْهُ، فَقَالَ: عِنْدَكُمُ الْكَلْبُ، هَذَا عَدُوُّ اللَّهِ الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ[٣]. فَقَامَ عُمَرُ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : هَذَا عُمَيْرُ ابن وَهْبٍ، قَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ مَعَهُ السِّلاحُ، فَهُوَ الْفَاجِرُ الْغَادِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَأْمَنْهُ، قَالَ : أَدْخِلْهُ عَلَيَّ، فَدَخَلَ عُمَرُ وَعُمَيْرٌ، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ يَحْتَرِسُوا مِنْ عُمَيْرٍ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ، فَأَقْبَلَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ وَعُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ، فَدَخَلا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَ عُمَرَ سَيْفُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ :" **تَأَخَّرْ عَنْهُ** ". فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ حَيَّاهُ عُمَيْرٌ : أَنْعِمْ صَبَاحًا – وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ –، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَنْ تَحِيَّتِكَ، وَجَعَلَ تَحِيَّتَنَا السَّلامَ، وَهِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ** ". فَقَالَ

---

(٣) هو وهب بن عمير بن وهب؛ أسر يوم بدر كافراً، ثم قدم أبوه بالمدينة، فأطلقه له رسول الله ﷺ، فأسلم وكان له قدر وشرف، ومات بالشام مجاهداً . «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤٩٥/١) باختصار .

(١) أي لا يغنيني، يعني الذي يوجد عندي كما هو لعيالي فهو لعيالك .

(٢) هذا كان يوم بدر، لَمَّا اطْمَأَنّ المشركون، فبَعَثُوا عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ الْجُمَحِيّ – وَكَانَ صَاحِبَ قِدَاحٍ – فَقَالُوا : احْزِرْ لَنَا مُحَمّدًا وَأَصْحَابَهُ؛ فَاسْتَجَالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ الْمُعَسْكَرِ فَصَوّبَ فِي الْوَادِي، وَصَعِدَ يَقُولُ عَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مَدَدٌ أَوْ كَمِينٌ؛ ثُمّ رَجَعَ فَقَالَ لا مَدَدَ وَلا كَمِينَ ،الْقَوْمُ ثَلاثُمِائَةٍ إنْ زَادُوا قَلِيلاً، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيرًا، وَمَعَهُمْ فَرَسَانِ . ثُمّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، الْبَلايَا تَحْمِلُ الْمَنَايَا، نَوَاضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النّاقِعَ، قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلا مَلْجَأٌ إلاّ سُيُوفُهُمْ، أَلا تَرَوْنَهُمْ خُرْسًا لا يَتَكَلّمُونَ، يَتَلَمّظُونَ تَلَمّظَ الأَفَاعِي ؟ وَاَللّهِ مَا أَرَى أَنْ يُقْتَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتّى يَقْتُلَ مِنّا رَجُلاً، فَإِذَا أَصَابُوا مِنْكُمْ مِثْلَ عَدَدِهِمْ فَمَا خَيْرٌ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَارْتَئُوا رَأْيَكُمْ . «مغازي الواقدي» ص (٦٢) و«طبقات ابن سعد» (١٦/٢) و«السيرة النبوية لابن هشام» (١٧٠/٣) .

www.saida-islam.weebly.com

عُمَيْرٌ : إِنَّ عَهْدَكَ بِهَا لَحَدِيثٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ بَدَّلَنَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَمَا أَقْدَمَكَ يَا عُمَيْرُ ؟**" قَالَ : قَدِمْتُ فِي أَسِيرِي عِنْدَكُمْ، فَفَارِبُونِي فِي أَسِيرِي، فَإِنَّكُمُ الْعَشِيرَةُ وَالأَهْلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي رَقَبَتِكَ ؟**". فَقَالَ عُمَيْرٌ : قَبَّحَهَا اللَّهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، أَنَا نَسِيتُهُ وَهُوَ فِي رَقَبَتِي حِينَ نَزَلَتْ، وَلَعَمْرِي إِنَّ لِي غَيْرَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اصْدُقْنِي مَا أَقْدَمَكَ** "، قَالَ: مَا قَدِمْتُ إِلاَّ فِي أَسِيرِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَمَا شَرَطْتَ لِصَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ فِي الْحِجْرِ ؟**" فَفَزِعَ عُمَيْرٌ، وَقَالَ : مَاذَا اشْتَرَطْتُ لَهُ، قَالَ :" **تَحَمَّلْتَ لَهُ بِقَتْلِي عَلَى أَنْ يَعُولَ بنيك وَيَقْضِيَ دَيْنَكَ، وَاللَّهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ** "، فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ كُنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ نُكَذِّبُ بِالْوَحْيِ، وَبِمَا يَأْتِيكَ مِنَ السَّمَاءِ، وَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الَّذِي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَفْوَانَ فِي الْحِجْرِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهِ، فَآمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَقَامَ، فَفَرِحَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ هَدَاهُ اللَّهُ، وَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ : لَخِنْزِيرٌ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حِينَ اطَّلَعَ، وَلَهُوَ الْيَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْضِ بَنِيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اجْلِسْ نُوَاسِكَ** ". وَقَالَ :" **عَلِّمُوا أَخَاكُمُ الْقُرْآنَ** ". وَأَطْلَقَ لَهُ أَسِيرَهُ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنْتُ جَاهِدًا مَا اسْتَطَعْتُ عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَاقَنِي هَذَا الْمَسَاقَ، فَلْتَأْذَنْ لِي، فَأَلْحَقَ بِقُرَيْشٍ، فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ، وَيَسْتَنْقِذُهُمْ مِنَ الْهَلَكَةِ[1]، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَجَعَلَ صَفْوَانُ يَقُولُ لِقُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ : أَبْشِرُوا بِفَتْحٍ يُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَجَعَلَ يَسْأَلُ كُلَّ رَاكِبٍ قَدِمَ مِنَ الْمَدِينَةِ، هَلْ كَانَ بِهَا مِنْ حَدَثٍ ؟ وَكَانَ يَرْجُو مَا قَالَ عُمَيْرُ بنُ وَهْبٍ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلَ صَفْوَانُ عَنْهُ، فَقَالَ : قَدْ أَسْلَمَ، فَلَقِيَهُ الْمُشْرِكُونَ، فَقَالُوا : قَدْ صَبَأَ، وَقَالَ صَفْوَانُ : إِنَّ عَلَيَّ أَنْ لا أَنْفَعَهُ بنفقَةٍ

---

(١) فيه ما سبق ذكره من أن عاطفة الدعوة والرحمة بالناس عاطفة فطرية، تأتي في قلب العبد عندما يدخل نور الإيمان فيه، ويستشعر الخوف من الله ولقائه، فعندها يأتي عنده الخوف على غيره من الوقوع في الهلكة، فيسعى جاهداً لاستنقاذهم منها بهدايتهم إلى سبيل النجاة والفلاح .

www.saida-islam.weebly.com

أَبَدًا، وَلا أُكَلِّمَهُ مِنْ رَأْسٍ كَلِمَةً أَبَدًا، وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عُمَيْرٌ وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَنَصَحَ لَهُمْ، فَأَسْلَمَ بَشَرٌ كَثِيرٌ [١] .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ نَزَلَ فِي أَهْلِهِ، وَلَمْ يَقْرَبْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَأَظْهَرَ الإِسْلامَ وَدَعَا إِلَيْهِ، فَبَلَغَ صَفْوَانَ؛ فَقَالَ : قَدْ عَرَفْتُ حِينَ لَمْ يَبْدَأْ بِي قَبْلَ مَنْزِلِهِ، وَإِنَّمَا رَحَلَ مِنْ عِنْدِي، أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَسَ وَلا أُكَلِّمُهُ مِنْ رَأْسِي أَبَدًا، وَلا أَنْفَعُهُ وَلا عِيَالَهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا . فَوَقَفَ عَلَيْهِ عُمَيْرٌ وَهُوَ فِي الْحِجْرِ، فَقَالَ : أَبَا وَهْبٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ فَقَالَ عُمَيْرٌ : أَنْتَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، أَرَأَيْت الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ حَجَرٍ وَالذَّبْحِ لَهُ، أَهَذَا دِينٌ؟! أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَلَمْ يُجِبْهُ صَفْوَانُ بِكَلِمَةٍ [٢] .

*****

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٣٥٨٦–١٣٥٨٩) والطبري في «تهذيب الآثار» (١٣٧٨) والبيهقي في الدلائل (١٤٨/٣) وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً وإسناده جيد، وروي عن عروة بن الزبير نحوه مرسلاً وإسناده حسن. ورواه الطبراني (١٣٥٨٩) عن أبي عمران الجوني، قال : لا أعلمه إلاَّ عن أنس بن مالك، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (١٢٨) وانظر «الاستيعاب» (٣٧٩/١) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ وَالعِشْرُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَمْرِو بْنِ العَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ بِقَبُولِ إِسْلَامِهِمَا مَعَ شِدَّةِ أَذَاهُمَا لَهُ وَفَرَحُهُ ﷺ بِإِسْلَامِهِمَا

عَنْ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا انْصَرَفْنَا مَعَ الأَحْزَابِ عَنِ الْخَنْدَقِ، جَمَعْتُ رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا يَرَوْنَ رَأْيِي، وَيَسْمَعُونَ مِنِّي، فَقُلْت لَهُمْ : تَعْلَمُونَ وَاَللَّهِ أَنِّي أَرَى أَمْرَ مُحَمَّدٍ يَعْلُو الأُمُورَ عُلُوّاً مُنْكَرًا، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْت أَمْرًا، فَمَا تَرَوْنَ فِيهِ ؟ قَالُوا : وَمَاذَا رَأَيْت ؟ قَالَ : رَأَيْت أَنْ نَلْحَقَ بِالنَّجَاشِيِّ فَنَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى قَوْمِنَا كُنَّا عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، فَإِنَّا أَنْ نَكُونَ تَحْتَ يَدَيْهِ أَحَبُّ إلَيْنَا مِنْ أَنْ نَكُونَ تَحْت يَدَيْ مُحَمَّدٍ، وَإِنْ ظَهَرَ قَوْمُنَا فَنَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفُوا، فَلَنْ يَأْتِيَنَا مِنْهُمْ إلاَّ خَيْرٌ . قَالُوا : إنَّ هَذَا الرَّأْيُ . وَكَانَ أَحَبُّ مَا يُهْدَى إلَيْهِ مِنْ أَرْضِنَا الأَدَمَ [(١)] . فَجَمَعْنَا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، ثُمَّ خَرَجْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ؛ فَوَاَللَّهِ إنَّا لَعِنْدَهُ إذْ جَاءَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَعَثَهُ إلَيْهِ فِي شَأْنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ : فَدَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ . قَالَ فَقُلْت لأَصْحَابِي : هَذَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ، وَسَأَلْته إيَّاهُ، فَأَعْطَانِيهِ فَضَرَبْت عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْت ذَلِكَ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي قَدْ أَجْزَأْت عَنْهَا حِينَ قَتَلْت رَسُولَ مُحَمَّدٍ . قَالَ : فَدَخَلْت عَلَيْهِ فَسَجَدْت لَهُ كَمَا كُنْت أَصْنَعُ؛ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِصَدِيقِي، أَهْدَيْتَ إلَيَّ مِنْ بِلادِك شَيْئًا ؟ قَالَ : قُلْت : نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْت إلَيْك أَدَمًا كَثِيرًا؛ قَالَ : ثُمَّ قَرَّبْته إلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاشْتَهَاهُ؛ ثُمَّ قُلْت لَهُ : أَيَّهَا الْمَلِكُ إنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِك، وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطِنِيهِ لأَقْتُلَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا؛ قَالَ : فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفِي ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ[(٢)]؛ فَلَوِ انْشَقَّتْ لِي الأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا[(٣)] مِنْهُ؛ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَيُّهَا

---

(١) جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ .

(٢) غضبة النجاشي رضي الله عنه تدلُّ على صدق إيمانه وشدَّة حبِّه لله ولرسوله ﷺ، وحبه للمسلمين، لذلك صلَّى عليه النبيُّ ﷺ حينما بلغه خبر وفاته . رواه البخاري (٣٨٧٧) ومسلم (٢٢٥١) .

(٣) أي خوفاً .

www.saida-islam.weebly.com

الْمَلِكُ، وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَهُ . قَالَ : أَتَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيَكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ[١] الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتُلَهُ . قَالَ : قُلْتُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَكَذَاكَ هُوَ ؟ قَالَ : وَيْحَكَ يَا عَمْرُو، أَطِعْنِي وَاتَّبِعْهُ[٢]، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ، وَلَيَظْهَرَنَّ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ . قَالَ : قُلْتُ : أَفَتُبَايِعُنِي لَهُ عَلَى الإِسْلامِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ عَلَى الإِسْلامِ ثُمَّ خَرَجْت إِلَى أَصْحَابِي، وَقَدْ حَالَ[٣] رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكَتَمْتُ أَصْحَابِي إِسْلامِي . ثُمَّ خَرَجْت عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لأُسْلِمَ، فَلَقِيتُ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْت : أَيْنَ يَا أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمِيسِمُ[٤]، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَنَبِيٌّ، أَذْهَبُ وَاللَّهِ فَأُسْلِمَ، فَحَتَّى مَتَى؛ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلاَّ لأُسْلِمَ .

قَالَ : فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلا أَذْكُرُ مَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **يَا عَمْرُو، بَايِعْ فَإِنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ[٥] مَا كَانَ قَبْلَهُ،**

---

(١) الناموس : هو الرجُلُ المطَّلعُ عَلَى باطِنِ أَمْرِكَ، المخْصُوصُ بما تَسْتُرُه مِن غيرِه. أَو هو صاحِبُ سِرِّ الخَيْرِ، كما أَنّ الجَاسُوسَ صاحبُ سِرِّ الشَّرِّ. وأَهْلُ الكِتابِ يُسَمُّون جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَام النّامُوسَ الأَكْبَرَ، لأَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّه بالوَحْيِ والغَيْبِ الَّذي لا يَطَّلِع عليهِمَا غيرُه؛ قاله أبو عبيد «النهاية» (٥/٢٤١) و«تاج العروس شرح القاموس» (١٦/٥٨٠).

(٢) فيه ما ينبغي لكل مسلم أن يكون عليه من بذل النصيحة للناس، وحبِّ هدايتهم، والسعي لإيصال الحق إلى الناس، فربَّ مدعوٍّ يكون له شأن في الإسلام لا يكون للداعي، والأجر كله للداعي الأول؛ فهذا النجاشي كان سبباً في إسلام عمرو بن العاص، ثم إن عمراً كان له أثر عظيم في الفتوحات الإسلامية، حيث فتح اللهُ على يديه مصر وهدى به وبمن معه أهلها .

(٣) أي تَحَوَّلَ وتَغَيَّرَ .

(٤) أي ظهرت علامة نبوته، وتبين صدق دعواه؛ والميسم : هو حديدة توسم بها الإبل .

(٥) أي يهدم، كما في رواية لمسلم (٣٣٦) عَنِ ابْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلاً، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا ؟ قَالَ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ؛ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلاَثٍ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي =

www.saida-islam.weebly.com

وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا ". قَالَ فَبَايَعْته، ثُمَّ انْصَرَفْتُ [١]. وفي رِوَايَةٍ قَالَ عَمْرٌو : ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِالْهَدَاةِ[٢]، فَإِذَا رَجُلَانِ قَدْ سَبَقَانِي بِغَيْرِ كَثِيرٍ، يُرِيدَانِ مَنْزِلًا وَأَحَدُهُمَا دَاخِلٌ فِي خَيْمَةٍ، وَالْآخَرُ قَائِمٌ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْنِ، نَظَرْتُ فَإِذَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَقُلْتُ : أَبَا سُلَيْمَانَ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: مُحَمَّدًا ﷺ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ بِهِ طَعْمٌ[٣]، وَاللهِ لَوْ أَقَمْتُ لَأَخَذَ بِرِقَابِنَا كَمَا يُؤْخَذُ بِرَقَبَةِ الضَّبُعِ فِي مَغَارَتِهَا، قُلْتُ : وَأَنَا وَاللهِ قَدْ أَرَدْتُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَرَدْتُ الْإِسْلَامَ، فَخَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَرَحَّبَ بِي، فَنَزَلْنَا جَمِيعًا فِي الْمَنْزِلِ، ثُمَّ رَافَقَنَا حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَمَا أَنْسَى قَوْلَ رَجُلٍ لَقِيَنَا بِبِئْرِ أَبِي عَنَبَةَ يَصِيحُ: يَا رَبَاحُ يَا رَبَاحُ[٤]، فَتَفَاءَلْنَا بِقَوْلِهِ، وَسِرْنَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْنَا، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ : قَدْ أَعْطَتْ مَكَّةُ الْمَقَادَةَ[٥] بَعْدَ هَذَيْنِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِينِي وَيَعْنِي خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى الْمَسْجِدِ سَرِيعًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ بَشَّرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِقُدُومِنَا، فَكَانَ مَا ظَنَنْتُ وَأَنَخْنَا[٦] بِالْحَرَّةِ[٧]، فَلَبِسْنَا

=وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنِّي، وَلاَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ؛ فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ قَالَ : فَقَبَضْتُ يَدِى . قَالَ :" **مَا لَكَ يَا عَمْرُو** ؟". قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ . قَالَ :" **تَشْتَرِطُ بِمَاذَا** ؟". قُلْتُ : أَنْ يُغْفَرَ لِي . قَالَ :" **أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**؟". وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ؛ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّى لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ؛ وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِى مَا حَالِي فِيهَا .

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧٧٧٧) والطبراني كما قال الهيثمي في المجمع (٣٣٣/٩) وقال : ورجالهما ثقات . وانظر «سيرة ابن هشام» (٢٧٦/٢ – ٢٧٩) .

(٢) هو مكان بين مكة والطائف، عليها الطريق، على مسافة ١٨ كيلاً من الطائف. وقيل: هو مكان بين مكة وعسفان.

(٣) أي عقل وحزم . أي أن الرجال العقلاء قد أسلموا .

(٤) هو اسم مولى رسول الله ﷺ؛ والرباح في اللغة: هو النماء في التجر، وتفاءلوا باسمه لأنه سبب الرجاء لوجدان مطلوبهم.

(٥) أي أعطت القيادة للمسلمين واستسلمت بعد إسلام هذين . يقال : أعطاه مقادته : أي انقاد له .

(٦) أي أبركنا جمالنا .

(٧) هي أرض ذات حجارة سوداء. ومكانها بظاهر المدينة .

www.saida-islam.weebly.com

مِنْ صَالِحِ ثِيَابًا، وَنُودِيَ بِالْعَصْرِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى اطَّلَعْنَا عَلَيْهِ وَإِنَّ لِوَجْهِهِ تَهَلُّلاً، وَالْمُسْلِمُونَ حَوْلَهُ قَدْ سُرُّوا بِإِسْلَامِنَا، وَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ فَبَايَعَ، ثُمَّ تَقَدَّمْتُ فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَرْفَعَ طَرْفِي إِلَيْهِ حَيَاءً مِنْهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَلَمْ يَحْضُرْنِي مَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ :" **إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَالْهِجْرَةَ تَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا** "، فَوَاللهِ مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَبِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَمْرٍ حَزَبَهُ[(١)] مُنْذُ أَسْلَمْنَا [(٢)].

---

(١) أي نابه وأَلَمَّ به؛ يعني لم يسوِّ بهما أحداً من أصحابه فيما أهمه من أمر، وذلك أنه كان يستشيرهما ويقدمهما في أمور الحرب والقتال. وكان ﷺ قد أمَّره على سريةٍ نحو الشام، وقال له :" **يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ فِي جَيْشٍ يُسَلِّمُكَ اللهُ وَيُغَنِّمُكَ، وَأَرْغَبُ لَكَ مِنَ المَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً** ". فبعثه إلى أحوال أبيه العاص بن وائل من بلي يدعوهم إلى الإسلام، ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه، فكان قدومه إلى المدينة في صفر سنة ثمانٍ، ووجَّهه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ إلى السلاسل من بلاد قضاعة في ثلاثمائة – وبذلك سميت تلك الغزوة ذات السلاسل– وكانت أم والد عمرو من بلي، فبعثه رسول الله ﷺ إلى أرض بلي وعذرة، يستألفهم بذلك، ويدعوهم إلى الإسلام، ثم كتب إلى رسول الله ﷺ من تلك الغزوة يستمدُّه، فأمده بجيشٍ من مائتي فارس من المهاجرين والأنصار أهل الشرف، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمَّر عليهم أبا عبيدة . وولَّى رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على عمان، فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ﷺ؛ وعمل لعمر وعثمان ومعاوية، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ولاَّه بعد موت يزيد بن أبي سفيان فلسطين والأردن، ثم جمع الشام كلها لمعاوية، وكتب إلى عمرو بن العاص، فسار إلى مصر، فافتتحها، فلم يزل عليها والياً حتى مات عمر، فأقرَّه عثمان عليها أربع سنين أو نحوها، ثم عزله عنها، وولاَّها عبد الله بن سعد العامري . ثم ولاَّه معاوية رضي الله عنه مصر، فلم يزل عليها إلى أن مات بها أميراً عليها، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم، وكان شاعراً حسن الشعر، حفظ عنه الكثير في مشاهد شتى . وكان أحد الدهاة في أمور الدنيا المقدمين في الرأي والمكر والدهاء، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال : أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد، يريد خالق الأضداد. ولَمَّا حضرته الوفاة قال : **اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَلَمْ أَئْتَمِرْ، وَزَجَرْتَنِي فَلَمْ أَنْزَجِرْ، وَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ الغِلِّ، وقَالَ : اللَّهُمَّ لَا قَوِيٌّ فَأَنْتَصِرْ، وَلَا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرْ، وَلَا مُسْتَكْبِرٌ بَلْ مُسْتَغْفِرْ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ** . فلم يزل يردِّدها حتى مات . وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :" **ابْنا العَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ** ". «الاستيعاب» (١/ ٣٦٦ –٣٦٩).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق الواقدي (٣/٣٤٥ – ٣٤٦) وانظر «البداية والنهاية» (٤/٢٣٨) .

www.saida-islam.weebly.com

وعن خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِي مِنَ الْخَيْرِ مَا أَرَادَ، قَذَفَ فِي قَلْبِي حُبَّ الإِسْلامِ، وَحَضَرَنِي رُشْدِي، وَقُلْت : قَدْ شَهِدْت هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ، فَلَيْسَ مَوْطِنٌ أَشْهَدُهُ إلاَّ أَنْصَرِفُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مُوضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ[١]، وَأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَظْهَرُ. فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَى الْحُدَيْبِيَةِ، خَرَجْت فِي خَيْلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ بِعُسْفَانَ؛ فَقُمْتُ بِإِزَائِهِ، وَتَعَرَّضْتُ لَهُ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ الظُّهْرَ آمِنًا مِنَّا، فَهَمَمْنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يَعْزِمْ لَنَا – وَكَانَتْ فِيهِ خِيرَةٌ –؛ فَاطَّلَعَ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِنَا مِنَ الْهُمُومِ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ صَلاةَ الْعَصْرِ صَلاةَ الْخَوْفِ، فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنِّي مَوْقِعًا، وَقُلْتُ : الرَّجُلُ مَمْنُوعٌ؛ وَافْتَرَقْنَا، وَعَدَلَ عَنْ سَنَنِ خَيْلِنَا، وَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ، فَلَمَّا صَالَحَ قُرَيْشًا بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَدَافَعَتْهُ قُرَيْشٌ بِالرَّوَاحِ[٢]، قُلْتُ فِي نَفْسِي : أَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ ؟ أَيْنَ الْمَذْهَبُ؟ إلَى النَّجَاشِيِّ ؟ فَقَدِ اتَّبَعَ مُحَمَّدًا، وَأَصْحَابُهُ آمِنُونَ عِنْدَهُ؛ فَأَخْرُجُ إلَى هِرَقْلَ ؟ فَأَخْرُجُ مِنْ دِينِي إلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ فَأُقِيمُ مَعَ عَجَمٍ تَابِعًا، أَوْ أُقِيمُ فِي دَارِي فِيمَنْ بَقِيَ ؟ فَأَنَا عَلَى ذَلِكَ إذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ[٣]، فَتَغَيَّبْت، فَلَمْ أَشْهَدْ دُخُولَهُ، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيَّةِ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي فَكَتَبَ إلَيَّ كِتَابًا فَإِذَا فِيهِ :

---

(١) أي أنه عامل في غير فائدة . مع أنه كان من رجال قريش المعدودين، فكان أشجعهم قلباً، عالماً بفنون الحرب، فارساً مغواراً، لا يرهب الموت، ولا تهوله كثرة الجيوش، لكنَّه مع ذلك أخفق في محاربة رسول الله ﷺ ولم تنفعه شجاعته، ولم تفده فروسيته؛ فكان يرى أنه في غير شيء إزاء رسول الله ﷺ كما اعترف بنفسه . فماذا يعمل خالدٌ وغيرُ خالدٍ أمام النبوة، ورسول الله ﷺ يمدُّه الله ﷻ بالقوى الظاهرة والباطنة وتقع على يديه المعجزات الباهرة .

(٢) الأصحُّ بالرَّاح؛ وهذا مثل يضرب في المنع، تقول : دافعته بالراح فاندفع؛ يعني زاحمته بالرجوع فقط .

(٣) تسمى عمرة القضية، وعمرة القضاء، وعمرة الصلح، وعمرة القصاص، وكانت في ذي القعدة سنة سبع، قال السهيلي في الروض الأنف : وسميت عمرة القضاء لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها، لا لأنه قضى العمرة التي صُدَّ عن البيت فيها، فإنها لم تكن فسدت بصدهم عن البيت، بل كانت عمرة تامة متقبلة، وهي معدودة في عمره ﷺ، وهنَّ أربعٌ . ولَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَتَا عُمْرَة وَاحِدَة. وهذا قول الجمهور فيمن اعتمر وصُدَّ عن البيت يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه.

www.saida-islam.weebly.com

"بِسْمِ اللّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، أَمّا بَعْدُ : فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِك عَنِ الإِسْلامِ، وَعَقْلُك عَقْلُكَ[١]، وَمِثْلُ الإِسْلامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ ؟!" وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْكَ، فَقَالَ :" أَيْنَ خَالِدٌ ؟" فَقُلْت : يَأْتِي اللَّهُ بِهِ . فَقَالَ :" مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الإِسْلامَ، وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ[٢] وَجِدَّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ [٣]". فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا فَاتَك، فَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ .

---

(١) أي عقلك هو عقلك الراجح المستقيم، الذي يزن الأمور بميزان صحيح؛ وهو مدح له وتعجب من تأخر إسلامه وعقله من الرشد بالمكان الرفيع؛ وفيه المدح للمدعو والثناء عليه؛ لأن ذلك آلف لقلبه. «حاشية البار بنكوي» (١/٢١٦).

(٢) نكى في العدو : قتل فيهم وجرح . والجِدُّ : هو الجهد .

(٣) فيه بيان رحمته ﷺ باهتمامه بالمدعوين مهما كانت سابقتهم في العداء للإسلام وأهله، ممَّا كان له أعظم الأثر عليهم في كسبهم إلى الصف المؤمن، فقد كانت لهذه الرسالة الرحيمة من الرحمة المهداة ﷺ أعظم الأثر في تحوُّل قلب خالد رضي الله عنه وتوجهه نحو الإسلام؛ ومدح ﷺ سداد رأيه ورجاحة عقله، فانتزع ﷺ بهذه الكلمات كل الجوانب التي تجعل خالدًا يظل على الشرك الذي لم يكن مقتنعًا به إلاَّ بمقدار ما حصل له فيه من قيادة وتصدُّر، فلما كان ما هيأه له المشركون سيحصل له إذا دخل في الإسلام، واطمأنَّ بأنه لو أسلم لن يكون في آخر القائمة، ولن يكون مهملاً، شجَّعه ذلك على التغلب على وساوس الشيطان، ورجَّح ما اطمأنت إليه نفسه من الميل إلى الإسلام، فعزم على الدخول فيه؛ فكان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد قوة عظيمة للإسلام وأهله، وضعفًا للشرك وأهله، وكتب الله على أيديهما صفحات مشرقة من تاريخ المسلمين الجهادي أصبحت باقية في ذاكرة الأمة وتاريخها المجيد على مرِّ الدهور، وكرِّ العصور، على توالي الأزمان. «السيرة النبوية للصلابي» بتصرف (٢/٤٥٨) . وقد كان رسول الله ﷺ يعرف الرجال ويقدرهم، لذلك كان يرجو أن يهدي الله خالداً إلى الإسلام ويجعل نكايته مع المسلمين على المشركين، وقد صدقت فيه فراسة رسول الله ﷺ كما صدقت فراسته في عمر بن الخطاب؛ فإن خالداً بعد أن أسلم دافع عن الإسلام دفاعاً مجيداً، قلَّ أن يحدث مثله في تاريخ العالم، وقد شهد له بذلك الصحابة والأمم التي حاربها من فرس وروم، واعترف له علماء التاريخ بالكفاية الحربية النادرة، وقاد جيوش المسلمين على قلة عددهم وعددهم التي لم تتجاوز السيف والقوس والفرس، فهزم إمبراطوريتين ملكتا العالم بكثرة جيوشهما، ووفرة الذخائر والمال، ألا وهما الفرس والرومان؛ فكانت جيوشهما تقتل وتفرُّ أمامه من الميدان مهزومة، وكبار القادة يصرعون أو يسلمون، والمدن الحصينة تفتح أبوابها، وتسلم، وتخضع أمام قوة العقيدة وصدق الإيمان والإخلاص، وعدم الاكتراث بمواجهة الجيوش الجرَّارة، طمعاً في الشهادة .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : فَلَمَّا جَاءَنِي كِتَابُهُ نَشِطْتُ لِلْخُرُوجِ، وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الإِسْلامِ وَسَرَّنِي مَقَالَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَ خَالِدٌ : وَأَرَى فِي النَّوْمِ كَأَنِّي فِي بِلادٍ ضَيِّقَةٍ جَدِيبَةٍ، فَخَرَجْت إِلَى بَلَدٍ أَخْضَرَ وَاسِعٍ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا [١] . فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ قُلْتُ : لأَذْكُرَنَّهَا لأَبِي بَكْرٍ . قَالَ : فَذَكَرْتُهَا؛ فَقَالَ : هُوَ مَخْرَجُكَ الَّذِي هَدَاكَ اللَّهُ لِلإِسْلامِ، وَالضِّيقُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ مِنَ الشِّرْكِ . فَلَمَّا أَجْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ : مَنْ أُصَاحِبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؟ فَلَقِيتُ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا وَهْبٍ، أَمَّا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ إِنَّمَا نَحْنُ أَكَلَةُ رَأْسٍ [٢]، وَقَدْ ظَهَرَ مُحَمَّدٌ عَلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَلَوْ قَدِمْنَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَاتَّبَعْنَاهُ، فَإِنَّ شَرَفَ مُحَمَّدٍ لَنَا شَرَفٌ. فَأَبَى أَشَدَّ الإِبَاءِ، وَقَالَ : لَوْ لَمْ يَبْقَ غَيْرِي مِنْ قُرَيْشٍ مَا اتَّبَعْته أَبَدًا . فَافْتَرَقْنَا، وَقُلْتُ : هَذَا رَجُلٌ مَوْتُورٌ [٣]، يَطْلُبُ وِتْرًا، قَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ بِبَدْرٍ. فَلَقِيتُ عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي جَهْلٍ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتُ لِصَفْوَانَ، فَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ صَفْوَانُ . قُلْتُ : فَاطْوِ مَا ذَكَرْتُ لَكَ . قَالَ: لا أَذْكُرُهُ . وَخَرَجْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَأَمَرْتُ بِرَاحِلَتِي تُخْرَجُ إِلَيَّ، فَخَرَجْتُ بِهَا إِلَى أَنْ أَلْقَى عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ؛ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا لِي لَصَدِيقٌ، وَلَوْ ذَكَرْتُ لَهُ مَا أُرِيدُ؛ ثُمَّ ذَكَرْت مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِ، فَكَرِهْتُ أُذَكِّرُهُ، ثُمَّ قُلْتُ : وَمَا عَلَيَّ وَأَنَا رَاحِلٌ مِنْ سَاعَتِي ؟ فَذَكَرْتُ لَهُ مَا صَارَ الأَمْرُ إِلَيْهِ؛ فَقُلْتُ : إِنَّمَا نَحْنُ بِمَنْزِلَةِ ثَعْلَبٍ فِي جُحْرٍ، لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ ذَنُوبٌ مِنْ مَاءٍ لَخَرَجَ . قَالَ : وَقُلْتُ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قُلْتُ لِصَاحِبَيْهِ، فَأَسْرَعَ الإِجَابَةَ، وَقَالَ : لَقَدْ غَدَوْتُ الْيَوْمَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْدُوَ، وَهَذِهِ رَاحِلَتِي بِفَجِّ [٤] مُنَاخَةٌ .

---

(١) أي رؤيا صادقة .

(٢) أَكَلَةُ : جمع آكل؛ يعني أنهم قليل يشبعهم رأس واحد. وفي رواية البيهقي : كأضراس؛ ويضرب المثل بالأضراس للقلة لقلتها.

(٣) الموتور : هو من قتل له قتيل من أب أو أخ ولم يدرك بدمه. ويطلب وتراً : يطلب بثأره .

(٤) هو وادي مكة الأعظم، وصدره شعب بني عبد الله بن خالد بن أسيد «أخبار مكة للأزرقي» (٢٧٩/٢) وكان يسمى وادي الزاهر الكبير، كما يسمى اليوم الشهداء .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : فَاتَّعَدْت[١] أَنَا وَهُوَ بِيَأْجُجَ[٢]، إنْ سَبَقَنِي أَقَامَ، وَإِنْ سَبَقْته أَقَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ : فَأَدْلَجْنَا[٣] سَحَرًا، فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى الْتَقَيْنَا بِيَأْجَجَ، فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إلَى الْهَدَّةِ، فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا؛ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ . فَقُلْنَا : وَبِكَ . قَالَ أَيْنَ مَسِيرُكُمْ ؟ قُلْنَا : مَا أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ : فَمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمْ ؟ قُلْنَا : الدُّخُولُ فِي الإِسْلامِ، وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ. قَالَ : وَذَلِكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي . قَالَ : فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَأَنَخْنَا بِظَاهِرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا.

فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسُرَّ بِنَا، فَلَبِسْت مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي، ثُمَّ عَمِدْتُ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَقِيَنِي أَخِي، فَقَالَ : أَسْرِعْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ، فَسُرَّ بِقُدُومِكَ، وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ. فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ، فَطَلَعْتُ عَلَيْهِ، فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ[٤]، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ؛ فَقُلْتُ : إنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

فَقَالَ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاك، قَدْ كُنْت أَرَى لَك عَقْلاً رَجَوْت أَلاَّ يُسَلِّمَك إلاَّ إلَى الْخَيْرِ** ". قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا عَنِ الْحَقِّ[٥]، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَهَا لِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الإِسْلامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ** ". قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدٍ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَنْ سَبِيلِك** ".

---

(١) اتَّعَدَ القوم : وعد بعضهم بعضاً .

(٢) اسم مكان من مكة، وهو وادٍ من أودية مكة شمال عمرة التنعيم، ووادي التنعيم يصب في يأجج يقطعه الطريق إلى المدينة على عشرة أكيال من المسجد الحرام؛ يعرف اليوم باسم (ياج) «المعالم الأثيرة» .

(٣) أي سرنا من آخر الليل .

(٤) أي قلت : السلام عليك يا نبي الله .

(٥) أي مخالفاً ورادّاً للحق مع معرفته .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ خَالِدٌ : وَتَقَدَّمَ عَمْرٌو وَعُثْمَانُ فَبَايَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ وَكَانَ قُدُومُنَا فِي صَفَرٍ سَنَةَ ثَمَانٍ؛ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِ أَسْلَمْتُ يَعْدِلُ بِي أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِيمَا حَزَبَهُ[١].

---

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه (٧٤٦ – ٧٤٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢٦/١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٤٩/٤ – ٣٥٢). وأخرج الواقدي في مغازيه ص (٨٧٣) وابن عساكر في تاريخه (٢٣٢/١٦) عن سعيد الهذلي، أن رسول الله ﷺ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزّى يَهْدِمُهَا، فَخَرَجَ خَالِدٌ فِي ثَلاثِينَ فَارِسًا مِنْ أَصْحَابِهِ حَتّى انْتَهَى إِلَيْهَا وَهَدَمَهَا .. فقال خالد : **يا عُزُّ كُفرانَكِ لا سُبْحَانَكِ .... إني رَأَيتُ اللهَ قد أهانَكِ** . قَالَ خَالِدٌ : وَأَخَذَنِي اقْشِعْرَارٌ فِي ظَهْرِي، قَالَ : فَضَرَبَهَا بِالسّيْفِ فَجَزّلَهَا بِاثْنَيْنِ، ثُمّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ :" **نَعَمْ تِلْكَ الْعُزَّى وَقَدْ يَئِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلادِكُمْ أَبَدًا** ". ثُمّ قَالَ خَالِدٌ : أَيْ رَسُولَ اللّهِ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَكْرَمَنَا وَأَنْقَذَنَا مِنَ الْهَلَكَةِ، إِنّي كُنْت أَرَى أَبِي يَأْتِي إِلَى الْعُزّى بِجِزْهِ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَالْغَنَمِ فَيَذْبَحُهَا لِلْعُزّى، وَيُقِيمُ عِنْدَهَا ثَلاثًا ثُمّ يَنْصَرِفُ إِلَيْنَا مَسْرُورًا، فَنَظَرْت إِلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ أَبِي، وَذَلِكَ الرّأْيُ الّذِي كَانَ يُعَاشُ فِي فَضْلِهِ كَيْفَ خُدِعَ حَتّى صَارَ يَذْبَحُ لِحَجَرٍ لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يَضُرّ وَلا يَنْفَعُ . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : "**إنّ هَذَا الأَمْرَ إِلَى اللّهِ، فَمَنْ يَسّرَهُ لِلْهُدَى تَيَسّرَ، وَمَنْ يَسّرَهُ لِلضّلالَةِ كَانَ فِيهَا** ". وروى أحمد في مسنده (٤٣) عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ ﷺ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ عَقَدَ لِخَالِدِ ابْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :" **نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ**". قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات. وأخرج البخاري (٣٧٥٧) عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ :" **أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ** ". وأخرج البخاري (٤٢٦٥) عن قيس بن أبي حازم، قال : سمعت خالداً يقول : لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلاَّ صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ . وأخرج البيهقي في سننه (١٦٨٤٩) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ أَمَرَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، وَيُنَبِّئَهُمْ بِالَّذِي لَهُمْ فِيهِ وَعَلَيْهِمْ، وَيَحْرِصَ عَلَى هُدَاهُمْ، فَمَنْ أَجَابَهُ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، أَحْمَرِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ، كَانَ يَقْبَلُ ذَلِكَ مِنْهُ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا يُقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ، فَإِذَا أَجَابَ الْمَدْعُوُّ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَصَدَقَ إِيمَانُهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَكَانَ =

www.saida-islam.weebly.com

=اللهُ ﷻ هُوَ حَسِيبَهُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ إِلَى مَا دَعَاهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ مِمَّنْ يَرْجِعُ عَنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ . وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/٣٤٤) عن صالح بن كيسان : أَنَّ خَالداً نَزَلَ الْحِيرَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَشْرَافُهُمْ مَعَ قَبِيصَةَ بْنِ إِيَاسِ بْنِ حَيَّةَ الطَّائِيِّ- وَكَانَ أَمَّرَهُ عليها كسرى بعد النعمان بن الْمُنْذِرِ- فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ وَلأَصْحَابِهِ: أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَبْتُمْ إِلَيْهِ فَأَنْتُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَكُمْ مَا لَهُمْ وَعَلَيْكُمْ مَا عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فَإِنْ أَبَيْتُمُ الْجِزْيَةَ فَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِأَقْوَامٍ هُمْ أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ مِنْكُمْ عَلَى الْحَيَاةِ، جَاهَدْنَاكُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ. فَقَالَ لَهُ قَبِيصَةُ بْنُ إِيَاسٍ: مَا لَنَا بِحَرْبِكَ مِنْ حَاجَةٍ، بَلْ نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا، وَنُعْطِيكَ الْجِزْيَةَ فَصَالَحَهُمْ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. وأخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٣/٣٩٩) عن الواقدي وغيره قالوا : خَرَجَ جَرَجَةُ – أحد أُمَرَاءِ الروم – مِنَ الصَّفِّ – أي يَومَ اليرموك – حَتَّى كَانَ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، وَنَادَى: لِيَخْرُجْ إِلَيَّ خَالِدٌ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ خَالِدٌ وَأَقَامَ أَبَا عُبَيْدَةَ مَكَانَهُ، فَوَافَقَهُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ دَابَّتَيْهِمَا، وَقَدْ أَمِنَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ جرجةُ: يَا خَالِدُ أَصْدِقْنِي وَلا تُكْذِبْنِي فَإِنَّ الْحُرَّ لا يَكْذِبُ وَلا تُخَادِعْنِي فَإِنَّ الْكَرِيمَ لا يُخَادِعُ الْمُسْتَرْسِلَ بِاللَّهِ، هَلْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيُّكُمْ سَيْفًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَعْطَاكَهُ، فَلا تُسِلُّهُ عَلَى قَوْمٍ إِلا هَزَمْتَهُمْ؟ قَالَ: لا، قَالَ: فَبِمَ سُمِّيتَ سَيْفَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ فِينَا نَبِيَّهُ ﷺ، فَدَعَانَا فَنَفَرْنَا عَنْهُ وَنَأَيْنَا عَنْهُ جَمِيعًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَنَا صَدَّقَهُ وَتَابَعَهُ، وَبَعْضَنَا بَاعَدَهُ وَكَذَّبَهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ كَذَّبَهُ وَبَاعَدَهُ وَقَاتَلَهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ بِقُلُوبِنَا وَنَوَاصِينَا، فَهَدَانَا بِهِ، فَتَابَعْنَاهُ، فَقَالَ :" **أَنْتَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ** ". وَدَعَا لِي بِالنَّصْرِ، فَسُمِّيتُ سَيْفَ اللَّهِ بِذَلِكَ، فَأَنَا مِنْ أَشَدِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. قَالَ صَدَقْتَنِي، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جرجه: يا خالد، أخبرني إلام تَدْعُونِي؟ قَالَ: إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالإِقْرَارِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَمَنْ لَمْ يُجِبْكُمْ؟ قَالَ: فَالْجِزْيَةُ وَتَمْنَعُهُمْ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ يُعْطِهَا، قَالَ: نُؤْذِنُهُ بِحَرْبٍ، ثُمَّ نُقَاتِلُهُ قَالَ: فَمَا مَنْزِلَةُ الَّذِي يَدْخُلُ فِيكُمْ وَيُجِيبُكُمْ إِلَى هَذَا الأَمْرِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: مَنْزِلَتُنَا وَاحِدَةٌ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا، شَرِيفُنَا وَوَضِيعُنَا، وَأَوَّلُنَا وَآخِرُنَا. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ جرجةُ: هَلْ لِمَنْ دَخَلَ فِيكُمُ الْيَوْمَ يَا خَالِدُ مِثْلُ مَا لَكُمْ مِنَ الأَجْرِ وَالذُّخْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَفْضَلُ، قَالَ: وَكَيْفَ يُسَاوِيكُمْ وَقَدْ سَبَقْتُمُوهُ؟ قَالَ: إِنَّا دَخَلْنَا فِي هَذَا الأَمْرِ، وَبَايَعْنَا نَبِيَّنَا ﷺ وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، تَأْتِيهِ أَخْبَارُ السَّمَاءِ ويخبرنا بِالْكُتُبِ، وَيُرِينَا الآيَاتِ، وَحَقٌّ لِمَنْ رَأَى مَا رَأَيْنَا، وَسَمِعَ مَا سَمِعْنَا، أَنْ يُسْلِمَ وَيُبَايِعَ، وَإِنَّكُمْ أَنْتُمْ لَمْ تَرَوْا مَا رَأَيْنَا، وَلَمْ تَسْمَعُوا مَا سَمِعْنَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْحُجَجِ، فَمَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنْكُمْ بِحَقِيقَةٍ وَنِيَّةٍ كَانَ أَفْضَلَ مِنَّا. قَالَ جرجةُ: بِاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَلَمْ تُخَادِعْنِي وَلَمْ تَأْلُفْنِي! قَالَ: بِاللَّهِ، لَقَدْ صَدَقْتُكَ وَمَا بِي إِلَيْكَ وَلا إِلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ وَحْشَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَوَلِيُّ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ. فَقَالَ: صَدَقْتَنِي، وَقَلَبَ التُّرْسَ وَمَالَ مَعَ خَالِدٍ، وَقَالَ: عَلِّمْنِي الإِسْلامَ، فَمَالَ بِهِ خَالِدٌ إِلَى فُسْطَاطِهِ، فَشَنَّ عَلَيْهِ قِرْبَةً مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، وَحَمَلَتِ الرُّومُ مَعَ انْقِلابِهِ إِلَى=

www.saida-islam.weebly.com

=خَالِدٍ، وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهَا مِنْهُ حَمْلَةٌ، فَأَزَالُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ إِلَّا الْمُحَامِيَةَ، عَلَيْهِمْ عِكْرِمَةُ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَرَكِبَ خَالِدٌ وَمَعَهُ جرجةُ وَالرُّومُ خِلالَ الْمُسْلِمِينَ، فَتَنَادَى النَّاسُ، فَثَابُوا، وَتَرَاجَعَتِ الرُّومُ إِلَى مَوَاقِفِهِمْ، فَزَحَفَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى تَصَافَحُوا بِالسُّيُوفِ، فَضَرَبَ فِيهِمْ خَالِدٌ وَجرجةُ مِنْ لَدُنِ ارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِلَى جُنُوحِ الشَّمْسِ لِلْغُرُوبِ، ثُمَّ أُصِيبَ جرجةُ وَلَمْ يُصَلِّ صَلاةً سَجَدَ فِيهَا إِلَّا الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَسْلَمَ عَلَيْهِمَا، وَصَلَّى النَّاسُ الأُولَى وَالْعَصْرَ إِيمَاءً، وَتَضَعْضَعَ الرُّومُ، .. حتى كان الْفَتْح. وأخرج أبو نعيم في المعرفة (٢٣٩٢) عن خُرَيْمِ بْنِ أَوْسٍ، قال : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْدَى لِلْعَرَبِ مِنْ هُرْمُزَ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابِهِ أَقْبَلْنَا إِلَى نَاحِيَةِ الْبَصْرَةِ، فَلَقِينَا هُرْمُزَ بِكَاظِمَةٍ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، فَبَرَزَ لَهُ خَالِدٌ وَدَعَا الْبِرَازَ، فَبَرَزَ لَهُ هُرْمُزُ، فَقَتَلَهُ خَالِدٌ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه بِذَلِكَ فَنَفَّلَهُ سَلَبَهُ، فَبَلَغَتْ قَلَنْسُوَةُ هُرْمُزَ مِائَةَ أَلْفٍ، وَكَانَتِ الْفُرْسُ إِذَا شَرَفَ فِيهَا رَجُلٌ جَعَلُوا قَلَنْسُوَتَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ . وأخرج الواقدي في مغازيه (٨٨٤/٣) عن عبد الملك بن أبي بكر، قال: أنَّ خالداً خَرَجَ مَعَ النبي ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ عَلَى مُقَدّمَتِهِ، وَإِلَى تَبُوكَ، وَبَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أُكَيْدِرٍ وَدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، فَسَبَى مَنْ سَبَى ثُمّ صَالَحَهُمْ، ولقد بعثه رسول الله ﷺ إِلَى بَلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ إِلَى نَجْرَانَ أَمِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ، وَلَقَدْ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَجّةِ الْوَدَاعِ، فَلَمّا حَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَأْسَهُ أَعْطَاهُ نَاصِيَتَهُ، فَكَانَتْ فِي مُقَدّمِ قَلَنْسُوَتِهِ، فَكَانَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إلّا هَزَمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَلَقَدْ قَاتَلَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ فَوَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ. فَجَعَلَ يَقُولُ: الْقَلَنْسُوَةُ! الْقَلَنْسُوَةُ! فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا أَبَا سُلَيْمَانَ، عَجَبًا لِطَلَبِك الْقَلَنْسُوَةَ وَأَنْتَ فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ! فَقَالَ: إنّ فِيهَا نَاصِيَةَ النّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ أَلْقَ بِهَا أَحَدًا إلّا وَلّى. وَلَقَدْ تُوُفّيَ خَالِدٌ يَوْمَ تُوُفّيَ، وَهُوَ مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَبْرُهُ بِحِمْصٍ، فَأَخْبَرَنِي مَنْ غَسّلَهُ وَحَضَرَ مَوْتَهُ، وَنَظَرَ إلَى مَا تَحْتَ ثِيَابِهِ، مَا فِيهِ مَصَحّ، مَا بَيْنَ ضَرْبَةِ بسيف أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةٍ بِسَهْمٍ. وفي رواية عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أنه قال : فَلم أَشْهَدْ قِتَالاً وهِيَ — أي القلنسوة – مَعِي إِلَّا رُزِقْتُ النُّصرَةَ . قال الهيثمي : رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا. وكان رضي الله عنه شديد الحب للجهاد في سبيل الله متفرغاً له؛ فقد أخرج أبو يعلى في مسنده (٧١٨٥) عن قيس بن أبي حازم قال : قال خالد بن الوليد : **مَا لَيْلَةٌ تُهْدَى إِلَى بَيْتِي فِيهَا عَرُوسٌ، أَنَا لَهَا مُحِبٌّ وَأُبَشَّرُ فِيهَا بِغُلَامٍ بِأَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيَّةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُصَبِّحُ بِهَا الْعَدُوَّ**. قال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح . وعنه قال : سمعتُ خالداً يقول : **مَنَعَنِي الْجِهَادُ كَثِيراً مِنَ الْقِرَاءَةِ** . ومن كراماته رضي الله عنه ما رواه أبو يعلى في مسنده (٧١٨٦) عن أبي السفر قال : نَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْحِيرَةَ عَلَى أَمِيرِ بَنِي الْمَرَازِبَةِ، فَقَالُوا لَهُ: احْذَرِ السُّمَّ، لَا تَسْقِيكَهُ الْأَعَاجِمُ، فَقَالَ : **ائْتُونِي بِهِ**، فَأُتِيَ بِهِ، فَأَخَذَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ اقْتَحَمَهُ، وَقَالَ : **بِسْمِ اللَّهِ** . فَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا. قال الهيثمي : رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه، وأحد=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح وهو متصل، ورجالهما ثقات إلاَّ أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد، والله أعلم . وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «مجابو الدعوة» (٥٣) بإسناد صحيح عن خيثمة قال : أَتَى خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ رَجُلٌ مَعَهُ زِقُّ خَمْرٍ. فقال : **اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ عَسَلاً**. فَصَارَ عَسَلاً. وفي رواية له من هذا الوجه : مَرَّ رَجُلٌ بِخَالِدٍ ومَعَهُ زِقُّ خَمْرٍ . فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : خَلٌّ . قَالَ : جَعَلَهُ اللهُ خَلّاً . فَنَظَرُوا، فَإِذَا هُوَ خَلٌّ؛ وقَدْ كَانَ خَمْراً . وأخرج ابن المبارك في كتاب «الجهاد» (٥٣) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الْوَفَاةُ قَالَ: لَقَدْ طَلَبْتُ الْقَتْلَ مَظَانَّهُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي إِلَّا أَنْ أَمُوتَ عَلَى فِرَاشِي، وَمَا مِنْ عَمَلٍ شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا وَأَنَا مُتَتَرِّسٌ بِفَرَسِي، وَالسَّمَاءُ تَهُلُّنِي، مُنْتَظِرٌ الصُّبْحَ حَتَّى نُغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَانْظُرُوا سِلَاحِي وَفَرَسِي فَاجْعَلُوهُ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ خَرَجَ عُمَرُ ﷺ عَلَى جَنَازَتِهِ، فَذَكَرَ قَوْلَهُ، فقال : مَا عَلَى نِسَاءِ أَبِي الْوَلِيدِ أَنْ يَسْفَحْنَ عَلَى خَالِدٍ مِنْ دُمُوعِهِنَّ مَا لَمْ يَكُنَّ نَقْعًا أَوْ لَقْلَقَةً. قَالَ ابْنُ الْمُخْتَارِ: النَّقْعُ : التُّرَابُ عَلَى الرَّأْسِ، وَاللَّقْلَقَةُ: الصَّوْتُ . وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي وائل بنحوه مختصراً. قال الهيثمي : وإسناده حسن. وكَانَ ﷺ قَدِ احْتَبَسَ أَدْرُعَهُ وأَعْتَادَهُ في سَبِيلِ اللهِ، وشَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ :" **أَمَّا خَالِدٌ فَإِنَّكُم تَظْلِمُونَ خَالِداً؛ قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وأَعْتَادَهُ في سَبِيلِ اللهِ** ". وكان خالد ﷺ يدخل مع رسول الله ﷺ بيته وفيه ميمونة أم المؤمنين وهي خالته، ويأكل في بيت النبي ﷺ؛ وأمَّره أبو بكر على قتال أهل الردة، وفتح العراق، والشام، فكان من أعظم الناس غناء في قتال العدو . وأخرج الواقدي عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ خَالِدًا الْوَفَاةُ بَكَى، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ حَضَرْتُ كَذَا وَكَذَا زحفاً، وما في جسدي شبرٌ إلَّا وفيه ضَرْبَةُ سَيفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَا أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ. «البداية والنهاية» (١١٤/٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ وَالعِشْرُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ مَكَّةَ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ وَدُخُوْلُهُمُ الإِسْلَامَ تَأَثُّراً بِعَفْوِهِ وَأَخْلَاقِهِ

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ(١)، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ عَنْ

---

(١) هو فتح مكة شرَّفها الله، وهو الْفَتْحِ الأَعْظَمِ الّذِي أَعَزّ اللّهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحِزْبَهُ الأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ الْفَتْحُ الّذِي اسْتَبْشَرَ بِهِ أَهْلُ السّمَاءِ، وَضَرَبَتْ أَطْنَابُ عِزّهِ عَلَى مَنَاكِبِ الْجَوْزَاءِ، وَدَخَلَ النّاسُ بِهِ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجًا، وَأَشْرَقَ بِهِ وَجْهُ الأَرْضِ ضِيَاءً وَابْتِهَاجًا؛ خَرَجَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِكَتَائِبِ الإِسْلامِ وَجُنُودِ الرّحْمَنِ، سَنَةَ ثَمَانٍ لِعَشَرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيّ . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ: بَلْ اسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللّهِ بْنَ أُمّ مَكْتُومٍ . وَكَانَ السّبَبُ الّذِي جَرّ إلَيْهِ وَحَدَا إلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَ إمَامُ أَهْلِ السّيَرِ وَالْمَغَازِي وَالأَخْبَارِ مُحَمّدُ بْنُ إسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، أَنّ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ عَدَتْ عَلَى خُزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ، فَبَيّتُوهُمْ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ؛ وَكَانَ بينهم ثأر قبل الْمَبْعَثِ؛ فَلَمّا بُعِثَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَجَاءَ الإِسْلامُ حَجَزَ بَيْنَهُمْ وَتَشَاغَلَ النّاسُ بِشَأْنِهِ فَلَمّا كَانَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ وَقَعَ الشّرْطُ أَنّهُ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ فَعَلَ وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَعَلَ، فَدَخَلَتْ بَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ، وَدَخَلَتْ خُزَاعَةُ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَعَهْدِهِ، فَلَمّا اسْتَمَرّتْ الْهُدْنَةُ اغْتَنَمَهَا بَنُو بَكْرٍ مِنْ خُزَاعَةَ، وَأَرَادُوا أَنْ يُصِيبُوا مِنْهُم الثّأْرَ الْقَدِيمَ، فَخَرَجَ نَوْفَلُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الدّيْلِيّ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي بَكْرٍ فَبَيّتَ خُزَاعَةَ وَهُمْ عَلَى الْوَتِيرِ، فَأَصَابُوا مِنْهُمْ رِجَالاً وَتَنَاوَشُوا وَاقْتَتَلُوا، وَأَعَانَتْ قُرَيْشٌ بَنِي بَكْرٍ بِالسّلاحِ، وَقَاتَلَ مَعَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ مَنْ قَاتَلَ مُسْتَخْفِيًا لَيْلاً؛ حَتّى حَازُوا خُزَاعَةَ إلَى الْحَرَمِ، فَلَمّا انْتَهَوْا إلَيْهِ قَالَتْ بَنُو بَكْرٍ : يَا نَوْفَلُ إنّا قَدْ دَخَلْنَا الْحَرَمَ، إلَهَك إلَهَك . فَقَالَ كَلِمَةً عَظِيمَةً لا إلَهَ لَهُ الْيَوْمَ؛ يَا بَنِي بَكْرٍ أَصِيبُوا ثَأْرَكُمْ، فَلَعَمْرِي إنّكُمْ لَتَسْرِقُونَ فِي الْحَرَمِ أَفَلا تُصِيبُونَ ثَأْرَكُمْ فِيهِ ؟! فَلَمّا دَخَلَتْ خُزَاعَةُ مَكّةَ لَجَئُوا إلَى دَارِ بُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيّ وَدَارِ مَوْلًى لَهُمْ يُقَالُ لَهُ رَافِعٌ، وَيَخْرُجُ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيّ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ شعراً يناشد فيه النبي ﷺ أن ينصره ويمدَّه، ويأخذ لهم حقهم ممن ظلمهم وبغى عليهم . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ :" **نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ** ". ثم خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ حَتّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ليثبت العقد ويبقي العهد، فَكَلّمَ رسول الله ﷺ فَلَمْ يَرُدّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمّ ذَهَبَ إلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ وعَلِيّ ليشْفَعُوا له عند رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فلم يرجع بشيءٍ. وَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ النّاسَ بِالْجَهَازِ. «زاد المعاد» (٣/٣٤٨- ٣٥١) باختصار يسير.

www.saida-islam.weebly.com

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ ؟ لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ : نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو [(١)].

فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ . فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَدْرَكُوهُمْ، فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ[(٢)]، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ : احْبِسْ

---

(١) يعني خزاعة؛ وعمرو هو ابن لُحَيٍّ الخزاعي، وهو أول من بدل دين العرب وأدخل عليهم عبادة الأصنام .

(٢) وكان من خبر إسلامه أنه لَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَرّ الظّهْرَانِ نَزَلَهُ عِشَاءً فَأَمَرَ الْجَيْشَ فَأَوْقَدُوا النّيرَانَ فَأُوقِدَتْ عَشَرَةُ آلافِ نَارٍ وَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى الْحَرَسِ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ رضي الله عنه وَرَكِبَ الْعَبّاسُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْبَيْضَاءَ، وَخَرَجَ يَلْتَمِسُ لَعَلّهُ يَجِدُ بَعْضَ الْحَطّابَةِ أَوْ أَحَدًا يُخْبِرُ قُرَيْشًا لِيَخْرُجُوا يَسْتَأْمِنُونَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَنْوَةً، قَالَ: وَاَللّهِ إنّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا إذْ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ، مَا رَأَيْتُ كَاللّيْلَةِ نِيرَانًا قَطّ وَلا عَسْكَرًا، قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاَللّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ، فَيَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ أَقَلّ وَأَذَلّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانَهَا وَعَسْكَرَهَا، قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ فَقُلْت : أَبَا حَنْظَلَةَ فَعَرَفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبَا الْفَضْلِ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا لَك فِدَاك أَبِي وَأُمّي؟ قَالَ: قُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي النّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاَللّهِ، قَالَ: فَمَا الْحِيلَةُ فِدَاك أَبِي وَأُمّي ؟ قُلْت : وَاَللّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِك لَيَضْرِبَنّ عُنُقَك، فَارْكَبْ فِي عَجُزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتّى آتِيَ بِك رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمِنُهُ لَك، فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِ فَكُلّمَا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى نَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَيْهَا قَالُوا : عَمّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ، حَتّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ، فَقَالَ مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إلَيّ فَلَمّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الدّابّةِ قَالَ: أَبُو سُفْيَان عَدُوّ اللّهِ! الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَمْكَنَ مِنْك بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلا عَهْدٍ، ثُمّ خَرَجَ يَشْتَدّ نَحْوَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَرَكَضْتُ الْبَغْلَةَ فَسَبَقَتْ فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ فَدَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ إنّي قَدْ أَجَرْته، ثُمّ جَلَسْتُ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ، فَقُلْتُ: وَاَللّهِ لا يُنَاجِيهِ اللّيْلَةَ أَحَدٌ دُونِي، فَلَمّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قُلْتُ: مَهْلاً يَا عُمَرُ فَوَاَللّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتَ مِثْلَ هَذَا، قَالَ : مَهْلاً يَا عَبّاسُ، فَوَاَللّهِ لإِسْلامُكَ كَانَ أَحَبّ إلَيّ مِنْ إسْلامِ الْخَطّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إلاّ أَنّي قَدْ عَرَفْتُ أَنّ إسْلامَكَ كَانَ أَحَبّ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ إسْلامِ الْخَطّابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ اذْهَبْ بِهِ يَا عَبّاسُ إلَى رَحْلِك، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ؛ فَذَهَبْت فَلَمّا أَصْبَحْت غَدَوْتُ بِهِ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ : "**وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ** ؟" قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك ! لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللّهِ إلَهٌ غَيْرُهُ لَقَدْ=

www.saida-islam.weebly.com

أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْخَيْلِ[١] حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ . فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، تَمُرُّ كَتِيبَةً كَتِيبَةً[٢] عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ : يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ : هَذِهِ غِفَارُ. قَالَ : مَا لِي وَلِغِفَارَ ؟ ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ : مِثْلَ ذَلِكَ . ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ : مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ : هَؤُلاءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، مَعَهُ الرَّايَةُ . فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ . فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ [٣]. ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ وَهِيَ أَقَلُّ الْكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟! قَالَ :" **مَا قَالَ ؟**". قَالَ : كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : "**كَذَبَ سَعْدٌ[٤]، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ[٥]، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ** [٦]".

=أَغْنَى شَيْئًا بَعْدُ . قَالَ :" **وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ** ؟" قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَك وَأَكْرَمَك وَأَوْصَلَك ! أَمّا هَذِهِ فَإِنّ فِي النّفْسِ حَتّى الآنَ مِنْهَا شَيْئًا . فَقَالَ لَهُ الْعَبّاسُ : وَيْحَكَ أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُك . فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ . «زاد المعاد» (٣/٣٥٤ – ٣٥٥) .

(١) أي ازدحامها . وفي رواية قال :" **يَا عَبّاسُ احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ حَتّى تَمُرّ بِهِ جُنُودُ اللّهِ فَيَرَاهَا**". وَإِنَّمَا حَبَسَهُ هُنَاكَ لِكَوْنِهِ مَضِيقًا لِيَرَى الْجَمِيع وَلا يَفُوتهُ رُؤْيَةُ أَحَد مِنْهُمْ .

(٢) هِيَ الْقِطْعَة مِنَ الْجَيْش؛ وفِي رِوَايَة مُوسَى بْن عُقْبَة : وَأَمَرَ النَّبِيّ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي : لِتُظْهِر كُلّ قَبِيلَة مَا مَعَهَا مِنَ الأَدَاة وَالْعِدَّة، وَقَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ الْكَتَائِب، ... ثُمَّ مَرَّتْ الْقَبَائِل فَرَأَى أَمْرًا عَظِيمًا أَرْعَبَهُ – يعني أبا سفيان –.

(٣) أَيِ الْهَلاك، قَالَ الْخَطَّابِيُّ : تَمَنَّى أَبُو سُفْيَان أَنْ يَكُون لَهُ يَد فَيَحْمِي قَوْمه وَيَدْفَع عَنْهُمْ. وَقِيلَ : الْمُرَاد هَذَا يَوْم الْغَضَب لِلْحَرِيمِ وَالأَهْل وَالانْتِصَار لَهُمْ لِمَنْ قَدَر عَلَيْهِ، وَقِيلَ الْمُرَاد هَذَا يَوْم يَلْزَمك فِيهِ حِفْظِي وَحِمَايَتِي مِنْ أَنْ يَنَالنِي مَكْرُوه «فتح الباري» (٨/٨) .

(٤) أي أخطأ بإخباره بغير ما سيقع، وَإِن كَانَ قَائِله بَنَاهُ عَلَى غَلَبَة ظَنّه وَقُوَّة الْقَرِينَة .

(٥) يُشِير إِلَى مَا وَقَعَ مِنْ إِظْهَار الإِسْلام، وَأَذَان بِلال عَلَى ظَهْرِهَا، وَغَيْر ذَلِكَ مِمَّا أُزِيل عَنْهَا مِمَّا كَانَ فِيهَا مِنَ الأَصْنَام، وَمَحْو مَا فِيهَا مِنْ الصُّوَر وَغَيْر ذَلِكَ . «المصدر السابق» .

(٦) قِيلَ : إِنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَكْسُونَ الْكَعْبَة فِي رَمَضَان فَصَادَفَ ذَلِكَ الْيَوْم، أَوْ الْمُرَاد بِالْيَوْمِ الزَّمَان كَمَا قَالَ يَوْم الْفَتْح، فَأَشَارَ النَّبِيّ ﷺ إِلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكْسُوهَا فِي ذَلِكَ الْعَام، وَوَقَعَ ذَلِكَ .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُرْكَزَ رَايَتُهُ بِالْحَجُونِ[١]. قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ[٢]، مِنْ كَدَاءٍ، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كُدَا، فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ رَجُلانِ : حُبَيْشُ بْنُ الأَشْعَرِ، وَكُرْزُ بْنُ جابِرٍ الْفِهْرِيُّ[٣][٤].

وفي رواية قَالَ : وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَايَتَهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَهُوَ أَمَامَ الْكَتِيبَةِ، فَلَمَّا مَرَّ سَعْدٌ بِرَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ نَادَى : يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا حَاذَى أَبَا سُفْيَانَ، نَادَاهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُمِرْت بِقَتْلِ قَوْمِك ؟ زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرَّ بِنَا، قَالَ : يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلَّ اللَّهُ قُرَيْشًا؛ وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ فِي قَوْمِك، فَأَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَرْحَمُ النَّاسِ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ .

---

(١) موضع معروف قرب مقبرة مكة .

(٢) أَيْ بِالْمَدِّ؛ وَدَخَلَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ كَدَا أَيْ بِالْقَصْرِ، وَهَذَا مُخَالِف لِلأَحَادِيثِ الصَّحِيحَة أَنَّ خَالِدًا دَخَلَ مِنْ أَسْفَل مَكَّة وَالنَّبِيّ ﷺ مِنْ أَعْلاهَا، وَكَذَا جَزَمَ ابْن إِسْحَاق وموسى بن عقبة أَنَّ خَالِدًا دَخَلَ مِنْ أَسْفَل وَدَخَلَ النَّبِيّ ﷺ مِنْ أَعْلاهَا.

(٣) قَدْ تَمَسَّك بِهَذِهِ الْقِصَّة مَنْ قَالَ : إِنَّ مَكَّة فُتِحَتْ عَنْوَة وَهُوَ قَوْل الأَكْثَر، وَعَنِ الشَّافِعِيّ وَرِوَايَة عَنْ أَحْمَد أَنَّهَا فُتِحَتْ صُلْحًا لَمَّا وَقَعَ هَذَا التَّأْمِين، وَلإِضَافَةِ الدُّور إِلَى أَهْلهَا، وَلأَنَّهَا لَمْ تُقْسَم، وَلأَنَّ الْغَانِمِينَ لَمْ يَمْلِكُوا دُورهَا وَإِلاَّ لَجَازَ إِخْرَاج أَهْل الدُّور مِنْهَا . وَحُجَّة الأَوَّلِينَ مَا وَقَعَ مِن التَّصْرِيح مِنَ الأَمْر بِالْقِتَالِ وَوُقُوعه مِنْ خَالِد بْن الْوَلِيد، وَبِتَصْرِيحِهِ ﷺ بِأَنَّهَا أُحِلَّتْ سَاعَة مِنْ نَهَار، وَنَهْيه عَن التَّأَسِّي بِهِ فِي ذَلِكَ . وَأَجَابُوا عَنْ تَرْك الْقِسْمَة بِأَنَّهَا لا تَسْتَلْزِم عَدَم الْعَنْوَة، فَقَدْ تُفْتَح الْبَلَد عَنْوَة وَيَمُنّ عَلَى أَهْلهَا وَيَتْرُك لَهُمْ دُورهمْ وَغَنَائِمهمْ، لأَنَّ قِسْمَة الأَرْض الْمَغْنُومَة لَيْسَتْ مُتَّفَقًا عَلَيْهَا، بَل الْخِلاف ثَابِت عَنْ الصَّحَابَة فَمَنْ بَعْدهمْ، وَقَدْ فُتِحَتْ أَكْثَر الْبِلاد عَنْوَة فَلَمْ تُقَسَّم وَذَلِكَ فِي زَمَن عُمَر وَعُثْمَان مَعَ وُجُود أَكْثَرِ الصَّحَابَة، وَقَدْ زَادَتْ مَكَّة عَنْ ذَلِكَ بِأَمْرٍ يُمْكِن أَنْ يَدَّعِي اخْتِصَاصهَا بِهِ دُونِ بَقِيَّة الْبِلاد، وَهِيَ أَنَّهَا دَارُ النُّسُك وَمُتَعَبَّد الْخَلْق، وَقَدْ جَعَلَهَا اللَّه تَعَالَى حَرَمًا سَوَاء الْعَاكِف فِيهِ وَالْبَاد . وَجَنَحَتْ طَائِفَة – مِنْهُمْ الْمَاوَرْدِيّ – إِلَى أَنَّ بَعْضهَا فُتِحَ عَنْوَة لِمَا وَقَعَ مِنْ قِصَّة خَالِد بْن الْوَلِيد الْمَذْكُورَة، وَقَرَّرَ ذَلِكَ الْحَاكِم فِي الإِكْلِيل . وَالْحَقّ أَنَّ صُورَة فَتْحِهَا كَانَ عَنْوَةً، وَمُعَامَلَة أَهْلهَا مُعَامَلَة مَنْ دَخَلَتْ بِأَمَانٍ . «فتح الباري» (١٣/٨) .

(٤) رواه البخاري برقم (٤٢٨٠) ومسلم بنحوه (١٧٨٠) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزَّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا**". قَالَ : وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَعَزَلَهُ وَجَعَلَ اللِّوَاءَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ[(١)]، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللِّوَاءَ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ سَعْدٍ حِينَ صَارَ لابْنِهِ . فَأَبَى سَعْدٌ أَنْ يُسَلِّمَ اللِّوَاءَ إِلاَّ بِأَمَارَةٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِمَامَتِهِ، فَعَرَفَهَا سَعْدٌ، فَدَفَعَ اللِّوَاءَ إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ .

وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذِهِ الْكَتِيبَةِ قَطُّ، وَلا خَبَّرَنِيهِ مُخَبِّرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ مَا لأَحَدٍ بِهَذِهِ طَاقَةٌ وَلا يَدَانِ ! ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَصْبَحَ مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا !! قَالَ : قُلْتُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ، لَيْسَ بِمُلْكٍ وَلَكِنَّهَا نُبُوَّةٌ . قَالَ : نَعَمْ .

قَالَ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَاعِدَةَ، قَالَ : قَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : فَانْجُ وَيْحَكَ، فَأَدْرِكْ قَوْمَكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ . قَالَ : فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فَتَقَدَّمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، حَتَّى دَخَلَ مِنْ كَدَاءٍ وَهُوَ يَقُولُ : مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ؛ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ، فَأَخَذَتْ بِرَأْسِهِ فَقَالَتْ مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ : هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشَرَةِ آلافٍ عَلَيْهِمْ الْحَدِيدُ، وَقَدْ جَعَلَ لِي : مَنْ دَخَلَ دَارِي فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ طَرَحَ السِّلاحَ فَهُوَ آمِنٌ. قَالَتْ : قَبَّحَكَ اللَّهُ رَسُولَ قَوْمٍ . قَالَ : وَجَعَلَ يَصْرُخُ بِمَكَّةَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَيْحَكُمْ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، هَذَا مُحَمَّدٌ فِي عَشَرَةِ آلافٍ عَلَيْهِمْ الْحَدِيدُ، فَأَسْلِمُوا . قَالُوا : قَبَّحَكَ اللَّهُ وَافِدَ قَوْمٍ . وَجَعَلَتْ هِنْدُ تَقُولُ : اقْتُلُوا وَافِدَكُمْ هَذَا، قَبَّحَكَ اللَّهُ وَافِدَ قَوْمٍ .

---

(١) الرجل الذي دفعت إليه الراية مختلف فيه، فهو عمر بن الخطاب عند ابن هشام، وهو قيس بن سعد بن عبادة عند ابن عساكر، وجزم موسى بن عقبة في المغازي أنه الزبير بن العوام، فهذه ثلاثة أقوال، ويضاف إليها رواية ابن إسحاق، وفيها علي بن أبي طالب. قال الحافظ في الفتح (٨/١٠-١١) : والذي يظهر في الجمع أن علياً أرسل بنزعها، وأن يدخل بها، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيءٌ ينكره النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه، فحينئذٍ أخذها الزبير . قال : وهذه القصة الأخيرة قد ذكرها البزار من حديث أنس بإسناد على شرط البخاري، ولفظه : كَانَ قَيْس فِي مُقَدِّمَة النَّبِيّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّة، فَكَلَّمَ سَعْد النَّبِيّ ﷺ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنْ الْمَوْضِع الَّذِي فِيهِ مَخَافَة أَنْ يَقْدُم عَلَى شَيْء، فَصَرَفَهُ عَنْ ذَلِكَ .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : وَيْلَكُمْ لا تَغُرَّنكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، رَأَيْتُ مَا لَمْ تَرَوْا، رَأَيْتُ الرِّجَالَ وَالْكُرَاعَ وَالسِّلاحَ، فَلا لأَحَدٍ بِهَذَا طَاقَةٌ قَالُوا : وَانْتَهَى الْمُسْلِمُونَ إِلَى ذِي طُوًى، فَوَقَفُوا يَنْظُرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَلاحَقَ النَّاسُ .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، وَرَايَتُهُ سَوْدَاءُ، وَلِوَاؤُهُ أَسْوَدُ، حَتَّى وَقَفَ بِذِي طُوًى وَتَوَسَّطَ النَّاسَ وَإِنَّ عُثْنُونَهُ[١] لَيَمَسُّ وَاسِطَةَ الرَّحْلِ أَوْ يَقْرُبُ مِنْهُ تَوَاضُعًا لِلَّهِ تَعَالَى، حِينَ رَأَى مَا رَأَى مِنْ فَتْحِ اللَّهِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ قَالَ : "**الْعَيْشُ عَيْشُ الآخِرَةُ** ". قَالَ : وَجَعَلَتِ الْخَيْلُ تَمْعَجُ[٢] بِذِي طُوًى فِي كُلِّ وَجْهٍ، ثُمَّ ثَابَتْ وَسَكَنَتْ حَيْثُ تَوَسَّطَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [٣][٤] .

---

(١) أي لحيته؛ وروى الحاكم في المستدرك (٤٣٦٥) و(٧٨٨٨) عن أنس رضي الله عنه قال : دَخَلَ رَسُول اللَّه ﷺ مَكَّة يَوْم الْفَتْح وَذَقْنه عَلَى رَحْله مُتَخَشِّعًا . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٢) المَعْجُ : القِتالُ والاضْطرابُ . وفي حديثِ معاوية : فمَعَجَ البحرُ مَعْجَةً تَفرَّقَ لها السُّفُنُ. أَي ماج واضطربَ . والتَّمَعُّجُ: التَّلَوِّي والتَّثنِّي . ومَعَجَ في الجَرْيِ يَمْعَج : تَفنَّنَ . وقيل : المَعْجُ : أَن يَعْتَمِدَ الفَرَسُ على إِحْدَى عُضادَتَيِ العِنَانِ، مرَّةً في الشِّقّ الأَيمَنِ، ومرَّةً في الشِّقِّ الأَيسرِ «تاج العروس» (٢١٦/٦) .

(٣) وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ ابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ لَقِيَاهُ بِالأَبْوَاءِ وَهُمَا ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُمَا لِمَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْهُمَا مِنْ شِدَّةِ الأَذَى وَالْهَجْوِ؛ فَقَالَتْ لَهُ أُمّ سَلَمَةَ: لا يَكُنِ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ أَشْقَى النَّاسِ بِكَ . وَقَالَ عَلِيٌّ لأَبِي سُفْيَانَ فِيمَا حَكَاهُ أَبُو عُمَرَ : ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَقُلْ لَهُ مَا قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِيُوسُفَ : ﴿ **تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا** ﴾ [**يُوسُفَ ٩١**]، فإنه لا يرضى أن يَكُونَ أَحَدٌ أَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلاً . فَفَعَلَ ذَلِكَ أَبُو سُفْيَانَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ **لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ** ﴾ [**يُوسُفَ ٩٢**]، فَأَنْشَدَهُ أَبُو سُفْيَانَ أَبْيَاتًا . فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ :" **أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدٍ** ". وَحَسُنَ إِسْلامُهُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمَ حَيَاءً مِنْهُ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّهُ، وَشَهِدَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؛ وَقَالَ : "**أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفًا مِنْ حَمْزَةَ** ". وَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ : لا تَبْكُوا عَلَيَّ فَوَاللَّهِ مَا نَطَقْت بِخَطِيئَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ . «زاد المعاد» (٣٧٤/٣) «الاستيعاب» (٣٥/٢) .

(٤) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (٨١٧ – ٨٢٥) .

www.saida-islam.weebly.com

ثُمّ نَهَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ وَحَوْلَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَأَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ الأَسْوَدِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ، وَفِي يَدِهِ قَوْسٌ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ وَعَلَيْهِ ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِالْقَوْسِ وَيَقُولُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسْرَاءَ : ٨١]، ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سَبَأَ: ٤٩]، وَالأَصْنَامُ تَتَسَاقَطُ عَلَى وُجُوهِهَا . وَكَانَ طَوَافُهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمًا يَوْمَئِذٍ، فَاقْتَصَرَ عَلَى الطَّوَافِ؛ فَلَمَّا أَكْمَلَهُ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ[1]، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَأَمَرَ بِهَا فَفُتِحَتْ، فَدَخَلَهَا فَرَأَى فِيهَا الصُّوَرَ، وَرَأَى فِيهَا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ يَسْتَقْسِمَانِ بِالأَزْلامِ، فَقَالَ :" **قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، وَاللَّهِ إِنِ اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ** ". وَرَأَى فِي الْكَعْبَةِ حَمَامَةً مِنْ عَيْدَانٍ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ، وَأَمَرَ بِالصُّوَرِ فَمُحِيَتْ . ثُمَّ أَغْلَقَ عَلَيْهِ الْبَابَ وَعَلَى أُسَامَةَ وَبِلالٍ، فَاسْتَقْبَلَ الْجِدَارَ الَّذِي يُقَابِلُ الْبَابَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَدْرُ ثَلاثَةِ أَذْرُعٍ وَقَفَ وَصَلَّى هُنَاكَ، ثُمَّ دَارَ فِي الْبَيْتِ وَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ، وَوَحَّدَ اللَّهَ ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ، وَقُرَيْشٌ قَدْ مَلأَتِ الْمَسْجِدَ صُفُوفًا يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَصْنَعُ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيْ الْبَابِ وَهُمْ تَحْتَهُ، فَقَالَ :" **لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ؛ .. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ** ". ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الْحُجُرَاتِ ١٣]، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) منسوب إلى حجابة الكعبة، وهي ولايتها وفتحها وإغلاقها وخدمتها؛ ويقال له ولأقاربه الحجبيون؛ أسلم مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في هدنة الحديبية وشهد فتح مكة، ودفع النبي ﷺ مفتاح الكعبة إليه وأبي شيبة بن عثمان ابن أبي طلحة، وقال :" **خُذُوهَا يَا بَنِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُم إِلَّا ظَالِمٌ** ". «شرح مسلم للنووي» (٨٣/٩). قال الزبير بن بكار : قسَّم قصيٌّ مكارمه بين ولده، فأعطى عبد مناف السقاية والندوة، وأعطى عبد الدار الحجابة واللواء، وأعطى عبد العزى الرفادة، وأعطى عبد بن قصي جلهة الوادي . قال الزبير : ثم اصطلحت قريش على أن ولي هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة، وأقرت الحجابة في بني عبد الدار، وقرَّرها الإسلام لهم، فأعطى رسول الله ﷺ عثمان بن طلحة مفتاح البيت . «غريب الحديث للخطابي» (٢٨/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

"**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟**" قَالُوا : خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . قَالَ : "**فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لإِخْوَتِهِ : ﴿ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** " (١) . ثُمَّ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ ﷺ، وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السِّقَايَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْك . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟**" فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ :" **هَاكَ مِفْتَاحَكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ** " .

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ : كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ، وَنِلْتُ مِنْهُ، فَحَلُمَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ :" **يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ** " . فَقُلْتُ : لَقَدْ هَلَكَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ وَذَلَّتْ . فَقَالَ :" **بَلْ عَمَرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ** " . وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ، فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعًا ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ :" **يَا عُثْمَانُ ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ** " . فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنِّي ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ :" **خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلاَّ ظَالِمٌ؛ يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا**

---

(١) أخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٤٢/٢) وأبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» (٨٠) عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : لَمَّا كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية، وإلى أبي سفيان ابن حرب، وإلى الحارث بن هشام . قال عمر : فقلت : قد أمكن الله منهم، لأعرّفنَّهم بِمَا صنعوا، حتى قال رسول الله ﷺ :" **مَثَلي ومَثَلُكُم كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَومَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**". قال عمر : فَافْتُضِحْتُ حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَكُونَ بَدَرَ مِنِّي، وقَدْ قَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَالَ. وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٢٩٨) والبيهقي في سننه بنحوه (١٨٠٥٤) وابن زنجويه في الأموال (١٩٦) عن أبي هريرة ﷺ، وفيه قال : ثُمَّ أَتَى الكَعْبَةَ، فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ البَابِ فَقَالَ :" **مَا تَقُولُونَ ؟ ومَا تَظُنُّونَ ؟**" قَالُوا: نَقُولُ : ابْنُ أَخٍ، وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ . قَالَ : وقَالُوا ذَلِكَ ثَلَاثاً . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَومَ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**". قَالَ : فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ القُبُورِ، فَدَخَلُوا فِي الإِسْلَامِ . وهذا موقفٌ فريدٌ في التاريخ، يدخل في مفاخر نبيِّنا الكريم ﷺ وأمَّتنا الإسلامية؛ لما فيه من عظيم رحمته ﷺ بالناس حتى أعدائه، وبهذا فتح باب دخول الناس في دين الله أفواجًا، ووفدت عليه العرب فيما يُعرف بعام الوفود في السنة التاسعة من كل بلاد الجزيرة العربية، وانتشر الإسلام في أرجائها .

www.saida-islam.weebly.com

يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ ". قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْت نَادَانِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : "أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي قُلْتُ لَكَ ؟" قَالَ : فَذَكَرْت قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ :" لَعَلَّك سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْت ". فَقُلْتُ : بَلَى أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

وَذَكَرَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ الْعَبَّاسَ تَطَاوَلَ يَوْمَئِذٍ لأَخْذِ الْمِفْتَاحِ فِي رِجَالٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَرَدَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلالاً أَنْ يَصْعَدَ فَيُؤَذِّنَ عَلَى الْكَعْبَةِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَعَتَّابُ بْنُ أَسِيدٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ جُلُوسٌ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ؛ فَقَالَ عَتَّابٌ: لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ أَسِيدًا أَلاَّ يَكُونَ سَمِعَ هَذَا، فَيَسْمَعَ مِنْهُ مَا يُغِيظُهُ . فَقَالَ الْحَارِثُ : أَمَا وَاَللَّهِ لَوْ أَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لاتَّبَعْته . فَقَالَ أَبُو سُفْيَان : أَمَا وَاَللَّهِ لا أَقُولُ شَيْئًا، لَوْ تَكَلَّمْت لأَخْبَرَتْ عَنِّي هَذِهِ الْحَصْبَاءُ . فَخَرَجَ عَلَيْهِم النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُمْ :" قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ ". ثُمَّ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمْ . فَقَالَ الْحَارِثُ وَعَتَّابٌ : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَاَللَّهِ مَا اطَّلَعَ عَلَى هَذَا أَحَدٌ كَانَ مَعَنَا فَنَقُولَ أَخْبَرَكَ .

وَهَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوَّحِ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" أَفَضَالَةُ ؟" قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ :" مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَك ؟" قَالَ : لا شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللَّهَ . فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ :" اسْتَغْفِرِ اللَّهَ ". ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُهُ . وَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ : وَاَللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ فَضَالَةُ : فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ : هَلُمَّ إِلَى الْحَدِيثِ . فَقُلْت : لا . وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

يَأْبَى عَلَيْكِ اللَّهُ وَالإِسْلامُ لَوْ قَدْ رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وَقَبِيلَهُ
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ لَرَأَيْتِ دِينَ اللَّهِ أَضْحَى بَيِّنًا
وَالشِّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلامُ

www.saida-islam.weebly.com

وَبَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَايَاهُ إِلَى الأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَكُسِّرَتْ كُلُّهَا، مِنْهَا اللاَّتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاةُ الثَّالِثَةُ الأُخْرَى؛ وَنَادَى مُنَادِيهِ بِمَكَّةَ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إلاَّ كَسَرَهُ [١] .

*****

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/٤١٢ - ٤١٨) و«زاد المعاد» (٣/٣٥٩ - ٣٦٤) باختصار يسير، وقصته مع عثمان بن طلحة الحجبي أخرجها مسلم في صحيحه باختصار من رقم (٣٢٩٤) إلى (٣٣٠٣) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بِإِعْطَائِهِ عَطَاءً جَزِيلاً يَتَأَلَّفُهُ بِهِ، وَدُخُوْلُهُ فِي الإِسْلَامِ بِسَبَبِ ذَلِكَ

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ، ثُمَّ مِائَةً، ثُمَّ مِائَةً . قَالَ : ابْنُ شِهَابٍ حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ صَفْوَانَ رضي الله عنه قَالَ : **وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ** (١) (٢) .

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيرِ رضي الله عنهما قَالَ : لَمَّا كَانَ يَومُ الفَتْحِ أَسْلَمَتِ امْرَأَةُ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ- البَغُومُ بِنْتُ الْمُعَدَّلِ مِنْ كِنَانَةَ (٣)-؛ وَأَمَّا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَهَرَبَ حَتَّى أَتَى الشُّعَيْبَةَ (٤). وَجَعَلَ يَقُولُ لِغُلامِهِ يَسَارٍ - وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ -: وَيْحَكَ، انْظُرْ مَنْ تَرَى . قَالَ : هَذَا عُمَيْرُ ابْنُ وَهْبٍ. قَالَ صَفْوَانُ : مَا أَصْنَعُ بِعُمَيْرٍ ؟ وَاللَّهِ مَا جَاءَ إلاَّ يُرِيدُ قَتْلِي، قَدْ ظَاهَرَ(٥) مُحَمَّدًا عَلَيَّ . فَلَحِقَهُ، فَقَالَ : يَا عُمَيْرُ مَا كَفَاكَ مَا صَنَعْتَ بِي ؟ حَمَّلْتنِي دَيْنَك وَعِيَالَك . ثُمَّ جِئْت

---

(١) فيه بيان عظيم كرم النبي ﷺ ورحمته بأعدائه حيث كان يتألَّفهم بالعطاء الجزيل رجاء أن يهديهم الله عَزَّوَجَلَّ ويدخلهم في رحمته؛ كما فيه بيان أثر الإكرام في تغيير قلوب الناس من البغض والعداوة إلى المحبة والولاية، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ .

(٢) رواه مسلم (٦١٦٢) .

(٣) قال ابن شهاب : كَانَ بَيْنَ إِسْلامِ صَفْوَانَ وَبَيْنَ إِسْلامِ امْرَأَتِهِ نَحْوٌ مِنْ شَهْرَيْنِ . «موطأ مالك» (٢٠٠٢) .

(٤) هي ميناء مكة، كانت ترد السفن إليها قبل جدة، ثم أخذت جدة موضعها في أيام الخليفة عثمان ابن عفان، وهي تقع جنوب جدة بحوالي ٤٠ كم إلى جدة .

(٥) أي عاون وناصر .

www.saida-islam.weebly.com

تُرِيدُ قَتْلِي . قَالَ : أَبَا وَهْبٍ، جُعِلْتُ فِدَاكَ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَبَرِّ النّاسِ، وَأَوْصَلِ النّاسِ . وَقَدْ كَانَ عُمَيْرٌ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ سَيِّدُ قَوْمِي خَرَجَ هَارِبًا لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَخَافَ أَلاَّ تُؤَمِّنَهُ؛ فَأَمِّنْهُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ أَمَّنْتُهُ** ". فَخَرَجَ فِي أَثَرِهِ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَّنَكَ . فَقَالَ صَفْوَانُ : لا وَاَللَّهِ لا أَرْجِعُ مَعَكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِعَلامَةٍ أَعْرِفُهَا . فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ صَفْوَانَ هَارِبًا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ، فَأَخْبَرْته بِمَا أَمَّنْته فَقَالَ : لا أَرْجِعُ حَتَّى تَأْتِيَ بِعَلامَةٍ أَعْرِفُهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **خُذْ عِمَامَتِي** ". قَالَ : فَرَجَعَ عُمَيْرٌ إِلَيْهِ بِهَا، وَهُوَ الْبُرْدُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ مُعْتَجِرًا بِهِ[(١)] بُرْدَ حِبَرَةٍ[(٢)] . فَخَرَجَ عُمَيْرٌ فِي طَلَبِهِ الثَّانِيَةَ، حَتَّى جَاءَ بِالْبُرْدِ، فَقَالَ : أَبَا وَهْبٍ، جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ، وَأَوْصَلِ النَّاسِ، وَأَبَرِّ النَّاسِ، وَأَحْلَمِ النَّاسِ، مَجْدُهُ مَجْدُكَ، وَعِزُّهُ عِزُّكَ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ، ابْنُ أُمِّكَ وَأَبِيكَ، أُذَكِّرُك اللَّهَ فِي نَفْسِكَ . قَالَ لَهُ : أَخَافُ أَنْ أُقْتَلَ . قَالَ : قَدْ دَعَاكَ إِلَى أَنْ تَدْخُلَ فِي الإِسْلامِ، فَإِذَا رَضِيتَ وَإِلاَّ سَيَّرَكَ[(٣)] شَهْرَيْنِ، فَهُوَ أَوْفَى النَّاسِ وَأَبَرُّهُمْ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْك بِبُرْدِهِ الَّذِي دَخَلَ بِهِ مُعْتَجِرًا، تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ نَعَمْ . فَأَخْرَجَهُ فَقَالَ : نَعَمْ، هُوَ هُوَ . فَرَجَعَ صَفْوَانُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِالْمُسْلِمِينَ الْعَصْرَ فِي الْمَسْجِدِ فَوَقَفَا، فَقَالَ صَفْوَانُ : كَمْ تُصَلُّونَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ؟ قَالَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ. قَالَ : يُصَلِّي بِهِمْ مُحَمَّدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا سَلَّمَ، صَاحَ صَفْوَانُ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ وَهْبٍ جَاءَنِي بِبُرْدِكَ، وَزَعَمَ أَنَّكَ دَعَوْتَنِي إِلَى الْقُدُومِ عَلَيْكَ، فَإِنْ رَضِيتُ أَمْرًا وَإِلاَّ سَيَّرْتَنِي شَهْرَيْنِ . قَالَ :" **انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ** ". قَالَ : لا وَاَللَّهِ حَتَّى تُبَيِّنَ

---

(١) الاعْتِجارُ بالعَمامة : هو أن يَلُفَّها على رَأسِه ويَرُدّ طَرَفها على وجْهِه، ولا يَعْمل منها شيئًا تحت ذَقْنِه. «النهاية لابن الأثير» (٣/٤٠٥) .

(٢) على وزن عِنَبَة، وهِيَ ضَرْب مِنْ بُرُود الْيَمَن؛ وهِيَ ثِيَاب مِنْ كَتَّان أَوْ قُطْن مُحَبَّرَة أَيْ مُزَيَّنَة، وَالتَّحْبِير التَّزْيِين وَالتَّحْسِين وتكون مخططة. «شرح مسلم للنووي» (٧/١٠) .

(٣) التسيير هنا هو تمكينه من السير في الأرض آمنا أربعة أشهر بين المسلمين لينظر في سيرتهم؛ إشارة إلى قوله ﷻ : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ .

www.saida-islam.weebly.com

لِي. قَالَ :" **بَلْ تَسِيرُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** [١]". فَنَزَلَ صَفْوَانُ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ هَوَازِنَ، وَخَرَجَ مَعَهُ صَفْوَانُ وَهُوَ كَافِرٌ . وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَعِيرُهُ سِلاحَهُ، فَأَعَارَهُ سِلاحَهُ مِائَةَ دِرْعٍ بِأَدَاتِهَا[٢]، فَقَالَ : طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **عَارِيَّةٌ مُؤَدَّاةٌ** [٣]". فَأَعَارَهُ، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمَلَهَا إِلَى حُنَيْنٍ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْجِعِرَّانَةِ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ فِي الْغَنَائِمِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَمَعَهُ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، جَعَلَ صَفْوَانُ يَنْظُرُ إِلَى شِعْبٍ مُلِئَ نَعَمًا وَشَاءً وَرِعَاءً، فَأَدَامَ إِلَيْهِ النَّظَرَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْمُقُهُ، فَقَالَ :" **أَبَا وَهْبٍ يُعْجِبُك هَذَا الشِّعْبُ ؟**" قَالَ : نَعَمْ. قَالَ :" **هُوَ لَك وَمَا فِيهِ** ". فَقَالَ صَفْوَانُ عِنْدَ ذَلِكَ : مَا طَابَتْ نَفْسُ أَحَدٍ بِمِثْلِ هَذَا إِلاَّ نَفْسُ نَبِيٍّ؛ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ [٤] .

---

(١) المقصود من هذه المهلة أن ينظروا في أمر الإسلام وأخلاق أهله، لعلهم يستجيبوا لله ورسوله، فتنالهم رحمة الله ورضوانه، وتكون لهم النجاة؛ وهذا ما كان بالفعل، فقد أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً؛ قال الطبري في تفسيره (١٦٣٦٥) : وآذنوا أصحابَ العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر، فهي الأشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم. وآذن الناس كلَّهم بالقتال إلاَّ أن يؤمنوا؛ فآمن الناس أجمعون حينئذ، ولم يَسِحْ أحد . وهذا من رحمة الله بعباده حيث لم يأخذهم على غِرَّتهم، بل أمهلهم كي ينظروا في شأن الإسلام، لأن أمره واضح جلي، ورحمته ظاهرة وسعت كل شيء، فلا يخفى أمره إلاَّ على من تَغَلَّفَ قلبه بغلاف التقليد المذموم للآباء والأجداد، فأعطوا هذه المهلة كي ينظروا إلى الإسلام عن قرب فيتأثروا به .

(٢) أي بما يتبعها من ملاحق الدروع .

(٣) أي أنها مردودة إلى صاحبها عيناً حال قيامها، وترد بالقيمة حال تلفها . وفيه أن العاريَّة يضمنها المستعير وإن لم يُفَرِّط، وهو مذهب الشافعي وأحمد ولم يُضَمِّنْ أبو حنيفة إلاَّ بالتعدي. «فيض القدير» (٤/٢٩٨) .

(٤) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (٨٥٣-٨٥٦) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/١١٤) . وأخرج مالك في «الموطأ» بلاغاً (٢٠٠١) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ نِسَاءً كُنَّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْلِمْنَ بِأَرْضِهِنَّ وَهُنَّ غَيْرُ مُهَاجِرَاتٍ، وَأَزْوَاجُهُنَّ حِينَ أَسْلَمْنَ كُفَّارٌ، مِنْهُنَّ بِنْتُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَكَانَتْ تَحْتَ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهَرَبَ زَوْجُهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنَ=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=الإِسْلامِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَمِّهِ وَهْبَ بْنَ عُمَيْرٍ بِرِدَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَانًا لِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الإِسْلامِ، وَأَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَضِيَ أَمْرًا قَبِلَهُ، وَإِلاَّ سَيَّرَهُ شَهْرَيْنِ؛ ثم ذكره بنحو حديث الواقدي، .. ثم قال : ثُمَّ خَرَجَ صَفْوَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ كَافِرٌ، فَشَهِدَ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ وَهُوَ كَافِرٌ، وَامْرَأَتُهُ مُسْلِمَةٌ، وَلَمْ يُفَرِّقْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ حَتَّى أَسْلَمَ صَفْوَانُ، وَاسْتَقَرَّتْ عِنْدَهُ امْرَأَتُهُ بِذَلِكَ النِّكَاحِ . وأخرج أحمد في مسنده (٢٧٦٣٦) وأبو داوود في سننه (٣٥٦٤) والحاكم في المستدرك (٢٣٠٠) عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ أَدْرَاعًا؛ فَقَالَ : أَغَصْبًا يَا مُحَمَّدُ ؟ قَالَ :" **بَلْ عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ** ". قَالَ : فَضَاعَ بَعْضُهَا، فَعَرَضَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُضَمِّنَهَا لَهُ؛ قَالَ : أَنَا الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الإِسْلامِ أَرْغَبُ . يعني لا آخذ منك ضمان الأدراع الضائعة، لأن رغبتي الآن في الإسلام لا في متاع الدنيا كما كان سابقاً . قال الحاكم : له شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وذكره، ثم قال بعده : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِعْطَائِهِ المَالَ الكَثِيرَ لِتَأْلِيفِ القُلُوبِ لِهِدَايَةِ النَّاسِ

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه : **أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ**(١)، **فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ** (٢) .

---

(١) أي غنماً كثيرةً تملأ ما بين جبلين .

(٢) جاء في رواية لمسلم عنه رضي الله عنه قال : **مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ**؛ ثم ذكر نحوه. فهذا العطاء أثَّر في هذا الرجل هذا التأثير العظيم، حتى أصبح داعية إلى الإسلام، رسولاً لرسول الله إلى قومه، يدعوهم إلى الإسلام، ويبين لهم كرم رسول الله ﷺ، وأنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وهو إنما سأل طمعاً كغيره من الأعراب، ولكنه لما أعطاه الرسول ﷺ هذا العطاء الجزيل صار داعية إلى الإسلام، فقال : **يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا** . ولم يقل أسلموا تدخلوا الجنة وتنجوا من النار، بل قال : **أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ** . يعني سيعطيكم ويكثر. ولكنهم إذا أسلموا من أجل المال، فإنهم لا يلبثون يسيراً إلَّا وقد صار الإسلام أحب شيء إليهم، أحب من الدنيا وما فيها. ويؤخذ من هذا الحديث وأمثاله أنه لا ينبغي لنا أن نبتعد عن أهل الكفر وعن أهل الفسوق، وأن ندعهم للشياطين تلعب بهم؛ بل نؤلفهم، ونجذبهم إلينا بالمال واللين وحسن الخلق حتى يألفوا الإسلام، فها هو الرسول ﷺ يعطي الكفار، يعطيهم حتى من الفيء؛ بل إن الله جعل لهم حظاً من الزكاة، نعطيهم لنؤلفهم على الإسلام، حتى يدخلوا في دين الله، فالأعمال الصالحة لابد أن تربي صاحبها على الإخلاص لله وجل، والمتابعة للرسول ﷺ. «شرح رياض الصالحين لابن عثيمين» بتصرف (٣/٤٠٥ - ٤٠٧). وقال ابن رجب في «لطائف المعارف» ص (١٧٥) : كان ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود : من بذل العلم والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه، وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه : والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق . ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت أضعافاً كثيرة . وكان جوده ﷺ كله لله، وفي ابتغاء مرضاته، فإنه كان يبذل المال إما لفقير أو =

www.saida-islam.weebly.com

فَقَالَ أَنَسٌ : **إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلاَّ الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الإِسْلاَمُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** (١) (٢) .

=محتاج أو ينفقه في سبيل الله، أو يتألَّف به على الإسلام من يقوي الإسلام بإسلامه، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده، فيعطي عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، ويعيش في نفسه عيش الفقراء، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقدْ في بيته نار، وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان قد أتاه سبي فشكت إليه فاطمة ما تلقى من خدمة البيت، وطلبت منه خادماً يكفيها مؤنة بيتها، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها، وقال :" **لَا أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بُطُونُهُم مِنَ الجُوعِ** ".

(١) الْمُرَادُ أَنَّهُ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ أَوَّلًا لِلدُّنْيَا، لَا بِقَصْدٍ صَحِيحٍ بِقَلْبِهِ، ثُمَّ مِنْ بَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَنُورِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا، حَتَّى يَنْشَرِحَ صَدْرُهُ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ، وَيَتَمَكَّنَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَكُونُ حِينَئِذٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. «شرح مسلم للنووي» (٧٢/١٥).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣١٢) . ومن **رحمته** ﷺ **في باب العطاء** : أنه كان يؤثر ضعاف الإيمان والمؤلفة قلوبهم وحديثي العهد بالإسلام بوافر العطاء دون من تمكَّن الإيمان في نفوسهم، تألُّفاً لهم على الإسلام؛ فمن هذا ما أخرجه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠) عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدٌ جَالِسٌ، فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا هُوَ أَعْجَبُهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا . فَقَالَ :" **أَوْ مُسْلِمًا** ". فَسَكَتُّ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ : مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا . فَقَالَ :" **أَوْ مُسْلِمًا**". ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ :" **يَا سَعْدُ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ فِي النَّارِ**". وأخرج البخاري (٩٢٣) عن عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ – أَوْ سَبْيٍ – فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ :" **أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ** ".
وأخرج أحمد في مسنده (١١٧٣٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ – أي في غزوة حنين–، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، .. قَالَ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=ثُمَّ قَالَ :" **يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ** ؟"، قَالُوا : بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ :" **أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ** ". قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ :" **أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ** ". قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا . قال الهيثمي: رِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، وَقَدْ صَرَّحَ بِالسَّمَاعِ، قُلْتُ : هُوَ فِي الصَّحِيحِ بِغَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ اه.

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِيْ جَهْلٍ وَأَمَانُهُ لَهُ وَدُخُوْلُهُ فِي الإِسْلَامِ بِذَلِكَ

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ(١)؛ وَقَالَ :" **اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ : عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ(٢)، وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ(٣)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ ابْنِ أَبِي السَّرْحِ(٤)**"؛ .. وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ؛ فَقَالَ أَصْحَابُ

---

(١) قال البلقيني : المرأتان هما القينتان – أي المغنّيتان، وكانتا لابن أبي سرح – قتلت إحداهما بمكة يوم الفتح وهي أرنب، وتدعى قريبة، والأخرى استؤمن لها فآمنت وعاشت دهرًا، واسمها فرتنا، ويقال: قرتنا. «إتحاف الخيرة المهرة» (٥/٩١). وقال الواقدي في مغازيه ص (٨٦٠) : أَمّا الْقَيْنَتَانِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِقَتْلِهِمَا، فَقُتِلَتْ إحْدَاهُمَا؛ أَرْنَبُ أَوْ فَرْتَنَا، وَأَمّا فَرْتَنَا فَاسْتُؤْمِنَ لَهَا حَتّى آمَنَتْ وَعَاشَتْ حَتّى كُسِرَ ضِلَعٌ مِنْ أَضْلاعِهَا زَمَنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفّانَ رضي الله عنه فَمَاتَتْ مِنْهُ .

(٢) جاء في هذه الرواية للحديث : فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ معلق بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ . وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِنَحْوِهِ، وَفِيهِ : وَأَمَّا ابْنُ خَطَلٍ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَجَزَمَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمَعْرِفَةِ بِأَنَّ الَّذِي قَتَلَهُ هُوَ أَبُو بَرْزَةَ، وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَطَلٍ قَتَلَهُ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ وَأَبُو بَرْزَةَ الأَسْلَمِيُّ، اشْتَرَكَا فِي دَمِهِ . «التلخيص الحبير لابن حجر» (٤/٣٠٣ – ٣٠٤)

(٣) جاء في هذا الحديث : وَأَمَّا مَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِي السُّوقِ، فَقَتَلُوهُ. وقال الواقدي : وَكَانَ جُرْمُهُ أَنّ أَخَاهُ هَاشِمَ بْنَ صُبَابَةَ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ الْمُرَيْسِيعَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَتَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ خَطَأً وَلا يَدْرِي، فَظَنّ أَنّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَدِمَ مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ، فَقَضَى لَهُ ﷺ بِالدّيَةِ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَأَخَذَهَا وَأَسْلَمَ؛ ثُمّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ الْعُمَرِيّ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ مُرْتَدّا كَافِرًا يَقُولُ شِعْرًا. وَيُقَالُ: قَتَلَهُ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ، وَهُوَ لا يَشْعُرُ بِهِ وَذَلِكَ أَنّهُ كَانَ فِي رَهْجِ الْعَدُوّ فَخَرَجَ يَطْلُبُهُمْ فَرَجَعَ وَلَقِيَهُ أَوْسٌ وَهُوَ يَظُنّ أَنّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلَهُ فَقَضَى النّبِيّ ﷺ بِدِيَتِهِ عَلَى رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصّامِتِ – وَهَذَا أَثْبَتُ الْقَوْلَيْنِ؛ فَأَهْدَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ دَمَهُ .

(٤) جاء في هذا الحديث : وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ، جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاَثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ :" **أَمَا فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي قَدْ كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ**=

www.saida-islam.weebly.com

السَّفِينَةِ : أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لا تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنَا . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِي مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا الإِخْلاصُ لا يُنَجِّينِي فِي الْبَرِّ غَيْرُهُ؛ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، أَنْ آتِيَ مُحَمَّدًا ﷺ حَتَّى أَضَعَ يَدِي فِي يَدِهِ، فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا، فَجَاءَ فَأَسْلَمَ (١)(٢) .

=**فَيَقْتُلَهُ** ". قَالَ : مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ ؟ هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ . قَالَ :" **إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِنَبِيٍّ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ** ". وروى البيهقي في سننه (١٦٦٥٧) عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : إِنَّمَا أَمَرَ بِابْنِ أَبِي سَرْحٍ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيَ، فَرَجَعَ مُشْرِكًا وَلَحِقَ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا أَمَرَ بِقَتْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَطَلٍ لأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، فَبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا، وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلًى يَخْدُمُهُ، وَكَانَ مُسْلِمًا فَنَزَلَ مَنْزِلاً، فَأَمَرَ الْمَوْلَى أَنْ يَذْبَحَ تَيْسًا وَيَصْنَعَ لَهُ طَعَامًا، وَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ، وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا فَعَدَا عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ ارْتَدَّ مُشْرِكًا، وَكَانَتْ لَهُ قَيْنَةٌ وَصَاحِبَتُهَا، فَكَانَتَا تُغَنِّيَانِ بِهِجَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمَا مَعَهُ .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٩١٣) والنسائي في سننه (٤٠٦٧) ورواه أبو داوود في سننه بنحوه مختصراً (٢٦٥٨) والحاكم في المستدرك (٢٣٢٩) وقال :صحيح على شرط مسلم وصحَّحه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبو يعلى والبزار ورجاهما ثقات .

(٢) وممن أهدر النبي ﷺ دماءهم يوم الفتح غير ما سبق، هَبَّار بن الأسود، وَكَانَ شَدِيد الأَذَى لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَرَضَ لِزَيْنَب بِنْتِ رَسُول اللَّه ﷺ لَمَّا هَاجَرَتْ، فَنَخَسَ بَعِيرهَا فَأُسْقِطَتْ، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الْمَرَض بِهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَلَمَّا كَانَ يَوْم الْفَتْح بَعْد أَنْ أَهْدَرَ النَّبِيُّ ﷺ دَمِهِ أَعْلَنَ بِالإِسْلامِ، فَقَبِلَ مِنْهُ وعفَا عَنْهُ . وَذَكَرَ الْحَاكِم أَيْضًا مِمَّنْ أَهْدَرَ دَمِهِ كَعْب بْن زُهَيْر وَقِصَّته مَشْهُورَة، وَقَدْ جَاءَ بَعْد ذَلِكَ وَأَسْلَمَ وَمَدَحَ . وَمنهم أيضاً وَحْشِيّ بْن حَرْب؛ فقال بعد ذكر قصته في قتل حمزة رضي الله عنه : فَلَمّا قَدِمْت مَكّةَ أُعْتِقْت، ثُمّ أَقَمْتُ حَتّى إذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَكّةَ هَرَبْتُ إلَى الطّائِفِ، فَمَكَثْت بِهَا، فَلَمّا خَرَجَ وَفْدُ الطّائِفِ إلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ لِيُسْلِمُوا تَعَيّتْ عَلَيّ الْمَذَاهِبُ فَقُلْت : أَلْحَقُ بِالشّأْمِ أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِبَعْضِ الْبِلادِ فَوَاَللّهِ إنّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمّي، إذْ قَالَ لِي رَجُلٌ وَيْحَك إنّهُ وَاَللّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ وَتَشَهَّدَ شَهَادَتَهُ . فَلَمّا قَالَ لِي ذَلِكَ خَرَجْتُ حَتّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إلاّ بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشَهّدُ بِشَهَادَةِ الْحَقّ، فَلَمّا رَآنِي قَالَ :" **أَوَحْشِيٌّ** ؟" قُلْت: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ . قَالَ: اُقْعُدْ فَحَدّثْنِي كَيْفَ قَتَلْت حَمْزَةَ . قَالَ: فَحَدّثْته، فَلَمّا فَرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ :" **وَيْحَك غَيّبْ عَنّي وَجْهَك، فَلا أُرَيَنّك** ". قَالَ : فَكُنْتُ أَتَنَكّبُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ لِئَلاّ يَرَانِي، حَتّى قَبَضَهُ اللّهُ ﷺ . فَلَمّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْت مَعَهُمْ وَأَخَذْت حَرْبَتِي الّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةَ، فَلَمّا الْتَقَى النّاسُ رَأَيْت مُسَيْلِمَةَ الْكَذّابَ قَائِمًا فِي يَدِهِ السّيْفُ وَمَا أَعْرِفُهُ، فَتَهَيّأْتُ لَهُ وَتَهَيّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ مِنْ النّاحِيَةِ الأُخْرَى، كِلانَا =

www.saida-islam.weebly.com

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ أَنَّ أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فَأَسْلَمَتْ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَهَرَبَ زَوْجُهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى قَدِمَ الْيَمَنَ، فَارْتَحَلَتْ أُمُّ حَكِيمٍ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَيْهِ بِالْيَمَنِ، فَدَعَتْهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَبَ إِلَيْهِ فَرَحاً، وَمَا عَلَيْهِ رِدَاءٌ حَتَّى بَايَعَهُ. فَثَبَتَا عَلَى نِكَاحِهِمَا ذلِكَ [(١)] .

=يُرِيدُهُ فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتّى إذَا رَضِيت مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدّ عَلَيْهِ الأَنْصَارِيّ فَضَرَبَهُ بِالسّيْفِ، فَرَبّك أَعْلَمُ أَيّنَا قَتَلَهُ، فَقَدْ قَتَلْت خَيْرَ النّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَقَدْ قَتَلْت شَرّ النّاسِ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، قَالَ سَمِعْت يَوْمئِذٍ صَارِخًا يَقُولُ : قَتَلَهُ الْعَبْدُ الأَسْوَدُ «سيرة ابن هشام» (٢/٧٠). وروى الطبراني في الكبير (١١٤٨٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حَمْزَةَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلامِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ : يَا مُحَمَّدُ، كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى دِينِكَ، وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ أَوْ أَشْرَكَ أَوْ زَنَا يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا، وَأَنَا قَدْ صَنَعْتُ ذَلِكَ ؟ فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ رُخْصَةٍ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان آية ٧٠]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَرْطٌ شَدِيدٌ إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا، فَلَعَلِّي لا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨]، فَقَالَ وَحْشِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ أَرَى بَعْدَ مشيئةٍ فَلا أَدْرِي يُغْفَرُ لِي أَمْ لا، فَهَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر آية ٥٣]، قَالَ وَحْشِيٌّ: هَذَا فَجَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا أَصَبْنَا مَا أَصَابَ وَحْشِيٌّ، قَالَ: "**هِيَ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً** ". قال الهيثمي في المجمع : وفيه أبْيَنُ بن سفيان ضعَّفه الذهبي . وروى البخاري (٤٨١٠) ومسلم (٣٣٧) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ، فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِى تَقُولُ وَتَدْعُو لَحَسَنٌ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً . فَنَزَلَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾، وَنَزَلَ: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾.

(١) رواه موطأ مالك برقم (٤٤) ومن طريقه أخرجه البيهقي في السنن (٧/ ١٧٨) و«دلائل النبوة» (٥/٩٨). وأخرج نحوه ابن إسحاق عن الزهري «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٨)، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الطبري في التاريخ (٣/٦٣) .

www.saida-islam.weebly.com

وعن أُمِّ حَكِيمٍ امْرَأَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ رضي الله عنها، أنها قالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ هَرَبَ عِكْرِمَةُ مِنْك إلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمِّنْهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **هُوَ آمِنٌ** ". فَخَرَجَتْ أُمُّ حَكِيمٍ فِي طَلَبِهِ، وَمَعَهَا غُلامٌ لَهَا رُومِيٌّ، فَرَاوَدَهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَجَعَلَتْ تُمَنِّيهِ حَتَّى قَدِمَتْ عَلَى حَيٍّ مِنْ عَكٍّ[(١)]، فَاسْتَغَاثَتْهُمْ عَلَيْهِ، فَأَوْثَقُوهُ رِبَاطًا، وَأَدْرَكَتْ عِكْرِمَةَ وَقَدِ انْتَهَى إلَى سَاحِلٍ مِنْ سَوَاحِلِ تِهَامَةَ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَجَعَلَ نُوَيْتٌ[(٢)] السَّفِينَةَ يَقُولُ لَهُ : أَخْلِصْ . فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَقُولُ ؟ قَالَ: قُلْ : لا إلَهَ إلاَّ اللَّهُ . قَالَ عِكْرِمَةُ : مَا هَرَبْت إلاَّ مِنْ هَذَا . فَجَاءَتْ أُمُّ حَكِيمٍ عَلَى هَذَا الْكَلامِ، فَجَعَلَتْ تُلِحُّ إلَيْهِ[(٣)]، وَتَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ، جِئْتُك مِنْ عِنْدِ أَوْصَلِ النَّاسِ، وَأَبَرِّ النَّاسِ، وَخَيْرِ النَّاسِ، لا تُهْلِكْ نَفْسَك . فَوَقَفَ لَهَا حَتَّى أَدْرَكَتْهُ، فَقَالَتْ : إنِّي قَدِ اسْتَأْمَنْت لَكَ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . قَالَ أَنْتِ فَعَلْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ، أَنَا كَلَّمْته فَأَمَّنَكَ . فَرَجَعَ مَعَهَا، وَقَالَ : مَا لَقِيتِ مِنْ غُلامِك الرُّومِيِّ ؟ فَخَبَّرَتْهُ خَبَرَهُ، فَقَتَلَهُ عِكْرِمَةُ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ لَمْ يُسْلِمْ . فَلَمَّا دَنَا مِنْ مَكَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ :" **يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا مُهَاجِرًا، فَلا تَسُبُّوا أَبَاهُ، فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ**[(٤)]". قَالَ : وَجَعَلَ عِكْرِمَةُ يَطْلُبُ امْرَأَتَهُ يُجَامِعُهَا، فَتَأْبَى عَلَيْهِ وَتَقُولُ : إنَّكَ كَافِرٌ وَأَنَا مُسْلِمَةٌ . فَيَقُولُ : إنَّ أَمْرًا مَنَعَكِ مِنِّي لأَمْرٌ كَبِيرٌ .

فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عِكْرِمَةَ وَثَبَ إلَيْهِ – وَمَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رِدَاءٌ – فَرَحًا بِعِكْرِمَةَ[(٥)]، ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَزَوْجَتُهُ مُنْتَقِبَةٌ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إنَّ هَذِهِ أَخْبَرَتْنِي

---

(١) هم عكٌّ بن عَدْنان، أخو معدّ بن عدنان، حالفوا اليمن، ونزلوا في الأشعريّين. «الأنساب لابن القيسراني» ص (٣٤).

(٢) هو الملّاح الذي يدير السفينة في البحر خاصة . «القاموس المحيط» ص (٢٠٧) .

(٣) أي تليح إليه، بمعنى تحرك إليها ثوبها ليرجع من مكان بعيد .

(٤) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب (٣٣٣/١) أنَّ عكرمة لَمَّا أسلم شكا قولهم : عكرمة بن أبي جهل. فناهم رسول الله ﷺ أن يقولوا عكرمة بن أبي جهل وقال :" **لا تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ** ".

(٥) فيه بيان شدة رحمة النبي ﷺ بالناس، وشدة فرحه بهدايتهم، مهما كانت مخالفتهم وعداوتهم له قبل ذلك، تحقيقاً لقوله ﷻ : ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا لِلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ .

www.saida-islam.weebly.com

أَنَّكَ أَمَّنْتِنِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **صَدَقْتِ، فَأَنْتَ آمِنٌ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِلَى مَا تَدْعُو يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ :" **أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه، وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ – وَتَفْعَلَ وَتَفْعَلَ**؛ حَتَّى عَدَّ خِصَالَ الإِسْلامِ . فَقَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ مَا دَعَوْتَ إِلاَّ إِلَى الْحَقِّ وَأَمْرٍ حَسَنٍ جَمِيلٍ؛ قَدْ كُنْتَ وَاللَّهِ فِينَا قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى مَا دَعَوْتَ إِلَيْهِ وَأَنْتَ أَصْدَقُنَا حَدِيثًا[(١)]، وَأَبَرُّنَا بِرًّا . ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ [(٢)]. فَسُرَّ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي خَيْرَ شَيْءٍ أَقُولُهُ . قَالَ :" **تَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** ". قَالَ عِكْرِمَةُ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **تَقُولُ : أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُ مَنْ حَضَرَ أَنِّي مُسْلِمٌ مُهَاجِرٌ مُجَاهِدٌ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لا تَسْأَلُنِي الْيَوْمَ شَيْئًا أُعْطِيهِ أَحَدًا إِلاَّ أَعْطَيْتُكَهُ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي كُلَّ

---

(١) فيه أن المشركين كانوا يعرفون صدق النبي ﷺ وأنه لا يكذب، ولكن كان يمنعهم الكبر والتقليد للآباء والأجداد . وأخرج البيهقي في الدلائل (٢٠٧/٢) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٨٢٩) عَنِ الْمُغِيرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي كُنْتُ أَمْشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي جَهْلٍ :" **يَا أَبَا الْحَكَمِ هَلُمَّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِلَى رَسُولِهِ أَدْعُوكَ إِلَى اللهِ** ". قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ أَنْتَ مُنْتَهٍ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا؟ هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَوَاللهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ مَا اتَّبَعْتُكَ. فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنَّ بَنِي قُصَيٍّ، قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ فَقُلْنَا: نَعَمْ ، فَقَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللِّوَاءُ فَقُلْنَا: نَعَمْ، قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ. وَاللهِ لَا أَفْعَلُ .

(٢) أخرج الحاكم في المستدرك (٥٠٦٠) عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال :" **رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ أَبَا جَهْلٍ أَتَانِي فَبَايَعَنِي** "، فَلَمَّا أَسْلَمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : قَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُؤْيَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ إِسْلَامُ خَالِدٍ، فَقَالَ :" **لَيَكُونَنَّ غَيْرُهُ** ". حَتَّى أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَكَانَ ذَلِكَ تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

عَدَاوَةٍ عَادَيْتُكَهَا، أَوْ مَسِيرٍ وَضَعْتُ فِيهِ[١]، أَوْ مَقَامٍ لَقِيتُكَ فِيهِ، أَوْ كَلامٍ قُلْتُهُ فِي وَجْهِكَ، أَوْ وَأَنْتَ غَائِبٌ عَنْهُ [٢] .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ كُلَّ عَدَاوَةٍ عَادَانِيهَا، وَكُلَّ مَسِيرٍ سَارَ فِيهِ إِلَى مَوْضِعٍ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْمَسِيرِ إِطْفَاءَ نُورِكَ، فَاغْفِرْ لَهُ مَا نَالَ مِنِّي مِنْ عِرْضٍ فِي وَجْهِي، أَوْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهُ** ". فَقَالَ عِكْرِمَةُ : رَضِيت يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ عِكْرِمَةُ : أَمَا وَاَللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لا أَدَعُ نَفَقَةً كُنْتُ أُنْفِقُهَا فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ أَنْفَقْتُ ضِعْفَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ[٣]، وَلا قِتَالاً كُنْتُ أُقَاتِلُ فِي صَدٍّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إلاَّ أَبْلَيْتُ ضِعْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [٤]. ثُمَّ اجْتَهَدَ فِي

---

(١) أي حَمَلْتُ الدابةَ على سرعة السير، أي للشرِّ .

(٢) جاء في رواية الحاكم عن عروة بن الزبير (٥٠٥٧) قال عكرمة : أَقُولُ ذَلِكَ وإِنِّي لَمُطَأْطِىءٌ رَأْسِيْ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ .

(٣) فيه أن الدعوة إلى الله هي أعظم قوة في أيدي المسلمين، حيث تُغَيِّرُ وجهةَ قلوب الناس، من المخلوق إلى الخالق، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الأسباب المادية إلى الأعمال الصالحة، فتتغير تبعاً لذلك وجهة إنفاق المال من الإنفاق في سبيل الباطل والصدِّ عن سبيل الله، إلى الإنفاق في سبيل الله لإعلاء كلمة الله؛ فالدعوة توظِّف طاقات أهل الباطل في خدمة الحق وأهله؛ لذلك كانت الدعوة إلى الله مُقَدَّمَةً على القتال، ومقصودةً لذاتها، كما قال ﷺ :" **فَوَاللهِ لَئَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** ".

(٤) وقد كان له رضي الله عنه في قتال المشركين وأهل الردة أثر عظيم؛ واستعمله رسول الله ﷺ عام حجَّ على هوازن يصدقها. واستعمله أبو بكر رضي الله عنه على جيش، وسيَّره إلى أهل عمان، وكانوا ارتدوا فظهر عليهم . ثم وجَّهه أبو بكر أيضا إلى اليمن، فلما فرغ من قتال أهل الردة سار إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر مع جيوش المسلمين، فلما عسكروا بالجرف على ميلين من المدينة خرج أبو بكر يطوف في معسكرهم، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهرة، فانتهى إليه فإذا بخباء عكرمة، فسلم عليه أبو بكر، وجزاه خيراً، وعرض عليه المعونة، فقال : لا حاجة لي فيها معي ألفا دينار، فدعا له بخير، فسار إلى الشام، ولزم الشام مجاهداً حتى قتل يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنهما . وقيل: استشهد يوم أجنادين . وقيل : إنه قتل يوم مرج الصفر، وكانت أجنادين ومرج الصفر في عام واحد سنة ثلاث عشرة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . وروي عنه أنه قال يوم اليرموك : **قَاتَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وأَفِرُّ مِنْكُمُ اليَومَ**؛ ثم نادى : **مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى المَوتِ** ؟ فبايعه عمه الحارث بن=

www.saida-islam.weebly.com

الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا [١]. وقَالَ سُهَيلُ بنُ عَمْرٍو يومَ حُنَينٍ : لا يَجْتَبِرُهَا[٢] مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ : يَقُولُ لَهُ عِكْرِمَةُ : هَذَا لَيْسَ بِقَوْلٍ، وَإِنَّمَا الأَمْرُ بِيَدِ اللَّهِ، وَلَيْسَ إِلَى مُحَمَّدٍ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، إِنْ أُدِيلَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ فَإِنَّ لَهُ الْعَاقِبَةَ غَدًا . قَالَ : يَقُولُ سُهَيْلٌ : إِنَّ عَهْدَكَ بِخِلافِهِ لَحَدِيثٌ . قَالَ : يَا أَبَا يَزِيدَ إِنَّا كُنَّا وَاَللَّهِ نُوضِعُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ، وَعُقُولُنَا عُقُولُنَا . نَعْبُدُ الْحَجَرَ لا يَنْفَعُ وَلا يَضُرُّ [٣] .

*****

=هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم؛ فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحةً وقتلوا إلاَّ ضرار بن الأزور . وذكر الزهري : أن عكرمة بن أبي جهل يومئذ – يعني يوم فحل – كان أعظم الناس بلاءً، وأنه كان يركب الأسنة حتى جرحت صدره ووجهه؛ فقيل له: اتق الله وارفق بنفسك . فقال : كنت أجاهد بنفسي عن اللَّات والعزَّى فأبذلها لها، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله ؟! لا والله أبداً . قالوا : فلم يزدد إلاَّ إقداماً حتى قتل رحمه الله تعالى . «أسد الغابة» ص (٧٨١ – ٧٨٣). و«الاستيعاب» (٣٣٣/١) .

(١) أخرجه الواقدي في المغازي ص (٨٥٠) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/٤١) والحاكم في المستدرك مختصراً (٥٠٥٧) . وأخرج الحاكم في المستدرك (٥٠٥٨) والطبراني في الكبير (٣٢٦٤) عَنْ حَبِيبِ بن أَبِي ثَابِتٍ، أَنَّ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ، وَعِكْرِمَةَ بن أَبِي جَهْلٍ، وَعَيَّاشَ بن أَبِي رَبِيعَةَ أُثْبِتُوا يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، فَدَعَا الْحَارِثُ بِشَرَابٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عِكْرِمَةُ، فَقَالَ : ادْفَعُوهُ إِلَى عِكْرِمَةَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَيَّاشُ بنُ أَبِي رَبِيعَةَ، قَالَ عِكْرِمَةُ : ادْفَعُوهُ إِلَى عَيَّاشٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا وَمَا ذَاقُوهُ .

(٢) ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦٢٦/٣) عن مغازي موسى بن عقبة عن الزهري أنه قال : ومر رجل من قريش بصفوان بن أمية فقال: أبشر بهزيمة محمد وأصحابه، فوالله لا يجتبرونها أبداً . يعني أن محمداً ﷺ وأصحابه ﷺ لا يصلحون ما فقدوا بهذه الهزيمة ولا يستدركونها .

(٣) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (٩١١ – ٩١٢) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِهِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ بِقَبُولِ إِسْلَامِهَا مَعَ مَا سَبَقَ مِنْهَا مِنْ شِدَّةِ عِدَائِهَا وَإِيذَائِهَا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَاءَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ(١)، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ خِبَاءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ(٢)، وَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ خِبَاءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" **وَأَيْضًا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ** (٣)" (٤) .

وعَنْ عَبدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ حَكِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ امْرَأَةُ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ، فَتَكَلَّمَتْ هِنْدُ بِنْتُ

---

(١) هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية الهاشمية، امرأة أبي سفيان بن حرب، وهي أم معاوية؛ أسلمت في الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان، وأقرَّها رسول الله ﷺ على نكاحها، كان بينهما في الإسلام ليلة واحدة؛ وكانت ممن أهدر النبيُّ ﷺ دمها يوم الفتح، ثم إنها أسلمت يوم الفتح، وحَسُنَ إسلامها، وشهدت اليرموك وحرَّضت على قتال الروم مع زوجها أبي سفيان، وكانت قبل أبي سفيان تحت حفص بن المغيرة المخزومي وقصتها معه مشهورة، وتوفيت رضي الله عنها في خلافة عمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق . «أسد الغابة» (٢٨١/٧). وأهدت رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ جديَيْن، واعتذرت من قلة ولادة غنمها؛ فدعا لها رسول الله ﷺ، فكثرت غنمهم. فكانت تقول : هذا ببركة رسول الله ﷺ؛ فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا برسوله . وقالت حين هدمت الأصنام التي كانت في بيتها : لقد كنا منكم في غرور . «أنساب الأشراف» (١٥٩/١) .

(٢) قَالَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ : أَرَادَتْ بِقَوْلِهَا : أَهْل خِبَاء، نَفْسه ﷺ، فَكَنَّتْ عَنْهُ بِأَهْلِ الْخِبَاء إِجْلالاً لَهُ؛ قَالَ : وَيَحْتَمِل أَنْ تُرِيد بِأَهْلِ الْخِبَاء أَهْل بَيْته . وَالْخِبَاء يُعَبَّر بِهِ عَنْ مَسْكَن الرَّجُل وَدَاره . «شرح مسلم للنووي» (٩/١٢) .

(٣) مَعْنَاهُ وَسَتَزِيدِينَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَتَمَكَّن الإِيمَانُ مِنْ قَلْبك، وَيَزِيد حُبّك لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَيَقْوَى رُجُوعك عَنْ بُغْضه؛ وَأَصْل هَذِهِ اللَّفْظَة (آضَ يَئِيض أَيْضًا) إِذَا رَجَعَ . «المصدر السابق».

(٤) رواه البخاري برقم (٣٨٢٥) (٧١٦١) ومسلم (٤٥٧٦) (٤٥٧٧) .

www.saida-islam.weebly.com

عُتْبَةَ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ الدِّينَ الَّذِي اخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ، لِتَمَسَّنِي رَحْمَتُكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي امْرَأَةٌ مُؤْمِنَةٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقَةٌ . ثُمَّ كَشَفَتْ عَنْ نِقَابِهَا، فَقَالَتْ : هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَرْحَبًا بِكِ** ". فَقَالَتْ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَذِلُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِك، وَلَقَدْ أَصْبَحْتُ وَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ خِبَاءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعِزُّوا مِنْ أَهْلِ خِبَائِك. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :" **وَزِيَادَةً أَيْضًا** ". ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ الْقُرْآنَ، وَبَايَعَهُنَّ، فَقَالَتْ هِنْدٌ مِنْ بَيْنِهِنَّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُمَاسِحُكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **إِنِّي لا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّ قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ مِثْلُ قَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ** " [(١)] .

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيرِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : قَالَتْ هِنْدٌ لِأَبِي سُفْيَانَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبَايِعَ مُحَمَّدًا . قَالَ : قَدْ رَأَيْتُكِ تُكَذِّبِينَ هَذَا الحَدِيثَ أَمْسِ ! قَالَتْ : وَاللهِ مَا رَأَيْتُ اللهَ عُبِدَ حَقَّ عِبَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَبلَ اللَّيْلَةِ . وَاللهِ إِنْ بَاتُوا إِلاَّ مُصَلِّينَ . قَالَ : فَإِنَّكِ قَدْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ [(٢)] .

---

(١) أخرجه الواقدي في المغازي ص (٨٥٠) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٩/٧٠) والحاكم في المستدرك مختصراً (٥٠٥٧). وروى البخاري في صحيحه (٤٨٩١) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الآيَةِ بِقَوْلِ اللَّهِ : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ **غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾؛ قَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ بَايَعْتُكِ** ". كَلامًا . وَلا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ، مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلاَّ بِقَوْلِهِ :" **قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكِ** ".

(٢) كانت رضي الله عنها امرأة لها نفس وأنفة ورأي وعقل، وشهدت أحداً كافرةً؛ وهي القائلة يومئذ : نحن بنات طارق .. نمشي على النمارق .. إن تقبلوا نعانق .. أو تدبروا نفارق .. فراق غير وأمق . وجعلت والنساء معها يجدعن أنوف المسلمين، ويبقرن بطونهم، ويقطعن الآذان، وبقرت هند عن بطن حمزة، فأخرجت كبدة، وجعلت تلوك كبده، ثم لفظته فقال النبي ﷺ :" **لَوْ دَخَلَ بَطْنَهَا لَمْ تَدْخُلِ النَّارَ** ". ولم يمثل بأحد ما مثل بحمزة، قطعت هند كبده، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه وبقرت بطنه، فلما رأى النبي ﷺ ما صنع بحمزة قال :" **لَئِنْ ظَفَرْتُ بِقُرَيشٍ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ مِنْهُم** ". فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ** ﴾[النحل:١٢٦-١٢٧]. وَكَانَتْ يوم أحد كُلَّمَا مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أَوْ مَرّ بِهَا، قَالَتْ: وَيْهَا أَبَا دَسْمَةَ اشْفِ وَاسْتَشْفِ، وَكَانَ وَحْشِيّ يُكَنّى بِأَبِي دَسْمَةَ . وأخرج الطبراني =

www.saida-islam.weebly.com

فَاذْهَبِي بِرَجُلٍ مِنْ قَومِكِ مَعَكِ . فَذَهَبَتْ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَذَهَبَ مَعَهَا، فَاسْتَأْذَنَ لَهَا، فَدَخَلَتْ وهِيَ مُنْتَقِبَةٌ، فَقَالَ :" **تُبَايِعِينِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكِي بِاللهِ شَيْئاً ..** " [(١)] .

وعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبدِ شَمْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ أَبَا حُذَيفَةَ بْنَ عُتْبَةَ رضي الله عنه أَتَى بِهَا وبِهِنْدٍ ابْنَةِ عُتْبَةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُبَايِعُهُ . فَقَالَتْ : أَخَذَ عَلَينَا فَشَرَطَ عَلَينَا . قَالَتْ : قُلْتُ لَهُ : يَا ابْنَ عَمِّ، هَلْ عَلِمْتَ فِي قَومِكَ مِنْ هَذِهِ العَاهَاتِ أَوِ الهَنَاتِ شَيْئاً ؟ قَالَ أَبُو حُذَيْفَةَ : إِيْهاً، فَبَايِعِيْهِ فَإِنَّ بِهَذَا يُبَايَعُ، وهَكَذَا يُشْتَرَطُ ... قَالَتْ : فَبَايَعْنَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ فَاطِمَةُ : مَا كَانَتْ قُبَّةٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ قُبَّتِكَ، ولَا أَحَبَّ أَنْ يُبِيْحَهَا اللهُ ومَا فِيهَا، ووَاللهِ مَا مِنْ قُبَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ يَعْمُرَهَا اللهُ ويُبَارِكَ فِيهَا مِنْ قُبَّتِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَأَيْضاً وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ** " [(٢)] .

*****

=في الأوسط (٦٦١٥) عن معاوية رضي الله عنه قال : خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفاً هنداً، وخرجت أسير أمامهما وأنا غلام على حمارة لي، إذ سمعنا رسول الله ﷺ فقال أبو سفيان: أنزل يا معاوية حتى يركب محمد، فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة، ثم التفت إلينا فقال: "**يَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَربٍ، وَيَا هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ، وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ ثُمَّ لَتُبْعَثُنَّ، ثُمَّ لَيَدْخُلَنَّ المُحْسِنُ الجَنَّةَ والمُسِيءُ النَّارَ، وأَنَا أَقُولُ لَكُم بِحَقٍّ، وإِنَّكُم لَأَوَّلُ مَنْ أُنْذِرْتُمْ**"، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ١،٢] حتى بلغ: ﴿قَالَتۡآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت:١١]، فقال له أبو سفيان : أفَرَغْت يا محمد ؟ قال : نعم، ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها، وأقبلت هند على أبي سفيان فقالت: أهذا الساحر أنزلتَ ابني؟ قال: لا والله ما هو بساحر، ولا كذَّاب. قال الهيثمي: حُمَيد بن مُنْهب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات .

(١) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٨٦٨) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧٧/٧٠) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٨٠٥) وقال : صحيح الإسناد؛ ووافقه الذهبي .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الحَادِيْ وَالثَّلَاثُوْنَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِيْ رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ المُشْرِكِينَ، بِعَفْوِهِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ، وَدُخُولُهُمُ الإِسْلَامَ بِذَلِكَ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِكْرِمَةَ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ، دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى أُمِّ هَانِئِ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَاسْتَجَارَا بِهَا[1]، فَقَالَا : نَحْنُ فِي جِوَارِكِ،

---

(١) هكذا قال الزبير بن بكار وغيره . وفي حديث مالك وغيره أن الذي أجارته بعض بني زوجها هبيرة ابن أبي وهب. والحارث هو الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، أخو أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، شهد بدراً كافراً مع أخيه شقيقه أبي جهل، وفرَّ حينئذٍ، وقتل أخوه، ثم غزا أحداً مع المشركين أيضاً، ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وممن حسن إسلامه منهم . ولم ير منه في إسلامه شيء يكره، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، فأعطاه مائة من الإبل كما أعطى المؤلفة قلوبهم . ورُوِيَ أن رسول الله ﷺ ذكر الحارث ابن هشام وفعله في الجاهلية في قرى الضيف وإطعام الطعام فقال :" **إِنَّ الحَارِثَ لَسَرِيٌّ، وإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَسَرِيّاً، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ هَدَاهُ إِلَى الإِسْلَامِ** ". وخرج إلى الشام في زمن عمر بن الخطاب راغباً في الرباط والجهاد، فتبعه أهل مكة يبكون لفراقه، فقال : إنها النقلة إلى الله، وما كنت لأوثر عليكم أحداً . فلم يزل بالشام مجاهداً حتى مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة . وقال المدائني : قتل الحارث بن هشام يوم اليرموك، وذلك في رجب سنة خمس عشرة . وروي عنه أنه قال : يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به فقال :" **امْلِكْ عَلَيكَ هَذَا** ". وأشار إلى لسانه قال فرأيت أن ذلك يسير . وكنت رجلاً قليل الكلام، ولم أفطن له، فلما رمته فإذا لا شيء أشد منه. «الاستيعاب» (٨٩/١) و«الإصابة» (٦٠٧/١). وعبد الله هو ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن مخزوم القرشي المخزومي، وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور، يكنى أبا عبد الرحمن، وكان اسمه في الجاهلية بحير فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، وكان من أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم يوم الفتح، وكان من أحسن قريش وجهاً، وهو الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في طلب أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا بالحبشة، وقيل غيره؛ وولاَّه رسول الله ﷺ الجند من اليمن ومخاليفها، ولم يزل والياً عليها حتى قتل عمر رضي الله عنه؛ وكان عمر قد أضاف إليه صنعاء، ثم ولي عثمان الخلافة رضي الله عنه، فولَّاه ذلك أيضاً، فلما حصر عثمان جاء لينصره فسقط عن راحلته بقرب مكة فمات؛ يعد في أهل المدينة؛ قال رضي الله عنه : اسْتَقْرَضَ مِنِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفاً، فَجَاءَهُ مَالٌ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ وقَالَ :" **بَارَكَ اللهُ فِي أَهْلِكَ ومَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الأَدَاءُ والحَمْدُ** ". «أسد الغابة» (٦٠٦/١) و«الاستيعاب» (٢٧١/١) .

www.saida-islam.weebly.com

فَأَجَارَتْهُمَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَشَهَرَ عَلَيْهِمَا السَّيْفَ، فَتَفَلَّتَ عَلَيْهِمَا وَاعْتَنَقَتْهُ، وَقَالَتْ : تَصْنَعُ بِي هَذَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ لَتَبْدَأَنَّ بِي قَبْلَهُمَا، فَقَالَ : تُجِيرِينَ الْمُشْرِكِينَ؟ فَخَرَجَ، قَالَتْ أُمُّ هَانِئٍ : فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِن ابْنِ أُمِّي عَلِيٍّ مَا كِدْتُ أَفْلِتُ مِنْهُ، أَجَرْتُ حَمْوَيْنِ لِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَانْفَلَتَ عَلَيْهِمَا لِيَقْتُلَهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ** ". فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا، فَانْصَرَفَا إِلَى مَنَازِلِهِمَا، فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : الْحَارِثُ ابْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ جَالِسَانِ فِي نَادِيهِمَا مُتَنَضِّلَيْنِ فِي الْمُلَأِ الْمُزَعْفَرَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لَا سَبِيلَ إِلَيْهِمَا، قَدْ أَمَّنَّاهُمَا** ". قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ : وَجَعَلْتُ اسْتَحْيِي أَنْ يَرَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَذْكُرُ رُؤْيَتَهُ إِيَّايَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ أَذْكُرُ بِرَّهُ وَرَحْمَتَهُ، فَأَلْقَاهُ وَهُوَ دَاخِلٌ الْمَسْجِدَ، فَتَلَقَّانِي بِالْبِشْرِ، وَوَقَفَ حَتَّى جِئْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، فَقَالَ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ، مَا كَانَ مِثْلُكَ يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ** ". قَالَ الْحَارِثُ : فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الْإِسْلَامِ جُهِلَ .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الوَاقِدِيُّ : وَلَمْ يَزَلِ الْحَارِثُ مُقِيمًا بِمَكَّةَ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ، حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه يَسْتَنْفِرُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى غَزْوِ الرُّومِ، قَدِمَ ابْنُ هِشَامٍ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَسُهَيْلُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو عَلَى أَبِي بَكْرٍ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُمْ فِي مَنَازِلِهِمْ فَرَحَّبَ بِهِمْ، وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَسُرَّ بِمَكَانِهِمْ، ثُمَّ خَرَجُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ غُزَاةً إِلَى الشَّامِ، فَشَهِدَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ فِحْلًا وَأَجْنَادَيْنِ، وَمَاتَ بِالشَّامِ فِي طَاعُونِ عَمَوَاسٍ سَنَةَ ثَمَانَ عَشْرَةَ[1] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٥٢١٠) واللفظ له، ورواه أحمد في مسنده (٢٦٩٠٦) ولفظه : قالت : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَجَرْتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَحْمَائِي فَأَدْخَلْتُهُمَا بَيْتًا وَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابًا، فَجَاءَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَتَفَلَّتَ عَلَيْهِمَا بِالسَّيْفِ، قَالَتْ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ فَاطِمَةَ فَكَانَتْ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ زَوْجِهَا، قَالَتْ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَعَلَيْهِ أَثَرُ الْغُبَارِ، فَأَخْبَرْتُهُ؛ فَقَالَ : =

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ أَبِي نَوْفَلِ بْنِ أَبِي عَقْرَبَ، قَالَ : خَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَجَزِعَ أَهْلُ مَكَّةَ جَزَعًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا خَرَجَ يُشَيِّعُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِأَعْلَى الْبَطْحَاءِ أَوْ حَيْثُ شَاءَ مِنْ ذَلِكَ، فَوَقَفَ وَوَقَفَ النَّاسُ حَوْلَهُ يَبْكُونَ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَ النَّاسِ قَالَ : **يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَا خَرَجْتُ رَغْبَةً بِنَفْسِي عَنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا اخْتِيَارَ بَلَدٍ عَلَى بَلَدِكُمْ، وَلَكِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ كَانَ، وَخَرَجَ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا كَانُوا مِنْ ذَوِي أَسْنَانِهَا وَلَا مِنْ بُيُوتَاتِهَا، فَأَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جِبَالَ مَكَّةَ ذَهَبٌ فَأَنْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكْنَا يَوْمًا مِنْ أَيَّامِهِمْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَئِنْ فَاتُونَا فِي الدُّنْيَا لَنَلْتَمِسَنَّ أَنْ نُشَارِكَهُمْ فِي الْأُخْرَى، فَاتَّقَى اللَّهَ امْرُؤٌ خَرَجَ غَازِيًا** . فَخَرَجَ غَازِيًا إِلَى الشَّامِ فَأُصِيبَ شَهِيدًا [(١)] .

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالنُّضَيرِ بْنِ الحَارِثِ

عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شُرَحْبِيلَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ : كَانَ النُّضَيْرُ بْنُ الْحَارِثِ[(٢)] مِنْ أَحْلَمِ النَّاسِ، فَكَانَ يَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِالْإِسْلَامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ نَمُتْ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ الْآبَاءُ وَقُتِلَ عَلَيْهِ الْإِخْوَةُ وَبَنُو الْعَمِّ، ثُمَّ ذَكَرَ عَدَاوَتَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى حُنَيْنٍ، وَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ بَعْدُ، قَالَ : وَنَحْنُ نُرِيدُ إِنْ كَانَتْ دَبْرَةً عَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ نُغِيرَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يُمْكِنَّا ذَلِكَ، فَلَمَّا صَارَ بِالْجِعْرَانَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَعَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ، إِنْ شَعَرْتُ إِلَّا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ تَلَقَّانِي، فَقَالَ :" **النُّضِيرُ** "، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ :" **هَذَا خَيْرٌ مِمَّا**

="**يَا أُمَّ هَانِئ قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ** ". ورواه البخاري (٣٥٧) (٣١٧١) ومسلم (١٧٠٢) باختصار، ولفظهما : قالت : زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَاتِلٌ رَجُلاً أَجَرْتُهُ فُلاَنُ ابْنُ هُبَيْرَةَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئ** ".

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٥٢١١) وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٢) هو نضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة العبدري؛ ويقال : النضر؛ والأصح أن النضر أخوه، وقتل النضر يوم بدر كافراً؛ وكان نضير من المهاجرين المؤلفة قلوبهم، وهاجر النضير إلى المدينة، وقتل يوم اليرموك شهيداً سنة خمس عشرة، في خلافة عمر بن الخطاب . قال الهيثم بن عدي : هاجر النضير إلى الحبشة، ثم قدم إلى مكة فارتدَّ، ثم صحَّح الإسلام يوم الفتح أو بعده واستشهد باليرموك .

www.saida-islam.weebly.com

أَرَدْتَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِمَّا حَالَ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ "، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ سَرِيعًا، فَقَالَ :" قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُبْصِرَ مَا أَنْتَ فِيهِ تُوضِعُ "، قُلْتُ : قَدْ أَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى شَيْئًا، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" اللهُمَّ زِدْهُ ثَبَاتًا "، قَالَ النُّضَيْرُ : فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَكَأَنَّ قَلْبِي حَجَرٌ ثَبَاتًا فِي الدِّينِ وَبَصِيرَةً بِالْحَقِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ ". ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلاَّ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي الدُّئَلِ يَقُولُ : يَا أَبَا الحَارِثِ قَدْ أَمَرَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِائَةِ بَعِيرٍ، فَأَجِزْ لِي مِنهَا، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيناً، قَالَ : فَأَرَدْتُ أَنْ لَا آخُذَهَا، وقُلْتُ: مَا هَذَا مِنهُ إِلَّا تَأَلُّفٌ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَرْتَشِيَ عَلَى الإِسْلَامِ، ثُمَّ قُلْتُ : واللهِ مَا طَلَبْتُهَا ولا سَأَلْتُهَا، فَقَبَضْتُهَا وأَعْطَيْتُ الدُّئَلِيَّ مِنهَا عَشْراً . ثُمَّ خَرَجْتُ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَلَسْتُ مَعَهُ فِي مَجْلِسِهِ، وسَأَلْتُهُ عَنْ فَرضِ الصَّلَوَاتِ ومَوَاقِيتِهَا وعَنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، ثُمَّ قُلْتُ : أَيْ رَسُولَ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، واللهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَأَرْشِدْنِي أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلى اللهِ ؟ قَالَ :" الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالنَّفَقَةُ فِيهِ ". وهَاجَرَ النُّضَيرُ إِلى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى خَرَجَ إِلى الشَّامِ غَازِياً، فَحَضَرَ اليَرْمُوكَ، وقُتِلَ يَومَئِذٍ شَهِيداً فِي رَجَب، سَنَةَ خَمْس عَشْرَةَ، فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ [١] .

رَحْمَتُهُ ﷺ بِحُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى

وعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَهْمٍ، قَالَ : قَالَ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى[٢] : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ خِفْتُ خَوْفًا شَدِيدًا، فَخَرَجْتُ مِنْ بَيْتِي، وَفَرَّقْتُ عِيَالِي فِي مَوَاضِعَ يَأْمَنُونَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» عن الواقدي (٥/٢٠٥- ٢٠٦) وانظر «البداية والنهاية» (٤/٣٦٤-٣٦٥) و«الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١٠٧) .

(٢) هو حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس القرشي العامري، وهو من مسلمة الفتح، ومن المؤلفة قلوبهم، وشهد حنيناً مع النبي ﷺ فأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل؛ وهو أحد النفر الذين أمرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتحديد أنصاب الحرم؛ وقال حويطب : شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عِبَراً : رأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، ولم أذكر ذلك لأحد . وشهد مع سهيل بن عمرو صلح الحديبية؛ وأسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف مسلماً؛ ومات حويطب بالمدينة آخر خلافة معاوية . «الاستيعاب» (١/١١٨) و«أسد الغابة» (١/٢٩٥) .

www.saida-islam.weebly.com

فِيهَا، فَانْتَهَيْتُ إِلَى حَائِطِ عَوْفٍ، فَكُنْتُ فِيهِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خُلَّةٌ، وَالْخُلَّةُ أَبَدًا مَانِعَةٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ هَرَبْتُ مِنْهُ، فَقَالَ : أَبَا مُحَمَّدٍ فَقُلْتُ : لَبَّيْكَ . قَالَ : مَا لَكَ ؟ قُلْتُ : الْخَوْفُ . قَالَ : لَا خَوْفَ عَلَيْكَ أَنْتَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ ﷻ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ، قُلْتُ : هَلْ لِي سَبِيلٌ إِلَى مَنْزِلِي، وَاللَّهِ مَا أُرَانِي أَصِلُ إِلَى بَيْتِي حَيًّا حَتَّى أُلْفَى فَأُقْتَلَ أَوْ يُدْخَلُ عَلَيَّ مَنْزِلِي فَأُقْتَلُ، وَإِنَّ عِيَالِي لَفِي مَوَاضِعَ شَتَّى . قَالَ : فَاجْمَعْ عِيَالَكَ فِي مَوْضِعٍ، وَأَنَا أَبْلَغُ مَعَكَ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَبَلَغَ مَعِي، وَجَعَلَ يُنَادِي عَلَى أَنَّ حُوَيْطِبًا آمِنٌ فَلَا يُهَجْ، ثُمَّ انْصَرَفَ أَبُو ذَرٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ :" **أَوَلَيْسَ قَدْ أَمِنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرْتَ بِقَتْلِهِمْ ؟**" قَالَ : فَاطْمَأْنَنْتُ وَرَدَدْتُ عِيَالِي إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَعَادَ إِلَيَّ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ حَتَّى مَتَى ؟ وَإِلَى مَتَى ؟ قَدْ سَبَقْتَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا، وَفَاتَكَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَبَقِيَ خَيْرٌ كَثِيرٌ، فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَأَحْلَمُ النَّاسِ، شَرَفُهُ شَرَفُكَ، وَعِزُّهُ عِزُّكَ، قَالَ : قُلْتُ : فَأَنَا أَخْرُجُ مَعَكَ، فَآتِيهِ فَخَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْبَطْحَاءِ، وَعِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، فَوَقَفْتُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ كَيْفَ يُقَالُ إِذَا سُلِّمَ عَلَيْهِ؟ قَالَ : قُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقُلْتُهَا، فَقَالَ :" **وَعَلَيْكَ السَّلَامُ حُوَيْطِبُ** ". فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ**". قَالَ : وَسُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِي، وَاسْتَقْرَضَنِي مَالًا فَأَقْرَضْتُهُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَشَهِدْتُ مَعَهُ حُنَيْنًا وَالطَّائِفَ، وَأَعْطَانِي مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ مِائَةَ بَعِيرٍ [(١)] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٦٠٨٤) . وفي غزوة حنين هزم الله هوازن وثقيف، وبلغت غنائم حنين مبلغًا عظيمًا : ستة آلاف من السبي، ومن الإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة، فاستأنى رسول الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدهم، ولم يبادر بقسمة الغنائم، لرغبته ﷺ بإسلامهم، ثم إنه بعد ذلك بدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس : فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومئة من الإبل، قال: ابني يزيد، قال:" **أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً ومِئَةً مِنَ الإِبِلْ**". قال : ابني معاوية، قال :" **أَعْطُوهُ أَرْبَعِينَ أُوْقِيَّةً ومِئَةً مِنَ الإِبِلْ**". فأعطاه إياها، وأعطى حكيم بن حزام مئة من الإبل، ثم سأله مئةً أخرى، فأعطاه إياها، وأعطى=

www.saida-islam.weebly.com

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعُتْبَةَ وَمُعَتِّبٍ ابْنَيْ أَبِيْ لَهَبٍ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنهما، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي الْفَتْحِ، قَالَ لِي :" **يَا عَبَّاسُ أَيْنَ ابْنَا أَخِيكَ عُتْبَةُ وَمُعَتِّبٌ لَا أَرَاهُمَا ؟**" قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَنَحَّيَا فِيمَنْ تَنَحَّى مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ لِيَ :" **اذْهَبْ إِلَيْهِمَا وَأْتِنِي بِهِمَا**".

قَالَ الْعَبَّاسُ : فَرَكِبْتُ إِلَيْهِمَا بِعُرَنَةَ، فَأَتَيْتُهُمَا، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكُمَا، فَرَكِبَا مَعِي سَرِيعَيْنِ حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَسْلَمَا، وَبَايَعَا، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمَا، وَانْطَلَقَ بِهِمَا يَمْشِي بَيْنَهُمَا حَتَّى أَتَى بِهِمَا الْمُلْتَزَمَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ بَابِ الْكَعْبَةِ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، فَدَعَا سَاعَةً، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ .

=النضير بن الحارث بن كلدة، وأسيد بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وقيس بن عدي، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، والأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن، ومالك بن عوف، كلّ واحد منهم أعطاه مئةً من الإبل . وأعطى العلاء بن حارثة الثقفي، ومخرمة بن نوفل، وسعيد بن يربوع، وعثمان بن وهب، وهشام بن عمرو العامري، كلّ واحد منهم أعطاه خمسين من الإبل . وأعطى العباس بن مرداس أربعين من الإبل، ثم أتمَّ له رسول الله ﷺ مئة . والحكمة في إعطائه هؤلاء الزعماء ظاهرة في قوله ﷺ للأنصار :" **فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُم** ..". ثم لم يلبث ﷺ أن قدم عليه وفد هوازن مُسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ :" **أَحَبُّ الحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَينِ : إِمَّا السَّبيُ، وإِمَّا المَالُ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ** ". وقد كان رسول الله ﷺ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلمَّا تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير رادٍّ إليهم إلاَّ إحدى الطَّائفتين، قالوا : فإنَّا نختارُ سبينا، فسأل النَّاس أن يعيدوا لهم سبيهم فأعادوه . وهكذا ظهرت حكمته ﷺ في تقسيم هذه المغانم؛ إذ أصبح هؤلاء المؤلفة قلوبهم من قادة جيوش المسلمين في الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر؛ فمن ينسى مواقف عكرمة وصفوان وأبي سفيان بن حرب، وابنه يزيد بن أبي سفيان، في معارك اليرموك وفتوحات الشام . وانظر «الطبقات الكبرى لابن سعد» (١٥٢/٢) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ الْعَبَّاسُ : فَقُلْتُ لَهُ : سَرَّكَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ السُّرُورَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **نَعَمْ إِنِّي اسْتَوْهَبْتُ ابْنَيْ عَمِّي هَذَيْنِ رَبِّي، فَوَهَبَهُمَا لِي** ". قَالَ حَمْزَةُ بْنُ عُتْبَةَ: فَخَرَجَا مَعَهُ فِي فَوْرِهِ ذَلِكَ إِلَى حُنَيْنٍ، فَشَهِدَا غَزْوَةَ حُنَيْنٍ، وَثَبَتَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ فِيمَنْ ثَبَتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأُصِيبَ عَيْنُ مُعَتِّبٍ يَوْمَئِذٍ، وَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الرِّجَالِ بِمَكَّةَ بَعْدَ أَنْ فُتِحَتْ غَيْرُ عُتْبَةَ وَمُعَتِّبٍ ابْنَيْ أَبِي لَهَبٍ [(١)].

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزَّبَعْرَى

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيُّ، قَالَ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، هَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى[(٢)] وَهُبَيْرَةُ بْنُ وَهْبٍ الْمَخْزُومِيُّ، وَهُبَيْرَةُ يَوْمَئِذٍ زَوْجُ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى انْتَهَيَا جَمِيعًا إِلَى نَجْرَانَ، فَلَمْ يَأْمَنَا مِنَ الْخَوْفِ حَتَّى دَخَلَا حِصْنَ نَجْرَانَ، فَقِيلَ لَهُمَا : مَا وَرَاءَكُمَا ؟ فَقَالَا : أَمَّا قُرَيْشٌ فَقَدْ قُتِلَتْ، وَدَخَلَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ، وَنَحْنُ نُرَى أَنَّ مُحَمَّدًا سَائِرٌ إِلَى حِصْنِكُمْ هَذَا . فَجَعَلَتْ بِلْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ يُصْلِحُونَ مَا رَثَّ مِنْ حِصْنِهِمْ وَجَمَعُوا فَاشِيَتَهُمْ، فَأَرْسَلَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ أَبْيَاتًا يُرِيدُ بِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزِّبَعْرَى، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ الزِّبَعْرَى شِعْرُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ هَذَا تَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ، فَقَالَ لَهُ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ : أَيْنَ تُرِيدُ ابْنَ عَمٍّ ؟ قَالَ: أَرَدْتُ مُحَمَّدًا . قَالَ : تُرِيدُ أَنْ تَتَّبِعَهُ ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ . قَالَ : يَقُولُ

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦٠/٤) وابن جرير الطبري في تاريخه (٥٣٠/١١) .

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس القرشي السهمي الشاعر؛ أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمير بن جمح؛ وكان من أشد الناس على رسول الله ﷺ في الجاهلية، وعلى أصحابه بلسانه ونفسه؛ وكان يناضل عن قريش ويهاجي المسلمين، وكان من أشعر قريش، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه، واعتذر إلى رسول الله ﷺ فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد. وله في مدح النبي ﷺ أشعار كثيرة، ينسخ بها ما قد مضى من شعره في كفره . «أسد الغابة» ص (٨٠٦) و«الاستيعاب» (٢٧٢/١) . وقد أجمع الرواة أن ابن الزبعرى رضي الله عنه قال بعد إسلامه شعرًا كثيرًا حسنًا، يعتذر فيه إلى رسول الله ﷺ . وقال ابن كثير : كان من أكبر أعداء الإسلام، ومن الشعراء الذين استعملوا قواهم في هجاء المسلمين، ثُم منَّ الله عليه بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الإسلام، والقيام بنصره والذب عنه. «البداية والنهاية» (٣٥٤/٤).

www.saida-islam.weebly.com

هُبَيْرَةُ : يَا لَيْتَ أَنِّي كُنْتُ رَافَقْتُ غَيْرَكَ، وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ مُحَمَّدًا أَبَدًا . قَالَ ابْنُ الزِّبَعْرَى : فَهُوَ ذَاكَ، فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ نُقِيمُ مَعَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ وَأَتْرُكُ ابْنَ عَمِّي وَخَيْرَ النَّاسِ وَأَبَرَّ النَّاسِ، وَمَعَ قَوْمِي وَدَارِي أَحَبُّ إِلَيَّ . فَانْحَدَرَ ابْنُ الزِّبَعْرَى حَتَّى جَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **هَذَا ابْنُ الزِّبَعْرَى وَمَعَهُ وَجْهٌ فِيهِ نُورُ الْإِسْلَامِ** ". فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ رَسُولَ اللَّهِ، شَهِدْتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، فَقَدْ عَادَيْتُكَ وَأَجْلَبْتُ عَلَيْكَ، وَرَكِبْتُ الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ وَمَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ فِي عَدَاوَتِكَ، ثُمَّ هَرَبْتُ مِنْكَ إِلَى نَجْرَانَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَقْرَبَ الْإِسْلَامَ أَبَدًا، ثُمَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ مِنْهُ بِخَيْرٍ فَأَلْقَاهُ فِي قَلْبِي وَحَبَّبَهُ إِلَيَّ، فَذَكَرْتُ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضَّلَالَةِ وَاتِّبَاعِ مَا لَا يَنْفَعُ ذَا عَقْلٍ مِنْ حَجَرٍ يُعْبَدُ وَيُذْبَحُ لَهُ، لَا يَدْرِي مَنْ عَبَدَهُ وَلَا مَنْ لَا يَعْبُدُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْإِسْلَامِ، أَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَحُتُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ** ". قَالَ : وَأَقَامَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ بِنَجْرَانَ مُشْرِكًا حَتَّى مَاتَ بِهَا، وَأَسْلَمَتِ امْرَأَتُهُ أُمُّ هَانِئٍ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْفَتْحِ [(١)] .

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ

عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، قَالَ : أَنَا أَسَرْتُ الْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ، فَأَرَادَ أَمِيرُنَا ضَرْبَ عُنُقِهِ فَقُلْتُ : دَعْهُ نَقْدَمُ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلامِ، فَأَطَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلامَهُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ : تُكَلِّمُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ وَاللَّهِ لا يُسْلِمُ هَذَا آخِرَ الأَبَدِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ وَيَقْدَمُ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ . فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لا يُقْبِلُ عَلَى عُمَرَ حَتَّى أَسْلَمَ الْحَكَمُ . فَقَالَ عُمَرُ : فَمَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْته قَدْ أَسْلَمَ، وَأَخَذَنِي مَا تَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ؛ وَقُلْتُ : كَيْفَ أَرُدُّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَمْرًا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ أَقُولُ إِنَّمَا أَرَدْت بِذَلِكَ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ . قَالَ عُمَرُ : فَأَسْلَمَ وَاللَّهِ،

---

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه (٨٤٨/٢) وابن سعد في طبقاته (٣٩١/١) .

www.saida-islam.weebly.com

فَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاضٍ عَنْهُ، وَدَخَلَ الْجِنَانَ .

وعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ : قَالَ الْحَكَمُ : وَمَا الإِسْلامُ ؟ قَالَ :" **تَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ** ". قَالَ : قَدْ أَسْلَمْت . فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ :" **لَوْ أَطَعْتُكُمْ فِيهِ آنِفًا فَقَتَلْته، دَخَلَ النَّار** " [١] .

*****

(١) أخرجه الواقدي في مغازيه ص (١٦) وابن سعد في طبقاته (١٣٧/٤) من طريقه .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّانِيْ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأُمِّ أَبِيْ هُرَيْرَةَ بِدُعَائِهِ لَهَا بِالهِدَايَةِ مَعَ مَا صَدَرَ مِنْهَا مِنْ أَذَىً لَهُ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : **كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي**[١] **إِلَى الإِسْلاَمِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا، فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ**[٢]**، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإِسْلاَمِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ** [٣]**. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ** ". **فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ**[٤]**، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ**[٥]**، فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ . وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ**[٦]**، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ، وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا**[٧]**، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ**

---

(١) اسمها ميمونة بنت صبيح . «أسد الغابة» ص (٢٦٥/٧) .

(٢) أي شيئاً أكرهه من الكلام، أو أكره ذكره بين الأنام، من السب والشتم ونحو ذلك .

(٣) فيه ما ينبغي أن يكون المسلم عليه من الإقامة على دعوة الناس إلى الله ومواصلتها، وبخاصة الأقربين، وعدم اليأس من إيمانهم مهما صدر منهم من الإباء والتكذيب والإساءة؛ والاستعانة بالله ثم بأهل الفضل على دعوتهم والدعاء لهم؛ فإن لدعوة الأقربين أثراً في استجابتهم للداعي، حيث إنهم يعرفون الداعي قبل دعوته، فيكون ذلك أدعى لقبول دعوته والانقياد لها، لذلك ابتدأ الله أمر نبيه الكريم ﷺ في الدعوة بأمره بدعوة عشيرته الأقربين؛ فقال : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:١٢٤]؛ كما أن الدعوة إلى الخير هي من أبرِّ البرِّ، وأعرف المعروفات، والأقربون هم أولى الناس به .

(٤) أي مردود ومنه الحديث :" **أَجِيفُوا أَبْوَابَكُم** ". أي ردوها . «النهاية لابن الاثير» (٣١٧/١) .

(٥) أي صوت وقعهما بالأرض .

(٦) أي صوت تحريكه .

(٧) أي قميصها؛ وعجِلت عن خمارها، أي تركت خمارها من العجلة؛ والمعنى أنها بادرت إلى فتح الباب بعد لبسها الثياب قبل أن تلبس خمارها .

www.saida-islam.weebly.com

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[١]. قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِى مِنَ الْفَرَحِ. قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ . فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا [٢]. قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ- وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ". فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلاَ يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي [٣] .

*****

(١) قال النووي : وفيه استجابة دعاء رسول الله ﷺ على الفَور بعين المسؤول، وهو من أعلام نبوته ﷺ.

(٢) أي قولاً خيراً، أو كلاماً يتضمن خيراً، أو التقدير وصلت يا أبا هريرة خيراً بإسلام أمك .

(٣) رواه مسلم برقم (٦٥٥١) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ مِنْ قَتْلٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَبَيَانُ أَنَّ الغَايَةَ مِنَ القِتَالِ هِيَ الرَّحْمَةُ بِالنَّاسِ وَهِدَايَتُهُمْ

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ[١] مِنْ جُهَيْنَةَ؛ قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ[٢]، فَهَزَمْنَاهُمْ؛ قَالَ : وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ؛ قَالَ : فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . قَالَ : فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ. قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ . قَالَ : فَقَالَ لِي :" **يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**[٣]**؟!**" قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا[٤]. قَالَ :" **أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟!**" قَالَ : فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ[٥] [٦] .

---

(١) هُمْ بَطْن مِنْ جُهَيْنَة، قَالَ ابْن الْكَلْبِيّ : سُمُّوا بِذَلِكَ لِوَقْعَةٍ كَانَتْ بَيْنهمْ وَبَيْن بَنِي مُرَّة بْن عَوْف فَأَحْرَقُوهُمْ بِالسِّهَامِ لِكَثْرَةِ مَنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ، وَهَذِهِ السَّرِيَّة يُقَال لَهَا سَرِيَّة غَالِب بْن عُبَيْد اللَّه اللَّيْثِيّ، وَكَانَتْ فِي رَمَضَان سَنَة سَبْع فِيمَا ذَكَرَهُ ابْن سَعْد عَنْ شَيْخه، وَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاق فِي الْمَغَازِي .

(٢) أَيْ هَجَمُوا عَلَيْهِمْ صَبَاحًا قَبْل أَنْ يَشْعُرُوا بِهِمْ، يُقَال صَبَّحْته أَتَيْته صَبَاحًا بَغْتَةً .

(٣) قَالَ ابْن التِّين: فِي هَذَا اللَّوْم تَعْلِيم وَإِبْلاغ فِي الْمَوْعِظَة، حَتَّى لا يُقْدِم أَحَدٌ عَلَى قَتْل مَنْ تَلَفَّظَ بِالتَّوْحِيدِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: فِي تَكْرِيره ذَلِكَ وَالإِعْرَاض عَنْ قَبُول الْعُذْر زَجْر شَدِيد عَنِ الإِقْدَام عَلَى مِثْل ذَلِكَ .

(٤) وفِي الرِوَايَة الأخرى : **قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاح** . وَفِي رِوَايَة أخرى : **إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُحْرِز دَمَهُ** .

(٥) أَيْ أَنَّ إِسْلامِي كَانَ ذَلِكَ الْيَوْم، لأَنَّ الإِسْلام يَجُبُّ مَا قَبْله، فَتَمَنَّى أَنْ يَكُون ذَلِكَ الْوَقْتُ أَوَّلَ دُخُولِهِ فِي الإِسْلام لِيَأْمَن مِنْ جَرِيرَة تِلْكَ الْفَعْلَة، وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ لا يَكُون مُسْلِمًا قَبْل ذَلِكَ . وقال القرطبي : وكأنَّه استصغَرَ ما كان منه مِنَ الإسلامِ والعملِ الصالح قبل ذلك في جَنْب ما ارتكَبَ من تلك الجناية؛ لِمَا حصَلَ في نفسه من شدَّةِ إنكارِ النبيِّ ﷺ لذلك، وعِظَمِهِ . وقَالَ ابْن بَطَّال : كَانَتْ هَذِهِ الْقِصَّة سَبَب حَلِفِ أُسَامَةَ أَنْ لا يُقَاتِل مُسْلِمًا بَعْد ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَّ تَخَلَّفَ عَنْ عَلِيّ فِي الْجَمَل وَصِفِّينَ؛ وكان سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاص يَقُول: **لا أُقَاتِل مُسْلِمًا حَتَّى يُقَاتِلهُ أُسَامَة** . «فتح الباري» (١٢/١٩٦) و«شرح مسلم للنووي» (٢/١٠٤) و«المفهم للقرطبي» (١/٢٢٣) .

(٦) رواه البخاري برقم (٤٢٦٩) (٦٨٧٢) ومسلم برقم (٢٨٨) .

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً، فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **أَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ ؟!**". قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاَحِ. قَالَ :" **أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ** [(١)]". فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ [(٢)] .

---

(١) الْفَاعِل فِي قَوْله أَقَالَهَا هُوَ الْقَلْب، وَمَعْنَاهُ أَنَّك إِنَّمَا كُلِّفْت بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَمَا يَنْطِق بِهِ اللِّسَان، وَأَمَّا الْقَلْب فَلَيْسَ لَك طَرِيق إِلَى مَعْرِفَة مَا فِيهِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ امْتِنَاعه مِنَ الْعَمَل بِمَا ظَهَرَ بِاللِّسَانِ . وَقَالَ : أَفَلا شَقَقْت عَنْ قَلْبه لِتَنْظُرَ هَلْ قَالَهَا الْقَلْب وَاعْتَقَدَهَا وَكَانَتْ فِيهِ أَمْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ، بَلْ جَرَتْ عَلَى اللِّسَان فَحَسْب؛ يَعْنِي وَأَنْتَ لَسْت بِقَادِرٍ عَلَى هَذَا، فَاقْتَصِرْ عَلَى اللِّسَان فَحَسْب، يَعْنِي وَلا تَطْلُب غَيْره . وَقَوْله ﷺ :" **أَفَلا شَقَقْت عَنْ قَلْبه** ". فِيهِ دَلِيل لِلْقَاعِدَةِ الْمَعْرُوفَة فِي الْفِقْه وَالأُصُول أَنَّ الأَحْكَام يُعْمَل فِيهَا بِالظَّوَاهِرِ، وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر . «شرح مسلم للنووي» (١٠٧/٢). وَقَالَ ﷺ لِلَّذِي سَارَّهُ فِي قَتْل رَجُل :" **أَلَيْسَ يُصَلِّي ؟**" قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :" **أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيت عَنْ قَتْلهمْ**". وفِي بَعْض طُرُق حَدِيث أَبِي سَعِيد أَنَّ خَالِد بْن الْوَلِيد لَمَّا اسْتَأْذَنَ فِي قَتْل الَّذِي أَنْكَرَ الْقِسْمَة، وَقَالَ: كَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُول بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبه . فَقَالَ ﷺ :" **إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوب النَّاس** ". أَخْرَجَهُ مُسْلِم، وَالأَحَادِيث فِي ذَلِكَ كَثِيرَة .

(٢) رواه مسلم (٢٨٧) . وأخرج البخاري (٤٠١٩) ومسلم (٢٨٤) عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ فَقَالَ : أَسْلَمْتُ لِلَّهِ. أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لاَ تَقْتُلْهُ** ". قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا؛ أَفَأَقْتُلُهُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ** ". فيتبيَّنُ من هذا الحديث وحديث الباب وغيرهما أَنَّ الْمَقْصُودَ الأعلى مِنَ الْقِتَالِ هُوَ هِدَايَةُ النَّاسِ، وإِخْرَاجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وأَنَّ الْقِتَالَ لَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ، ولا مَا يُتَحَصَّلُ عَلَيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ النَّفِيسَةِ، لذلك لا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْكُفَّارِ بِالْقِتَالِ إِلاَّ بَعْدَ دَعْوَتِهِم إلى الإِسْلامِ، كَمَا قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" **مَا قَاتَلَ رَسُولُ الله ﷺ قَوْماً حَتَّى دَعَاهُمْ** ". رواه أحمد في مسنده (٢٠٥٣) والحاكم في المستدرك (٣٣) وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي. وكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَمِيْراً عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ عَلَى جَيْشٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى الله فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ خَيْراً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَبْدَأَ =

www.saida-islam.weebly.com

=بِدَعْوَةِ الْعَدُوِّ قَبْلَ قِتَالِهِمْ. رواه مسلم عن بريدة برقم (٤٦١٩) وأبو داوود برقم (٢٦١٢) واللفظ له؛ وأَرْسَلَ ﷺ عَلِيّاً رضي الله عنه إِلى قَوْمٍ وَأَمَرَهُ أَنْ لا يُقَاتِلَهُمْ حَتَّى يَدْعُوَهُمْ . رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك (٨٢٦٥) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن يحيى القرقساني وهو ثقة؛ وكَذَلِكَ قَالَ لِفَرْوَةَ الْغُطَيْفِيِّ حِيْنَمَا بَعَثَهُ إِلى قَوْمِهِ . رواه أحمد في مسنده عن فروة الغطيفي (٢٤٣٠٦) والترمذي وحَسَّنَهُ (٣٢٢٢) وحَسَّنَهُ ابن كثير في التفسير (٥٣٥/٣)؛ وكَانَ ﷺ إِذَا بَعَثَ بَعْثاً قَالَ :" **تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَلا تُغيرُوْا عَلَيْهِمْ حَتَّى تَدْعُوهُمْ، فَمَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إِلاَّ أَنْ تَأْتُونِي بِهِم مُسْلِمِيْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَأْتُونِي بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلادِهِمْ وَتَقْتُلُوْا رِجَالَهُمْ**". أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» عن عبد الرحمن بن عائذ (٧٠٥٧) وأبو نعيم في «المعرفة» (٤٦٨٢). ورُوِيَ عَنهُ ﷺ أَنَّهُ أُتِيَ بِأُسَارَى مِنَ اللاَّتِ والْعُزَّى، فَقَالَ :" **هَلْ دَعَوْتُمُوهُمْ إِلى الإِسْلامِ** ؟" فَقَالُوا : لا، فَقَالَ لَهُم :" **هَلْ دَعَوْكُمْ إِلى الإِسْلامِ** ؟"، فَقَالُوا : لا، قَالَ :" **خَلُّوا سَبِيْلَهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ** "؛ ثُمَّ قَرَأَ هَاتَيِن الآيَتَيِن: ﴿**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا**﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ**﴾ [الأنعام: ١٩] رواه البيهقي في السنن عن أبي بن كعب برقم (١٨٠١٢) وقال : روح ابن مسافر ضعيف. وأَنْكَرَ ﷺ قَتْلَ من لا يقف في طريق الدعوة، كالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ . ولَمَّا فتح ﷺ مكة، وتَمكَّن من أهلها الذين قاتلوه وأصحابه، وأخرجوهم من دياردهم، قَالَ لهم : "**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**". فخَرَجُوا فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلامِ. وقال لعليٍّ رضي الله عنه حينما بعثه إلى خيبر : "**فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا، خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** ". وتقدم الكلام على هذا الحديث. فالجِهَادُ بِالسَّيْفِ إِنَّمَا شُرِعَ لِفَتْحِ الطَّرِيْقِ أَمَامَ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وإِزَالَةِ الْعَوَائِقِ مِنْ طَرِيْقِهَا، ولَيْسَ مَقْصُوداً لِذَاتِهِ . قَالَ الخَطِيْبُ الشِّرْبِيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : وُجُوبُ الْجِهَادِ – أَيِ القِتَالِ – وُجُوبُ الوَسَائِلِ لا الْمَقَاصِدِ، إِذِ الْمَقْصُودُ بالقِتَالِ إِنَّمَا هُوَ الْهِدَايَةُ ومَا سِوَاهَا مِنَ الشَّهَادَةِ، وأَمَّا قَتْلُ الكُفَّارِ فَلَيْسَ بِمَقْصُودٍ، حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ الْهِدَايَةُ بِإِقَامَةِ الدَّلِيْلِ بِغَيْرِ جِهَادٍ كَانَ أَوْلَى مِنَ الْجِهَادِ «مغني المحتاج» (٢٧٧/٤) . وقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ لِلْجِهَادِ أَغْرَاضاً وأَهْدَافاً جُزْئِيَّةً كَثِيرَةً، ولَكِنَّ الْهَدَفَ الأَسَاسِيَّ وَرَاءَ تَشْرِيْعِ الجِهَادِ حَسَبَ مَا تَدُلُّ عَلَيهِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ هُوَ إِعْزَازُ الإِسْلامِ، وإِعْلاءُ كَلِمَةِ اللهِ وكَسْرُ شَوْكَةِ الْكُفْرِ والْكُفَّارِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ فِي التَّارِيخِ أَقْوَى سَبَبٍ لِشُيُوعِ الظُّلْمِ والْفِتْنَةِ والْفَسَادِ، وأَكْبَرَ مَانِعٍ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ والإِصْغَاءِ إِلَى الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ؛ ولَمْ يُشْرَعِ الجِهَادُ لإِكْرَاهِ النَّاسِ عَلَى قَبُولِ الإِسْلامِ، ولَوْ كَانَ الجِهَادُ هَدَفُهُ الإِكْرَاهُ عَلَى الدِّينِ لَمَا شُرِعَتِ الجِزْيَةُ لإِنْهَاءِ الْحَرْبِ، ولَمْ يَرِدْ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوبِ الجِهَادِ عَلَى كَثْرَتِهَا عَبْرَ التَّارِيخِ، أَنَّ أَحَداً مِنَ الْكُفَّارِ أُكْرِهَ عَلَى قَبُولِ الإِسْلامِ بَعْدَمَا فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ بَلَداً مِنَ الْبِلادِ، وإِنَّمَا تُرِكَ الْكُفَّارُ ومَا يَدِيْنُونَ، ثُمَّ جَاءَتِ الدعوةُ الإِسْلامِيَّةُ مَصْحُوبَةً=

www.saida-islam.weebly.com

وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ﷺ، قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ؛ وَإِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قَالَ : وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ، كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ : "**لِمَ قَتَلْتَهُ** " . قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا – وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا –؛ وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ[1]، قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**أَقَتَلْتَهُ**". قَالَ : نَعَمْ. قَالَ :" **فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ :" **وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". قَالَ : فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ :" **كَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " [2] .

*****

=بِالْحُجَّةِ والبُرْهَانِ، وبِالسِّيَرِ الْفَاضِلَةِ والأَخْلاقِ الْكَرِيمَةِ وَالأَعْمَالِ الْجَاذِبَةِ، فَتَسَارَعَ الْكُفَّارُ إِلى الإِسْلامِ بَعْدَ اقْتِنَاعِهِمْ بِحَقِيقَتِهِ وَاسْتِيْقَانِهِمْ بِحُسْنِ تَعَالِيْمِهِ، دُوْنَ أَنْ يُكْرِهَهُمْ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا شُرِعَ الجِهَادُ لِتَعْلُوَ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى أَرْضِ اللهِ، ويَكُونَ لَهَا العِزُّ والْمَنَعَةُ، ولِيَكْسِرَ شَوْكَةَ الجَبَّارِينَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُوْنَ عِبَادَ اللهِ بِأَحْكَامِهِمْ وقَوَانِينِهِمُ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ آرَائِهِمْ، ويَأْبَوْنَ أَنْ يُقَامَ حُكْمُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، ويُشِيعُونَ بِقُوَّةِ حُكْمِهِمْ كُلَّ ظُلْمٍ ومُنْكَرٍ وفَسَادٍ، وهَذَا هُوَ الْهَدَفُ الَّذِي بَاحَ بِهِ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ﷺ أَمَامَ رُسْتُمَ حِينَ هَجَمَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى إِيْرَانَ وسَأَلَهُ رُسْتُمُ : مَا جَاءَ بِكُمْ ؟ فَقَالَ :" **اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ** ". «البداية والنهاية» (٣٩/٧) و«تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) . «تكملة فتح الملهم» لمحمد تقي العثماني (٤/٣ – ١١) .

(١) يُجْمَع بين هذا وبين قوله في الرواية السابقة : «فَأَدْرَكْت رَجُلاً فَطَعَنْته بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْته» بِأَنَّهُ رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْف أَوَّلاً، فَلَمَّا لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ ضَرْبِه بِالسَّيْفِ طَعَنَهُ بِالرُّمْحِ .

(٢) رواه مسلم برقم (٢٨٩) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ الكِتَابِ بِإِرْسَالِ الدُّعَاةِ إِلَيهِمْ وَوَصِيَّتِهِ إِيَّاهُمْ بِأَخْلَاقِ الإِسْلَامِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ[١] حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ : **"إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ[٢]، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ**

---

(١) هو مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْأَنْصَارِيُّ ثُمَّ الْخَزْرَجِيُّ، شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ، إِمَامُ الْفُقَهَاءِ، وَكَبِيرُ الْعُلَمَاءِ، كَانَ مِنْ أَفْضَلِ شَبَابِ الْأَنْصَارِ حِلْمًا وَحَيَاءً، وَبَذْلًا وَسَخَاءً، وَضِيءَ الْوَجْهِ، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، بَرَّاقَ الثَّنَايَا، جَمِيلًا وَسِيمًا، أَرْدَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ، فَكَانَ رَدِيفَهُ، وَشَيَّعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَاشِيًا فِي مَخْرَجِهِ إِلَى الْيَمَنِ وَهُوَ رَاكِبٌ، وَتُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْيَمَنِ، وَلَمْ يُعَقِّبْ، وَهُوَ أحد السَّبعينَ الذين شَهِدوا العَقبةَ من الأنصار، وآخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بينه وبين عَبدِ اللهِ بن مَسْعُود. وبَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قاضياً إِلَى الجند من اليمن، يُعَلِّمُ الناس القرآن وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، وجعل إِلَيْهِ قبض الصدقات من العمّال الذين باليمن؛ وَقَالَ رَسُول اللَّهِ ﷺ :" **أَعْلَمُهُم بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**". وقال ﷺ :" **يَأْتِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمَامَ العُلَمَاءِ** ". وعن فروة الأشجعي، قَالَ : كنت جالسا مع ابْن مَسْعُود، فَقَالَ : **إِنَّ مُعَاذاً كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ** . فقلت : يَا أَبَا عَبْد الرَّحْمَنِ، إنما قَالَ الله تعالى : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّه حنيفا . فأعاد قوله : إن معاذاً، فلما رأيته أعاد عرفت أَنَّهُ تعمد الأمر، فسكتُّ. فقال : **أَتَدْرِي مَا الأُمَّةُ؟ وَمَا القَانِتُ** ؟ قلت : الله أعلم. قال : **الأُمَّةُ الَّذِي يُعَلِّمُ الخَيرَ وَيُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَى، وَالقَانِتُ المُطِيعُ لِلَّهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ مُعَلِّماً لِلخَيرِ مُطِيعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ** . وقال المدائني: مات مُعَاذ بْن جبل بناحية الأردن فِي طاعون عمواس شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ عُمَرَ، سنة ثمان عشرة، وَهُوَ ابْن ثمان وثلاثين سنة. «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٤٣١) و«الاستيعاب» (١٤٠٧).

(٢) قَالَ الإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا حَصَلَ مَنْ يَقُومُ بِالدِّينِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَوِ الأُمَرَاءِ أَوْ مَجْمُوعِهِمَا، كَانَ بَيَانُهُ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ شَيْئًا فَشَيْئًا بِمَنْزِلَةِ بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَا بُعِثَ بِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لا يُبَلِّغُ إِلاَّ مَا أَمْكَنَ عِلْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَلَمْ تَأْتِ الشَّرِيعَةُ جُمْلَةً، كَمَا يُقَالُ : **إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُطَاعَ فَأْمُرْ بِمَا يُسْتَطَاعُ**، فَكَذَلِكَ الْمُجَدِّدُ لِدِينِهِ وَالْمُحْيِي لِسُنَّتِهِ، لا يُبَلِّغُ إِلاَّ مَا أَمْكَنَ عِلْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، كَمَا أَنَّ الدَّاخِلَ فِي الإِسْلامِ لا يُمْكِنُ حِينَ دُخُولِهِ أَنْ يُلَقَّنَ جَمِيعَ شَرَائِعِهِ وَيُؤْمَرَ بِهَا كُلِّهَا؛ وَكَذَلِكَ التَّائِبُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمُتَعَلِّمُ وَالْمُسْتَرْشِدُ لا يُمْكِنُ فِي أَوَّلِ الأَمْرِ أَنْ يُؤْمَرَ بِجَمِيعِ الدِّينِ، وَيُذْكَرَ لَهُ جَمِيعُ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ لا يُطِيقُ ذَلِكَ، وَإِذَا لَمْ يُطِقْهُ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا لَمْ يَكُنْ لِلْعَالِمِ وَالأَمِيرِ أَنْ يُوجِبَهُ جَمِيعَهُ ابْتِدَاءً، بَلْ يَعْفُو عَنِ الأَمْرِ وَالنَّهْيِ بِمَا لا يُمْكِنُ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ =

www.saida-islam.weebly.com

عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ(١)، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ(٢) " (٣) .

=إلى وَقْتِ الإمْكَانِ، كَمَا عَفَا الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا عَفَا عَنهُ إلى وَقْتِ بَيَانِهِ، وَلا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ بَابِ إقْرَارِ الْمُحَرَّمَاتِ وَتَرْكِ الأَمْرِ بالْوَاجِبَاتِ، لأَنَّ الْوُجُوبَ وَالتَّحْرِيْمَ مَشْرُوطٌ بإمْكَانِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَقَدْ فَرَضْنَا انتِفَاءَ هَذَا الشَّرْطِ؛ فَتَدَبَّرْ هَذَا الأصْلَ فَإِنَّهُ نَافِعٌ . «مجموع الفتاوى» (٢٠/٥٩) .

(١) الْكَرَائِمُ جَمْعُ كَرِيمَةٍ؛ قَالَ صَاحِبُ الْمَطَالِعِ : هِيَ جَامِعَةُ الْكَمَالِ الْمُمْكِنِ فِي حَقِّهَا، مِنْ غَزَارَةِ لَبَنٍ، وَجَمَالِ صُورَةٍ، أَوْ كَثْرَةِ لَحْمٍ أَوْ صُوفٍ .

(٢) أَيْ أَنَّهَا مَسْمُوعَةٌ لَا تُرَدُّ، كما روى أحمد في مسنده (١٢٥٤٩) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ** ". وَفِيهِ أَنَّ السُّنَّةَ أَنَّ الْكُفَّارَ يُدْعَوْنَ إِلَى التَّوْحِيدِ قَبْلَ الْقِتَالِ. «شرح مسلم للنووي» (١/١٩٧).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٩٥) و(١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩) . وفي الحديث بيان ما كان عليه المصطفى ﷺ من الرحمة بالخلق، والسعي لهدايتهم، وبيان أن المقصود من إرسال البعوث والسرايا إلى شعوب العالم هو هدايتهم إلى الصراط المستقيم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وليس القتال مقصوداً لذاته، ولا يشرع أصلاً إلَّا في حال الضرورة، كما جاء في صحيح مسلم (١٧٣١) وسنن أبي داوود (٢٦١٢) واللفظ له، عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "**إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا وَاخْتَارُوا دَارَهُمْ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يُجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ نَصِيبٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَقَاتِلْهُمْ** ". وفي رواية لأبي داوود (٢٦٢٤) عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**".

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِتَجْوَالِهِ عَلَى أُمَّتِهِ بِاللَّيْلِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ خَطَرِ الآخِرَةِ

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ(١)، فَقَالَ : "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ(٢)، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ(٣)، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ** (٤)". قَالَ أُبَيٌّ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ(٥)، فَكَمْ

---

(١) جاء في رواية : إِذَا ذَهَبَ رُبُعُ اللَّيلِ . وفي رواية أخرى : إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيلِ . ولا تعارض بينها، فيحمل على تعدد هذا الفعل وتكرره منه ﷺ لشدة رحمته ﷺ بأمته، وزيادة خوفه عليهم، فقد رأى ما لم يروه؛ وأدرك ما لم يدركوه، فكان ﷺ أرحم بأمته من الوالدة بولدها، فما ترك خيراً إلاَّ ودلَّهم عليه، ولا شرّاً إلاَّ وحذرهم منه؛ كما قال ﷺ : "**لَيسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى الجَنَّةِ إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُم بِهِ، وَلَا عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُم عَنْهُ** ". أخرجه الحاكم في المستدرك (٢١٣٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه . وأخرج الطبراني في الكبير (١٦٤٧) عن أبي ذر رضي الله عنه قال : تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ومَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيهِ في الهَوَاءِ إِلاَّ وهو يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا . قَالَ : فَقَالَ ﷺ :" **مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ** ". قال الهيثمي : رجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد ابن عبد الله بن يزيد الْمقرئ وهو ثقة.

(٢) أَرَادَ بِهِ النَّائِمِينَ الْغَافِلِينَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، يُنَبِّهُهُمْ عَنِ النَّوْمِ لِيَشْتَغِلُوا بِذِكْرِ اللَّهِ ﷻ وَالتَّهَجُّدِ . وجاء في رواية الحاكم : "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ** ...". وذلك لزيادة التأكيد على أهمية الأمر وخطورته .

(٣) قَالَ فِي «النِّهَايَةِ» : «الرَّاجِفَةُ» : النَّفْخَةُ الأُولَى الَّتِي يَمُوتُ لَهَا الْخَلائِقُ . وَ«الرَّادِفَةُ» : النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي يَحْيَوْنَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَأَصْلُ الرَّجْفِ الْحَرَكَةُ وَالاضْطِرَابُ اه . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ** ﴾ . وَعَبَّرَ بِصِيغَةِ الْمُضِيِّ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِهَا، فَكَأَنَّهَا جَاءَتْ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَارَبَ وُقُوعُهَا، فَاسْتَعِدُّوا، لِتَهْوِيلِ أَمْرِهَا .

(٤) أَيْ مَا فِيهِ مِن الشَّدَائِدِ الْكَائِنَةِ فِي حَالَةِ النَّزْعِ وَالْقَبْرِ وَمَا بَعْدَهُ؛ والتَّكْرَارُ لِلتَّأْكِيدِ .

(٥) الصلاة من العبد على النبي ﷺ هي ثناءٌ عليه، وتنويهٌ به، وإشارةٌ لِمحاسنه ومناقبه، وطلبٌ من الله أن يعليَ ذكره، ويزيده تعظيماً وتشريفاً؛ ولهذا كان الجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله، بأن يثني عليه، ويزيد تشريفه وتكريمه . واختلف العلماء في معنى=

www.saida-islam.weebly.com

أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي[١]؟ فَقَالَ :" **مَا شِئْتَ** ". قَالَ : قُلْتُ : الرُّبُعَ [٢]؟ قَالَ :" **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** ". قُلْتُ : النِّصْفَ ؟ قَالَ :" **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**". قَالَ : قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ ؟ قَالَ :" **مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ** ". قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا[٣]؟ قَالَ :" **إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ[٤]، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ** " [٥] .

=الصلاة منه ﷻ على أقوال : **أحدها** : أنها رحمته . قال الضحاك: **صَلَاةُ اللهِ رَحْمَتُهُ، وصَلَاةُ المَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ**؛ وفي سنن الترمذي روى عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: **صَلَاةُ الرَّبِّ الرَّحْمَةُ، وصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الِاسْتِغْفَارُ**. **والقول الثاني: أَنَّ صَلَاةَ اللهِ مَغْفِرَتُهُ**. قاله الضَّحَّاك. **والقول الثالث: أَنَّ صَلَاةَ اللهِ ﷻ ثَنَاؤُهُ عَلَيهِ، وصَلَاةَ المَلَائِكَةِ عَلَيهِ الدُّعَاءُ**. ذكره البخاري في صحيحه (٤٧٩٧) عن أبي العالية. ورجَّحه ابن القيم في «جلاء الأفهام» . ص (١٥٩ – ١٦٠) «فتح الباري» (١١/١٥٦) وقالَ الْحَلِيمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَمَّا الصَّلَاةُ باللِّسَانِ فَهِيَ التَّعْظِيمِ؛ فَإِذَا قُلْنَا : اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، فَإِنَّمَا نُرِيدُ بِهِ اللهُمَّ عَظِّمْ مُحَمَّدًا فِي الدُّنْيَا بِإِعْلَاءِ ذِكْرِهِ، وَإِظْهَارِ دَعْوَتِهِ، وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ، وَإِجْزَالِ أَجْرِهِ وَمَثُوبَتِهِ، وَإِبْدَاءِ فَضْلِهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى كَافَّةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي الْيَوْمِ الْمَشْهُودِ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ وَإِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، فإنَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا ذَو دَرَجَاتٍ وَمَرَاتِبَ، فَقَدْ يَجُوزُ إِذَا صَلَّى عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ دُعَاؤُهُ فِيهِ أَنْ يَزْدَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ الدُّعَاءِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا سَمَّيْنَا رُتْبَةً وَدَرَجَةً، وَلهذا كَانَتِ الصَّلَاةُ عليه مِمَّا يُقْصَدُ بِهَا قَضَاءُ حَقِّهِ، وَيُتَقَرَّبُ بِإِكْثَارِهَا إِلَى اللهِ ﷻ «شعب الإيمان» (٣/١٤٣-١٤٤) .

(١) أَيْ بَدَلَ دُعَائِي الَّذِي أَدْعُو بِهِ لِنَفْسِي؛ قَالَهُ الْقَارِي . وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ : مَعْنَاهُ أُكْثِرُ الدُّعَاءَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَك مِنْ دُعَائِي صَلاةً عَلَيْك .

(٢) أَيْ أَجْعَلُ رُبُعَ أَوْقَاتِ دُعَائِي لِنَفْسِي مَصْرُوفًا لِلصَّلاةِ عَلَيْك .

(٣) أَيْ أَصْرِفُ بِصَلاتِي عَلَيْك جَمِيعَ الزَّمَنِ الَّذِي كُنْت أَدْعُو فِيهِ لِنَفْسِي .

(٤) الْهَمُّ مَا يَقْصِدُهُ الإِنْسَانُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، يَعْنِي إِذَا صَرَفْت جَمِيعَ أَزْمَانِ دُعَائِك فِي الصَّلاةِ عَلَيَّ، أُعْطِيت مَرَامَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

(٥) رواه الترمذي في سننه عن الطفيل بن أبي عن أبيه (٢٤٥٧) وقال : حديث حسن صحيح. والحاكم في المستدرك (٣٥٧٨) وقال : صحيح الإسناد؛ ووافقه الذهبي . وقد جاء في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ أحاديث كثيرة؛ منها : ما أخرجه أحمد في مسنده (١١٩٩٨) والنسائي في =

www.saida-islam.weebly.com

وفي رِوَايَةٍ عَنهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلاَتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ . قَالَ :" **إِذاً يَكْفِيَكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ** " [١] .

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ :" **سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ**[٢]**؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجَرِ**[٣]،

=سننه (١٢٩٧) واللفظ له، وصحَّحه ابن حبان (٩٠٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَة، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَات، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ** ". وأخرج الطبراني في الكبير (٢٨١٨) عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيْقَ الْجَنَّةِ** ". ورواه ابن ماجه بنحوه (٩٠٨). وأخرج الديلمي في مسنده بسند حسن (٣١/١) عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِي مَلَكاً عِنْدَ قَبْرِي، فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلَك : يَا مُحَمَّد، إِنَّ فُلاَنَ بْنَ فُلاَنٍ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ**". وأخرج الطبراني كما في مجمع الزوائد (١٢٠/١٠) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِيْنَ يُصْبِحُ عَشْراً، وَحِيْنَ يُمْسِي عَشْراً، أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد ورجاله وُثِّقُوا . وأخرج الطبراني في الأوسط (٧٢١) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :" **كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ، حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِ مُحَمَّدٍ** ". وقال المنذري والهيثمي : رجاله ثقات. وأخرج الترمذي في سننه وحسَّنه (٤٨٤) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً** ". وروى الترمذي في سننه (٣٤٧٦) وحسَّنه، والنسائي في سننه (١٢٨٤) عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "**عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاْحمِد اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ**". قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخر بَعْدَ ذَلِكَ، فَحَمِدَ اللهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **أَيُّهَا الْمُصَلِّي! ادْعُ تُجَبْ** ".

(١) رواه أحمد في مسنده (٢١٢٤٢) وقال المنذري في الترغيب : وإسناد هذه جيد .

(٢) يُرِيدُ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ، مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ الَّتِي لَا تَنْفَدُ، يُرِيدُ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ دِيَارِ الْكُفْرِ وَالِاتِّسَاعَ فِي الْمَالِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) صَوَاحِبُ : جَمْعُ صَاحِبَةٍ؛ وَالْحُجَرُ ههنا : الْبُيُوتُ؛ أَرَادَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُوقِظْنَ لِلصَّلَاةِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا، وَلِئَلَّا يَكُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ فِيهَا . «التمهيد لابن عبد البر» (٤٤٩/٢٣) .

www.saida-islam.weebly.com

فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ[١]" [٢].

*****

(١) ربَّ هنا للتكثير، وإن كان أصلها للتقليل؛ و(كَاسِيَةٍ فِي الدُّنيَا) من أنواع الثياب، (عَارِيَةٍ) بجره صفة كاسية ورفعه خبر مبتدأ محذوف، أي هي عارية من أنواع الثواب (فِي الآخِرَةِ) لعدم العمل؛ وقيل : عارية في شكر المنعم . قال الطيبي : أثبت لهنَّ الكسوة ثم نفاها، لأن حقيقة الاكتساء ستر العورة : أي الحسية أو المعنوية، فما لم يتحقق الستر فكأنه لا اكتساء؛ وهذا وإن ورد على أزواج المصطفى ﷺ فالعبرة بعموم اللفظ؛ وفيه ضرورة نشر العلم، ومشروعية التذكير بالليل، وأن الصلاة تنجي من الفتن، وتعصم من المحن؛ والتحذير من نسيان شكر المنعم. «فيض القدير» (٤/٨٥) .

(٢) رواه البخاري برقم (١١٥). وفي الحديث كمال رحمته ﷺ بأمته، وشدة اهتمامه بأمورهم ومصالحهم في معاشهم ومعادهم، حيث يقوم في الليل لتنبيههم لِما فيه صلاحهم وفلاحهم ونجاتهم؛ وأخرج البخاري (١١٢٧) و(٧٣٤٧) ومسلم (٢٠٦) عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَقَالَ :" **أَلا تُصَلِّيَانِ** ". .. ومَعْنَى طرقه : أَتَاهُ لَيْلًا؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَعَهُّدُه ﷺ رَعِيَّتَهُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وكذلك ينبغي أن يكون حال الأمة من بعده، وبخاصة أولي الأمر من العلماء والأمراء، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلنَّاصِحِ إِذَا لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ أَوِ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ بِمَا لَا يَرْتَضِيهِ أَنْ يَنْكَفَّ وَلَا يُعَنِّفَ إِلَّا لمصلحة . «شرح مسلم للنووي» (٦/٦٥) .

www.saida-islam.weebly.com

\ دالحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِادِّخَارِ دَعْوَتِهِ شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ يَومَ القِيَامَةِ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ يَومَ القِيَامَةِ

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ قَالَ خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا لَهُ دَعْوَةٌ قَدْ تَنَجَّزَهَا فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي قَدِ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي**(١)؛ **وَأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ**(٢)، **وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ**(٣)، **وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ**(٤)، **آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي وَلَا فَخْرَ؛ وَيَطُولُ**

---

(١) جاء في رواية أخرى عند البخاري (٤٧٤٧) ومسلم (١٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا**". وفي رواية : "**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ**". قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذه الاحاديث تفسر بعضها بعضاً، ومعناها أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَهُ دَعْوَةٌ مُتَيَقَّنَةُ الْإِجَابَةِ، وَهُوَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، وَأَمَّا بَاقِي دَعَوَاتِهِمْ فَهُمْ عَلَى طَمَعٍ مِنْ إِجَابَتِهَا، وَبَعْضُهَا يُجَابُ وَبَعْضُهَا لَا يُجَابُ، وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ لِأُمَّتِهِ؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِهِمْ وَاعْتِنَائِهِ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمُ الْمُهِمَّةِ، فأخَّر النبيُّ ﷺ دَعْوَتَهُ لِأُمَّتِهِ إِلَى أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِهِمْ . «شرح مسلم للنووي» (٣/٧٤).

(٢) جاء في رواية أخرى :" **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَمَا لاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟** .. الحديث .

(٣) أي لا فخر لي بالعطاء بل المعطي «فيض القدير» (٣/٤٢) .

(٤) أي عَلَمُهُ، والعَلَمُ في العرصات مقامات لأهل الخير والشر، ينصب في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدره، وأعلى تلك المقامات الحمد. «فيض القدير» (٣/٤٢)؛ وقال التوربشتي: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد، ودونه تنتهي سائر المقامات، ولَمَّا كان نبينا ﷺ أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرون، وإليه أشار بقوله :" **آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحتَ لِوَائِي** ". ولهذا المعنى افتتح كِتابه بالحمد، واشتق اسمه من الحمد، فقيل: محمَّد وأحمد، وأقيم يوم القيامة المقام المحمُود، ويفتح عليه في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على أحد قبْلَهُ ولا بعده، ونَعَتَ أمَّته في الكتب الحمادُون. «قوت المغتذي للسيوطي» (٢/٧٨١) .

www.saida-islam.weebly.com

يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَلَى النَّاسِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ[١] لِبَعْضٍ : انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ، فَلْيَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا ﷻ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ ﷺ فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ[٢]، إِنِّي قَدْ أُخْرِجْتُ مِنَ الْجَنَّةِ بِخَطِيئَتِي، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا رَأْسَ النَّبِيِّينَ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي دَعَوْتُ بِدَعْوَةٍ أَغْرَقَتْ أَهْلَ الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي كَذَبْتُ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَاثَ كِذْبَاتٍ، وَاللَّهِ إِنْ حَاوَلَ بِهِنَّ إِلَّا عَنْ دِينِ اللَّهِ[٣]، قَوْلُهُ : ﴿ سَقِيمٌ ﴾ وَقَوْلُهُ : ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾، وَقَوْلُهُ

---

(١) جاء في رواية في الصحيح أن الَّذِي يَطْلُبُ الشَّفَاعَةَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ . وفي رواية قال :" **إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ الصِّرَاطَ إِذْ جَاءَ عِيسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَ لِتَدْعُوَ اللَّهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ** ". فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ تَعْيِينَ مَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَئِذٍ، وَأَنَّ هَذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلِّهِ يَقَعُ عِنْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَأَنَّ عِيسَى عليه السلام هُوَ الَّذِي يُخَاطِبُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ جَمِيعًا يَسْأَلُونَهُ فِي ذَلِكَ؛ وَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي نُزُولِ الْقُرْآنِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَفِيهِ :" **وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام ". وَوَقَعَ فِي رِوَايَةٍ عِنْد ابن الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ :" **فَيَأْذَنُ اللَّهُ لِي فَأَقُومُ فَيَثُورُ مِنْ مَجْلِسِي أَطْيَبُ رِيحٍ شَمَّهَا أَحَدٌ** ".

(٢) وفي رواية :" **لَسْتُ لَهَا** ". قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : هذا يقولونه تواضعاً واكباراً لما يسألونه، قَالَ: وَقَدْ تَكُونُ إِشَارَةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ وَهَذَا الْمَقَامَ لَيْسَ لَهُ بَلْ لِغَيْرِهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدُلُّ عَلَى الْآخَرِ حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى صَاحِبِهِ؛ قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ صَاحِبَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ مُعَيَّنًا، وَتَكُونُ إِحَالَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى الْآخَرِ عَلَى تَدْرِيجِ الشَّفَاعَةِ فِي ذَلِكَ إِلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ . وَأَمَّا مُبَادَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ لذلك واجابته لِدَعْوَتِهِمْ فَلِتَحَقُّقِهِ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الْكَرَامَةَ وَالْمَقَامَ لَهُ ﷺ خَاصَّةً هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. «شرح مسلم للنووي» (٣/٥٦) .

(٣) جاء في رواية :" **مَا مِنْهَا كِذْبَةٌ إِلَّا مَاحَلَ بِهَا عَنْ دِينِ اللَّهِ** ". وَمَاحَلَ بِمَعْنَى جَادَلَ. وقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الْحَقُّ أَنَّ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثَ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلَامِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ الْكَذِبِ=

www.saida-islam.weebly.com

لِامْرَأَتِهِ حِينَ أَتَى عَلَى الْمَلِكِ: أُخْتِي؛ وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عليه السلام الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَامِهِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَكَلَّمَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ : لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ، وَإِنَّهُ لَا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَيَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لا يُهِمُّنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وِعَاءٍ مَخْتُومٍ عَلَيْهِ أَكَانَ يُقْدَرُ عَلَى مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُفَضَّ الْخَاتَمُ ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا؛ قَالَ : فَيَقُولُ : إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ، وَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ[1]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَلْيَقْضِ بَيْنَنَا، فَأَقُولُ : أَنَا لَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ عز وجل لِمَنْ شَاءَ وَيَرْضَى[2] .

=أَشْفَقَ مِنْهَا اسْتِصْغَارًا لِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ مَعَ وُقُوعِهَا، لِأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِاللَّهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً كَانَ أَعْظَمَ خَوْفًا .

(١) قَالَ عِيَاضٌ : اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ . فَقِيلَ: الْمُتَقَدِّمُ مَا قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَالْمُتَأَخِّرُ الْعِصْمَةُ؛ وَقِيلَ مَا وَقَعَ عَنْ سَهْوٍ أَوْ تَأْوِيلٍ؛ وَقِيلَ الْمُتَقَدِّمُ ذَنْبُ آدَمَ وَالْمُتَأَخِّرُ ذَنْبُ أُمَّتِهِ؛ وَقِيلَ الْمَعْنَى أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ غَيْرُ مُؤَاخَذٍ لَوْ وَقَعَ؛ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. قُلْتُ: وَاللَّائِقُ بِهَذَا الْمَقَامِ الْقَوْلُ الرَّابِعُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَلَا يَتَأَتَّى هُنَا وَيُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِ عِيسَى فِي حَقِّ نَبِيِّنَا هَذَا وَمِنْ قَوْلِ مُوسَى فِيمَا تَقَدَّمَ إِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ وَإِنْ يُغْفَرْ لِيَ الْيَوْمَ حَسْبِي مَعَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ وَمَنْ لَمْ يَقَعْ شَيْءٌ أَصْلًا فَإِنَّ مُوسَى عليه السلام مَعَ وُقُوعِ الْمَغْفِرَةِ لَهُ لَمْ يَرْتَفِعْ إِشْفَاقُهُ مِنَ الْمُؤَاخَذَةِ بِذَلِكَ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ تَقْصِيرًا عَنْ مَقَامِ الشَّفَاعَةِ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ بِخِلَافِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَمِنْ ثَمَّ احْتَجَّ عِيسَى بِأَنَّهُ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُهُ بِذَنْبٍ لَوْ وَقَعَ مِنْهُ . «فتح الباري» (١١/٤٣٥) .

(٢) هذا هو المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز، وهُوَ الشَّفَاعَةُ الْعَامَّةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ، كَمَا قَالَ ﷺ : "**الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الشَّفَاعَةُ** ". رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (١٠٢٠٠) =

www.saida-islam.weebly.com

فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَصْدَعَ[١] بَيْنَ خَلْقِهِ، نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ، فَنَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ، نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرَجُ لَنَا الْأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، فَنَمْضِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ، فَتَقُولُ الْأُمَمُ: كَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا[٢]؛ فَنَأْتِي بَابَ الْجَنَّةِ، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَقْرَعُ الْبَابَ، فَيُقَالُ : مَنْ

=وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٤١) . وكَمَا جاء في حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :" **فَيَشْفَعُ لِيَقْضِيَ بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِيْ حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ، فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ** ". رواه البخاري برقم (١٤٧٥). وعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : "**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَقُولَ، فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ** ". رواه أحمد في مسنده (١٥٧٨٣) والطبراني في الكبير (١٤٢) وابن حبان في صحيحه (٦٤٧٩) والحاكم في المستدرك (٣٣٨٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح .

(١) أَيْ فَلَمَّا يُرِيدُ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ ويَبْدَأَ في حِسَابِهِم، يُنَادِي مُنَادٍ : أَيْنَ أَحْمَدُ وأُمَّتُهُ، فَهُمْ أَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، وأَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصِّرَاطَ، كَمَا في رِوَايَةٍ :" **ويُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي فِي أَوَّلِ مَنْ يَجُوزُ**"؛ وأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، كَمَا في رِوَايَةٍ :" **وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** ".

(٢) هَذَا لأَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تَأْتِي يَومَ الْقِيَامَةِ ونُورُهَا مِثْلُ نُورِ الأَنْبِيَاءِ، لأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَرَعَ لَهَا مِثْلَ مَا شَرَعَ لأُوْلِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسِلِ، بِأَنْ يُقِيمُوا الدِّيْنَ في أَنْفُسِهِم وفي غَيرِهِمْ، فَنُورُهُمُ الَّذِيْ يَكْتَسِبُونَهُ مِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلى اللهِ يُشْبِهُ نُورَ الأَنْبِيَاءِ؛ وهَذَا أَمْرٌ اجْتَمَعَ عَلَيهِ الأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ عَلَى اخْتِلافِهِم في الشَّرَائِعِ، كما أن النبي ﷺ دعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثاً بنضارة الوجه، وهو زينته وحسنه وبهاؤه، وهذا من أعظم أسباب هذا النور؛ فَيَكُونُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ نُورٌ مِثْلُ نُورِ الأَنْبِيَاءِ، ويُجَازِيهِمُ اللهُ كَمَا يُجَازِي الأَنْبِيَاءَ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعاً قَالَ :" **أَوْحَى اللهُ إِلى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ أَنَّ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَرِجَالاً يَقُومُونَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ووَادٍ، يُنَادُونَ بِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَه إِلاَّ اللهُ، جَزَاؤُهُمْ عَلَيَّ جَزَاءُ الأَنْبِيَاءِ**". أخرجه الديلمي في «مسند الفرودوس» عن أنس بن مالك (٥٠٦) وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢٠٤٥) . وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ في السُّجُودِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيَّ**، =

www.saida-islam.weebly.com

أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ، فَيُفْتَحُ لِي، فَآتِي رَبِّي ﷻ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَوْ سَرِيرِهِ، فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَمْ يَحْمَدْهُ بِهَا أَحَدٌ كَانَ قَبْلِي، وَلَيْسَ يَحْمَدُهُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي، فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي؛ فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا[1]، ثُمَّ

=**فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، وأَنْظُرُ عَنْ يَمِينِيْ، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ، وأَنْظُرُ عَنْ شِمَالِي، فَأَعْرِفُ أُمَّتِي مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ** ". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ، وكَيْفَ تَعْرِفُ أُمَّتَكَ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ مَا بَيْنَ نُوحٍ إِلَى أُمَّتِكَ ؟ قَالَ :" **غُرٌّ مُحَجَّلُونَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ، ولا يَكُونُ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ غَيرِهُمْ، وَأَعْرِفُهُمْ أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ، وأَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، وأَعْرِفُهُم بِنُورِهِمُ الَّذِي بَينَ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**". رواه أحمد في مسنده (٢١٧٤٠) والحاكم في المستدرك (٣٧٨٤) واللفظ له، وقال : صحيح الإسناد، وأقره الذهبي في التلخيص فسكت عنه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٧٤٥) وقال المنذري في الترغيب: وفي إسناده ابن لهيعة، وهو حديث حسن في المتابعات . ورواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» برقم (٢٦١) من رواية ابن المبارك عن ابن لهيعة، وروايته عنه صحيحة، قال عبدالغني ابن سعيد الأزدي: إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة فهو صحيح، ابن المبارك، وابن وهب، والمقري، وذكر الساجي وغيره مثله . «تهذيب التهذيب لابن حجر» (٣٤٦/٢٠) . وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ :" **يَخْرُجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُلَّةٌ غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، تُسَدُّ الأُفُقَ، نُورُهُمْ مِثْلُ الشَّمْسِ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ لَيْسَ عَلَيْهِمْ حِسَابٌ وَلا عَذَابٌ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثُلَّةٌ أُخْرَى غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، نُورُهُمْ مِثْلُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، يَسُدُّ الأُفُقَ نُورُهُمْ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: النَّبِيُّ الأُمِّيُّ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ تَخْرُجُ ثُلَّةٌ أُخْرَى غُرٌّ مُحَجَّلُونَ، نُورُهُمْ مِثْلُ أَعْظَمِ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ، يَسُدُّ الأُفُقَ نُورُهُمْ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : النَّبِيُّ الأُمِّيُّ ؟ فَيَتَحَسَّسُ لَهَا كُلُّ نَبِيٍّ أُمِّيٍّ، فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ يَجِيءُ رَبُّكَ ﷻ، ثُمَّ يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ**". رواه الطبراني في الكبير (٧٧٢٣) و«مسند الشاميين» (١١٨٥) وقال في «كنز العمال»: وسنده جيد.اه وهذا في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي، والله أعلم . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله وُثِّقُوا .

(١) لَمْ يَحْفَظْ حَمَّادٌ؛ وفي رواية مسلم (١٩٣) عن أنس قال :" **فَيُقَالُ: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا** ".

www.saida-islam.weebly.com

أُعِيدُ فَأَسْجُدُ، فَأَقُولُ مَا قُلْتُ، فَيُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ: وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا دُونَ الْأَوَّلِ، ثُمَّ أُعِيدُ فَأَسْجُدُ، فَأَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِيَ : ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَقَالَ : أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ كَذَا وَكَذَا دُونَ ذَلِكَ[1] " [2] .

---

(١) وفي رواية مسلم :" **فَيُقَالُ لِي: انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ** ". وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة :" **فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى** ". وأخرج الطبراني في الكبير (١٠٧٧١) والأوسط (٢٩٣٧) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **يُوضَعُ لِلْأَنْبِيَاءِ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْقَى مِنْبَرِي لَا أَجْلِسُ عَلَيْهِ، أَوْ لَا أَقْعُدُ عَلَيْهِ قَائِمًا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي مُنْتَصِبًا بِأُمَّتِي مَخَافَةَ أَنْ يَبْعَثَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ وَتَبْقَى أُمَّتِي بَعْدِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي! أُمَّتِي! فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ : يَا مُحَمَّدُ، مَا تُرِيدُ أَنْ أَصْنَعَ بِأُمَّتِكَ؟ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، تُعَجِّلُ حِسَابَهُمْ، فَيُدْعَى بِهِمْ فَيُحَاسَبُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي، فَمَا أَزَالُ أَشْفَعُ حَتَّى أُعْطَى صِكَاكًا بِرِجَالٍ قَدْ بُعِثَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، حَتَّى إِنَّ مَالِكًا خَازِنَ النَّارَ لَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، مَا تَرَكْتَ لِغَضَبِ رَبِّكَ فِي أُمَّتِكَ مِنْ نِقْمَةٍ** ". قال الهيثمي : وفيه محمد بن ثابت البناني، وهو ضعيف.

(٢) رواه أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة (٢٥٤٦)، (٢٦٩٢) وأبو يعلى في مسنده (٢٣٢٨) وقال الهيثمي في المجمع : فيه علي بن زيد وقد وُثِّقَ على ضعف، وبقية رجالهما رجال الصحيح. وقال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: ورواه ابن ماجه مختصراً، ورواته ثقات . وهَذِهِ الشَّفَاعَةُ فِي الإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷻ فِي جَوَابِ قَوْلِهِ ﷺ :" **أُمَّتِي أُمَّتِي**". فَيَقُولُ :" **أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيهِمْ**"؛ رواه البخاري عن أبي هريرة (٤٧١٢) كَذَا سُؤَالُهُ ﷺ الزِّيَادَةَ عَلَى السَّبْعِينَ أَلْفاً الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ؛ فأخرج أحمد في مسنده (١٧٠٦) بسند فيه نظر عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ رَبِّي أَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي** =

www.saida-islam.weebly.com

=**يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ". فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلاَّ اسْتَزَدْتَهُ ؟ قَالَ : "**قَدْ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفًا** ". قَالَ عُمَرُ : فَهَلاَّ اسْتَزَدْتَهُ . قَالَ :" **قَدْ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي هَكَذَا** ". وَفَرَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَكْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ – وَبَسَطَ بَاعَيْهِ–: وَحَثَا عَبْدُ اللَّهِ . وقَالَ هِشَامٌ : وَهَذَا مِنَ اللَّهِ لا يُدْرَى مَا عَدَدُهُ . كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ قَومٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، أَنْ لا يُعَذَّبُوا، كَمَا فِي حَدِيثِ حُذَيفَةَ ﷺ مَرْفُوعاً :" **ونَبِيُّكُم عَلَى الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ** ". رواه مسلم عن حذيفة (٥٠٣) وقَولِهِ ﷺ :" **شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِيْ** ". رواه أحمد في مسنده عن أنس بن مالك (١٣٢٢٢) والترمذي في سننه (٢٤٣٥) وقال: حديث حسن صحيح. وأبو داوود في سننه (٤٧٤١) ورواه ابن ماجه في سننه عن جابر (٤٣١٠) والحاكم في المستدرك (٣٤٤٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي على شرط مسلم . وقَالَ ﷺ:" **خُيِّرْتُ بَينَ الشَّفَاعَةِ أَوْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، لأَنَّهَا أَعَمُّ وأَكْفَى، أَمَا إِنَّهَا لَيسَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، ولَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ** ". رواه أحمد في مسنده عن ابن عمر (٥٤٥٢) وابن ماجه في سننه (٤٣١١) وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات . وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **أَشْفَعُ لأُمَّتِيْ حَتَّى يُنَادِيَنِي رَبِّي تَبَارَكَ وتَعَالَى، فَيَقُولُ : أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَأَقُولُ : أَيْ رَبِّ رَضِيتُ** ". رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٦٢) والبزار في مسنده (٦٣٨) وقال المنذري: إسناده حسن إن شاء الله . كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنْ عُصَاةِ أُمَّتِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ وغَيرِهِ . وكَذَلِكَ يَشْفَعُ ﷺ فِي إِدْخَالِ مَنْ قُضِيَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِأَنْ يَدْخُلُوهَا، كَمَا فِي حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ، وفِيهِ يَقُولُ ﷺ :" **فَأَقُولُ يَا رَبِّ ! وَعَدْتَنِي الشَّفَاعَةَ، فَشَفِّعْنِي فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللهُ : وَقَدْ شَفَّعْتُكَ فِيهِمْ، وأَذِنْتُ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ** ". رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة كما في «إتحاف الخيرة» (٧٦٧٩) والطبراني في «الأحاديث الطوال» (٣٦) . كَمَا يَشْفَعُ ﷺ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ قَومٍ فِي الْجَنَّةِ، وتَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ آخَرِينَ فِي النَّارِ، كَمَا فِي شَفَاعَتِهِ ﷺ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وذَلِكَ بِوَضْعِهِ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، ولَولا شَفَاعَتُهُ ﷺ لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. كَمَا أَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ شَافِعٍ فِي دُخُولِ أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَابِ . وهُنَاكَ شَفَاعَةٌ أُخْرَى لَهُ ﷺ فِيمَنِ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُ وسَيِّئَاتُهُ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، ومُسْتَنَدُهَا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : "**السَّابِقُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ، وَالْمُقْتَصِدُ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، ويُحْبَسُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**". أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره (٢٣٦٣) . كَمَا أَنَّ أَصْحَابَ الأَعْرَافِ يَدْخُلُونَهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ . وأَرْجَحُ الأَقْوَالِ فِي أَصْحَابِ الأَعْرَافِ أَنَّهُمْ قَومٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهُم وسَيِّئَاتُهُم. وهُنَاكَ شَفَاعَةٌ أُخْرَى فِيمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ولَمْ يَعْمَلْ خَيرًا قَطُّ، كَمَا جاء =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=في رواية في عند مسلم (١٩٣) : أنه ﷺ يقول في الرابعة :" **يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. قَالَ لَيْسَ ذَاكَ لَكَ – أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ – وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ** ".. ذكر هذه الشفاعات الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/٥٢١– ٥٢٢) نقلاً لبعضها عن القاضي عياض والنووي . وفي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ لِعَظِيمِ دَرَجَةِ نَبِيِّنَا ﷺ ورَفِيعِ مَنْزِلَتِهِ ومَكَانَتِهِ عِندَ رَبِّهِ، حَيثُ أَعْطَاهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ عَلَيهِ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُم، وهُوَ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى، حَيثُ يَتَوَجَّهُ النَّاسُ في أَرْضِ الْمَحْشَرِ إِلى مَنْ لَهُ جَاهٌ عِندَ اللهِ ﷻ، فَيَبْدَؤُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ نُوحٍ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى عليهم السلام، كُلٌّ يَقُولُ : لَستُ هُنَاكُمْ، نَفْسِي نَفْسِي، إِلى أَنْ يَأْتُوا نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ، فَيَقُولُ : أَنَا لَهَا؛ وَالْحِكْمَةُ في أَنَّ اللهَ ﷻ أَلْهَمَهُمْ سُؤَالَ آدَمَ ومَنْ بَعْدَهُ عليهم السلام في الابْتِدَاءِ، ولَمْ يُلْهِمْهُمْ سُؤَالَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ – واللهُ أَعْلَمُ – إِظْهَارُ فَضِيلَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُم لَوْ سَأَلُوهُ ابْتِدَاءً لَكَانَ يَحْتَمِلُ أَنَّ غَيرَهُ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا ويُحَصِّلُهُ، أَمَّا إِذَا سَأَلُوا غَيرَهُ مِنْ رُسُلِ اللهِ ﷻ وأَصْفِيَائِهِ فَامْتَنَعُوا، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَجَابَ وحَصَّلَ غَرَضَهُمْ، فَهُوَ النِّهَايَةُ في ارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ وكَمَالِ الْقُرْبِ وعَظِيمِ الإِدْلالِ والأُنْسِ؛ وفِيهِ تَفْضِيلُهُ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الرُّسُلِ وَالآدَمِيِّينَ وَالْمَلائِكَةِ، فَإِنَّ هَذَا الأَمْرَ الْعَظِيمَ – وهُوَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى – لا يَقْدِرُ عَلَى الإِقْدَامِ عَلَيهِ غَيرُهُ ﷺ. «شرح مسلم للنووي» (١/٣٣٨) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ فِيْ تَعْلِيمِ أُمَّتِهِ الخَيْرَ وَإِرْشَادِهَا إِلَيْهِ

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ : **قَامَ أَعْرَابِيٌّ**(١)، **فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ**(٢)، **فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ** :" **دَعُوهُ**(٣)، **وَهَرِيقُوا**(٤) **عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً**(٥) **مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ**(٦)

---

(١) زَادَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ وغيرِهِ في أَوَّلِهِ : أَنَّهُ صَلَّى رَكْعَتَينِ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي ومُحَمَّداً، ولا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَداً، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :" **لَقَدْ تَحَجَّرْتَ وَاسِعاً** ". فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ .

(٢) أَيْ بِأَلْسِنَتِهِم، وفي رِوَايَةٍ :" **فَثَارَ إِلَيهِ النَّاسُ** ". وفي أُخْرَى :" **فَقَامُوا إِلَيهِ** "، وفي أُخْرَى :" **فَزَجَرَهُ النَّاسُ** "، وفي أُخْرَى : "**فَصَاحَ النَّاسُ بِهِ** ". وفي أُخْرَى :" **فَقَالَ الصَّحَابَةُ : مَهْ! مَهْ!**". فَظَهَرَ أَنَّ تَنَاوُلَهُ كَانَ بِالأَلْسِنَةِ لا بِالأَيْدِيْ .

(٣) أَيِ اتْرُكُوهُ، فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ، لأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ عَدَمَ جَوَازِ التَّبَوُّلِ فِي الْمَسْجِدِ، لِقُرْبِ عَهْدِهِ بِالإِسْلامِ، وبُعْدِهِ عَنْهُ ﷺ، ولِئَلاَّ يُؤَدِّيَ قَطْعُ الْبَولِ إِلى ضَرَرٍ كَبِيرٍ يَحْصُلُ لَهُ، وقَدْ يَغْلِبُهُ قَبلَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَيُؤَدِّي إِلى انْتِشَارِ النَّجَاسَةِ فِيهِ، وتَنْجِيسُ مَكَانٍ وَاحِدٍ أَخَفُّ مِنْ تَنْجِيسِ أَمَاكِنَ، وأَيْضاً قَدْ يَغْلِبُهُ، فَيَخْرُجُ فِي ثِيَابِهِ، فَيُؤَدِّي إِلى تَنْجِيسِهَا وتَنْجِيسِ بَدَنِهِ؛ وجَاءَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي رِوَايَةٍ برقم (٦٨٧) أنه ﷺ قَالَ :" **لاَ تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ** ". فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ :" **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلاَ الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ** اللهِ ﷻ، **وَالصَّلاَةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ** ". قَالَ فَأَمَرَ رَجُلاً مِنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ. «مرقاة المفاتيح» (١٧٩/٢).

(٤) وفي نُسْخَةٍ :" **أَهْرِيقُوا** ". وأَصْلُهَا أَرِيقُوا، فَأُبْدِلَتِ الْهَمْزَةُ هَاءً، ثُمَّ جُعِلَ عِوَضاً عَنْ ذَهَابِ حَرَكَةِ الْعَينِ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ، ثُمَّ أُدْخِلَ عَلَيهَا الْهَمْزَةُ، أَيْ صُبُّوا عَلَى بَولِهِ «المصدر السابق» .

(٥) السَّجْلُ : هُوَ الدَّلْوُ مَلأَى، والذَّنُوبُ كذلك، وَلا يُقَالُ لَهَا وَهِيَ فَارِغَةٌ ذَنُوب. والأَظْهَرُ أَنَّهُ شَكٌّ مِنَ الرَّاوِيْ، لأَنَّ رِوَايَةَ أَنَسٍ لَمْ تَخْتَلِفْ فِي أَنَّهَا ذَنُوبٌ «فتح الباري» باختصار يسير (٣٢٤/١) .

(٦) إِسْنَادُ الْبَعْثِ إِلَيهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْمَجَازِ، لأَنَّهُ هُوَ الْمَبْعُوثُ ﷺ بِمَا ذَكَرَ مِنَ التَّيْسِيرِ، لَكِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي مَقَامِ التَّبْلِيغِ عَنْهُ، فِي حُضُورِهِ وَغَيْبَتِهِ، أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، إِذْ هُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ قِبَلِهِ بِذَلِكَ، أَيْ مَأْمُورُونَ . وَكَانَ ذَلِكَ شَأْنُهُ ﷺ فِي حَقِّ كُلِّ مَنْ بَعَثَهُ إِلى جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ، يَقُولُ : " **يَسِّرُوا وَلا تُعَسِّرُوا** ". وفي هَذَا إِشَارَةٌ إِلى قَولِهِ ﷻ : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠]، فَيَكُونُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْبَعْثِ، ويَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ وَجْهُ مَا قِيلَ : عُلَمَاءُ هَذِهِ الأُمَّةِ كَالأَنْبِيَاءِ . والله ﷻ أَعْلَمُ . =

www.saida-islam.weebly.com

مُيَسِّرِينَ[١]، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ "[٢] .

=كما فِيهِ بَيَانٌ لِعُلُوِّ مَرْتَبَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، ورِفْعَةِ مَكَانَتِهَا بَينَ الأُمَمِ، حَيثُ وَصَفَهُم ﷺ بِلَفْظِ الْبِعْثَةِ، ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَعْرَفَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ بِخَطَرِ هَذَا التَّعْبِيرِ وقِيْمَتِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ بِالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ عِنْدَ الإِطْلاقِ، وقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ الأَنْبِيَاءِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ وفِي هَذَا بُشْرَى عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وإِيْذَاناً لَهُمْ بِأَنَّ اللهَ ﷻ مَعَهُمْ بِقُدْرَتِهِ ونُصْرَتِهِ وحِفَاظَتِهِ، كَمَا كَانَ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، لأَنَّ الْمَبْعُوثَ قُوَّتُهُ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ، ونُصْرَتُهُ ودَفْعُ الاِعْتِدَاءِ عَنْهُ تَكُونُ مِنَ الْبَاعِثِ مَا دَامَ الْمَبْعُوثُ قَائِماً بِتَكَالِيفِ الْبِعْثَةِ. وهَكَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ ﷺ يَفْهَمُونَ أَنَّهُم مَبْعُوثُونَ إِلى النَّاسِ كَافَّةً بِالرَّحْمَةِ، لِذَلِكَ قَالَ رِبْعِيُّ بْنُ عَامِرٍ ﷺ مُبَيِّناً مَقْصَدَ خُرُوجِ الصَّحَابَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ :" **اللهُ ابْتَعَثَنَا، لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ** ". «تاريخ الطبري» (٥١٨/٣) و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣٩/٧) و«حاشية السندي على النسائي» (٤٩/١) و«الروضة الندية في فضائل الأمة المحمدية» للعبد الفقير .

(١) الْيُسْرُ ضِدُّ الْعُسْرِ، كَمَا قَالَ ﷺ :" **إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ** ". رواه البخاري عن أبي هريرة (٣٩) . أَرَادَ أَنَّهُ سَهْلٌ سَمْحٌ، قَلِيلُ التَّشْدِيدِ، ومِنْهُ الْحَدِيثُ :" **يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا** ". رواه البخاري عن أبي موسى (٣٠٣٨)، (٤٣٤١) ومسلم (٤٦٢٣). «النهاية لابن الأثير» (٧٠٣/٥) ولَمَّا بَعَثَ ﷺ أَبَا مُوسَى ومُعَاذاً إِلى الْيَمَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ لَهُمَا :" **يَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، وبَشِّرَا ولا تُنَفِّرَا، وتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفَا** ". قَالَ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : ومَعْنَى قَولِهِ :" **يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا** ". فِيمَا كَانَ مِنْ نَوَافِلِ الْخَيرِ، دُونَ مَا كَانَ فَرْضاً مِنَ اللهِ، وفِيمَا خَفَّفَ اللهُ عَمَلَهُ مِنْ فَرَائِضَ فِي حَالِ الْعُذْرِ، كَالصَّلاةِ قَاعِداً حَالَ الْعَجْزِ عَنِ الْقِيَامِ، وكَالإِفْطَارِ فِي رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ والْمَرَضِ، وشِبْهِ ذَلِكَ . وفِي أَمْرِهِ ﷺ بِالتَّيْسِيرِ مَعَانٍ : **أَحَدُهَا** : الأَمَانُ مِنَ الْمَلالِ . **وَالثَّانِي** : الأَمَانُ مِنْ مُخَالَطَةِ الْعُجْبِ قَلْبَ صَاحِبِهِ، حَتَّى يَرَى كَأَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ قَصَّرَ عَنْ مِثْلِ فِعْلِهِ، فَيَهْلِكَ، ولِهَذَا قَالَ ﷺ :" **هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**". وبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ قَومًا أَرَادُوا أَنْ يَخْتَصُوا، وحَرَّمُوا الطَّيِّبَاتِ واللَّحْمَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وأَوْعَدَ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الْوَعِيدِ، وقَالَ :" **لَمْ أُبْعَثْ بِالرَّهْبَانِيَّةِ، وإِنَّ خَيرَ الدِّينِ عِنْدَ اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ، وإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلَكُوا بِالتَّشْدِيدِ، شَدُّوا فَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ**". رواه الدارمي في سننه بمعناه عن سعد بن أبي وقاص (٢١٦٩) وإسناده صحيح . والطبراني في الكبير عن أبي أمامة (٧٧١٥) وبَوَّبَ البخاري في صحيحه قول النبي ﷺ :" **أَحَبُّ الدِّينِ إِلى اللهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ** ". وبِذَلِكَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَالَ ﷻ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ **[الفرقان:٦٧]**، فَحَمِدَ فِي نَفَقَاتِهِم تَرْكَ الإِسْرَافِ والإِقْتَارِ . «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٣٠١/٩-٣٠٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٢٢٠) و(٦١٢٨) ومسلم عن أنس (٦٨٥ – ٦٨٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ

حَدِيثٌ آخَرُ فِيْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِأُمَّتِهِ فِيْ تَعْلِيمِهَا الخَيرَ وَإِرْشَادِهَا إِلَيْهِ

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ . فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ [(١)]! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ . فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي [(٢)] وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ :" **إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ** ". أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ، قَالَ :" **فَلَا تَأْتِهِمْ** ". قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قَالَ :" **ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ** [(٣)]". قَالَ : قُلْتُ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ :" **كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ** [(٤)]". قَالَ : وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ

---

(١) هُوَ فِقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا .

(٢) أَيْ مَا انْتَهَرَنِي .

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ :" **فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ** ". قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ أَنَّ الطِّيَرَةَ شَيْءٌ تَجِدُونَهُ فِي نفوسكم ضرورةً، وَلَا عَتَبَ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ غَيْرُ مُكْتَسَبٍ لَكُمْ، فَلَا تَكْلِيفَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا تَمْتَنِعُوا بِسَبَبِهِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي أُمُورِكُمْ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي تَقْدِرُونَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مُكْتَسَبٌ لَكُمْ، فَيَقَعُ بِهِ التَّكْلِيفُ، فَنَهَاهُمْ ﷺ عَنِ الْعَمَلِ بِالطِّيَرَةِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ بِسَبَبِهَا. «شرح مسلم للنووي» (٢٣/٥) .

(٤) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ، فالصحيح أن معناه من وافق خَطُّهُ فَهُوَ مُبَاحٌ لَهُ، وَلَكِنْ لَا طَرِيقَ لَنَا إِلَى الْعِلْمِ الْيَقِينِيِّ بِالْمُوَافَقَةِ، فَلَا يُبَاحُ؛ وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حَرَامٌ لِأَنَّهُ لَا يُبَاحُ إِلَّا بِيَقِينِ الْمُوَافَقَةِ، وَلَيْسَ لَنَا يَقِينٌ بِهَا، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **فمن وَافَقَ خَطُّهُ فَذَاكَ** ". وَلَمْ يَقُلْ هُوَ حَرَامٌ بِغَيْرِ تَعْلِيقٍ عَلَى الْمُوَافَقَةِ، لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ هَذَا النَّهْيَ يَدْخُلُ فِيهِ ذَاكَ النَّبِيُّ الَّذِي كَانَ يَخُطُّ، =

www.saida-islam.weebly.com

أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ :" **ائْتِنِي بِهَا** ". فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا :" **أَيْنَ اللهُ ؟**". قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ، قَالَ :" **مَنْ أَنَا ؟**" قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ :" **أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**"(١) .

=فَحَافَظَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حُرْمَةِ ذَاكَ النَّبِيِّ، مَعَ بيان الحكم في حقنا، فالمعنى أن ذلك النَّبِيَّ لَا مَنْعَ فِي حَقِّهِ وَكَذَا لَوْ عَلِمْتُمْ مُوَافَقَتَهُ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَكُمْ بِهَا . «شرح مسلم للنووي» (٥/٢٤).

(١) رواه مسلم برقم (٥٣٧) . وفي هَذَا الْحَدِيثِ والذي قبله، بيانٌ لسَعَةِ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وحُسْنِ تَعْلِيمِهِ، وعَظِيمِ خُلُقِهِ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِ التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ، وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفِ بِهِ، وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ؛ فَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ لِلنَّاسِ مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ ﷻ، كما قال ﷺ :" **إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ** ". وقَالَ ﷺ :" **إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا** ". وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ ابْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :" **إِنَّ لِي أَسْمَاءً : أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِى يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِى يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِى لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ** ". وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَؤوفًا رَحِيمًا. رواه البخاري (٤٨٩٦) ومسلم (٢٣٥٤) وفي رواية لمسلم (٢٣٥٥) قال : "**وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ** ". وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ**". أخرجه أحمد في مسنده (٨٩٥٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح. وقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيصاً عَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ وتَعْلِيمِهِمْ، وإِخْرَاجِهِم مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَالْجَهْلِ وَالْغَفْلَةِ، إِلى نُورِ التَّوحِيدِ والْعِلْمِ والذِّكْرِ، بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، كَمَا وَجَّهَهُ رَبُّهُ ﷻ بقوله : ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ** ﴾ **[النحل: ١٢٥]**؛ وكان ﷺ يَتَخَوَّلُهم بالموعظة في الأيام، كراهةَ السآمةِ عليهم. رواه البخاري (٦٨) عن ابن مسعود. وكان شفيقاً رحيماً في تعليمه، حريصاً على قلوب أصحابه، لئلَّا تنكسر. وأخرج مسلم (٨٧٦) عن أَبِي رِفَاعَةَ رضي الله عنه قال : انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ قَالَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لاَ يَدْرِى مَا دِينُهُ – قَالَ – فَأَقْبَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَىَّ فَأُتِىَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا؛ قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا . وأخرج أحمد في مسنده (٢٢٢١١) والطبراني في=

www.saida-islam.weebly.com

=الكبير (٧٦٧٩) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ : إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ . فَقَالَ ﷺ :" **ادْنُهْ**". فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا . قَالَ : فَجَلَسَ؛ قَالَ :" **أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**". قَالَ : لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ** ". قَالَ : "**أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**". قَالَ : لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ :" **وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ** ". قَالَ : "**أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟** ". قَالَ : لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : "**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ** ". قَالَ :" **أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**". قَالَ : لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ** ". قَالَ :" **أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**". قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ : "**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**". قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ :" **اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ** ". قَالَ : فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ، ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . وقال الهيثمي في المجمع : رجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح . ومن **رحمته ﷺ في باب التعليم والإرشاد** : أنه كان يحثُّ أصحابه على تعليم ما عَلِمُوهُ، وتَبليغ مَا بَلَغَهُم مِنَ العِلْمِ، ويُبَيِّنُ لهم فَضَائِلَ تَعْلِيمِهِم العِلْمَ وتبليغهم أوامر الله ﷻ، فمن ذلك قوله ﷺ :" **مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا** ". وقال :" **مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ** ". وقال :" **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ، ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ** "، وقال :" **مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، لَمْ يُغَيِّرُوهُ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**". وقال :" **الدِّينُ النَّصِيحَةُ**". قِيلَ لِمَنْ؟ قَالَ :" **للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِم**". وقَالَ ﷺ:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْعُونِي فَلا أُجِيبَكُمْ، وَتَسْأَلُونِي فَلا أُعْطِيَكُمْ، وَتَسْتَنْصِرُونِي فَلا أَنْصُرَكُمْ** ". وقال :" **بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً** ". وكان يأمر من تعلم شيئاً – ولو يسيراً – أن يُعَلِّمَ من وراءه، كما قال لوفد عبد القيس بعد أن أمرهم بأربع خصال ونهاهم عن أربع، قال :" **احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ** ". رواه البخاري (٥٣) ومسلم (٢٣). وأخرج البخاري (٦٣١) ومسلم (٦٧٤) عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ ﷺ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ :" **ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ** ". وأخرج أحمد في مسنده (٨٠٩٥) والترمذي في سننه (٢٣٠٥) بإسناد حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي** =

www.saida-islam.weebly.com

*****

=خَمْسَ خِصَالٍ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمُهُنَّ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟" قَالَ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّهُنَّ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ :" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ** ". وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عن أبيه قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَثْنَى عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ :" **مَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يُفَقِّهُونَ جِيرَانَهُمْ، وَلَا يُعَلِّمُونَهُمْ، وَلَا يَعِظُونَهُمْ، وَلَا يَأْمُرُونَهُمْ، وَلَا يَنْهَوْنَهُمْ. وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَلَا يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا يَتَّعِظُونَ. وَاللَّهُ لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ، وَيُفَقِّهُونَهُمْ وَيَعِظُونَهُمْ، وَيَأْمُرُونَهُمْ، وَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلْيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَيَتَفَقَّهُونَ، وَيَتَفَطَّنُونَ، أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةَ** ". ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ قَوْمٌ : مَنْ تَرَوْنَهُ عَنَى بِهَؤُلَاءِ ؟ قَالَ : الْأَشْعَرِيِّينَ، هُمْ قَوْمٌ فُقَهَاءُ، وَلَهُمْ جِيرَانٌ جُفَاةٌ مِنْ أَهْلِ الْمِيَاهِ وَالْأَعْرَابِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْأَشْعَرِيِّينَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ قَوْمًا بِخَيْرٍ، وَذَكَرْتَنَا بِشَرٍّ، فَمَا بَالُنَا ؟ فَقَالَ :" **لَيُعَلِّمَنَّ قَوْمٌ جِيرَانَهُمْ، وَلَيُفَقِّهُنَّهُمْ، وَلَيُفَطِّنُنَّهُمْ، وَلَيَأْمُرُنَّهُمْ، وَلَيَنْهَوْنَهُمْ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ، وَيَتَفَطَّنُونَ، وَيَتَفَقَّهُونَ، أَوْ لَأُعَاجِلَنَّهُمُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا** ". فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا ؟ فَأَعَادَ قَوْلَهُ عَلَيْهِمْ، وَأَعَادُوا قَوْلَهُمْ : أَنُفَطِّنُ غَيْرَنَا ؟ فَقَالَ ذَلِكَ أَيْضًا، فَقَالُوا : أَمْهِلْنَا سَنَةً، فَأَمْهَلَهُمْ سَنَةً لِيُفَقِّهُوهُمْ، وَيُعَلِّمُوهُمْ، وَيُفَطِّنُوهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ **لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ** ﴾ [المائدة: ٧٨] الْآيَةَ. قال الهيثمي : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ بُكَيْرُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قَالَ الْبُخَارِيُّ : ارْمِ بِهِ. وَوَثَّقَهُ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةٍ، وَضَعَّفَهُ فِي أُخْرَى. وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ: أَرْجُو أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ . وقال ابن السكن : إسناده صالح . «كنز العمال» (٨٤٥٧) .

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ فِي التَّيْسِيرِ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى أُمَّتِهِ فِي العِبَادَاتِ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ :" **أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا** ". فَقَالَ رَجُلٌ [(١)]: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **لَوْ قُلْتُ : نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ** "، ثُمَّ قَالَ :" **ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ[(٢)]، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ،**

---

(١) هَذَا الرَّجُلُ السَّائِلُ هُوَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ .

(٢) أي لَا تكثروا السؤال، فربَّما يكثر الجواب عليه، فيضاهي ذلك قصة بني إسرائيل لَمَّا قيل لهم : **اذبحوا بقرة** . فإنهم لو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ، وبادروا إلى ذبح أي بقرة، كانت أجزأت عنهم، لكن لَمَّا أكثروا السؤال وشَدَّدُوا شُدِّدَ عليهم، وذُمُّوا على ذلك، فخاف النبي ﷺ مثل ذلك على أمته. «شرح الأربعين لابن دقيق العيد» ص (٥٨). لذلك قال ﷺ :" **إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ** ". رواه البخاري (٧٢٨٩) ومسلم (٢٣٥٨). وفيه دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ عَدَمُ الْوُجُوبِ وَأَنَّهُ لَا حُكْمَ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ مُحَقِّقِي الْأُصُولِيِّينَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾. وَأَشَارَ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى أَنَّ فِي الِاشْتِغَالِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ شُغْلًا عَنِ الْمَسَائِلِ؛ فَالَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَى الْمُسْلِمِ الِاعْتِنَاءُ بِهِ وَالِاهْتِمَامُ أَنْ يَبْحَثَ عَمَّا جَاءَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ يَجْتَهِدُ فِي فَهْمِ ذَلِكَ، وَالْوُقُوفِ عَلَى مَعَانِيهِ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالتَّصْدِيقِ بِذَلِكَ إِنْ كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْعِلْمِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَمَلِيَّةِ، بَذَلَ وُسْعَهُ فِي الِاجْتِهَادِ فِي فِعْلِ مَا يَسْتَطِيعُهُ مِنَ الْأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابِ مَا يُنْهَى عَنْهُ، وَتَكُونُ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى ذَلِكَ؛ لَا إِلَى غَيْرِهِ . وَهَكَذَا كَانَ حَالُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ هِمَّةُ السَّامِعِ مَصْرُوفَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ إِلَى فَرْضِ أُمُورٍ قَدْ تَقَعُ، وَقَدْ لَا تَقَعُ، فَإِنَّ هَذَا مِمَّا يَدْخُلُ فِي النَّهْيِ، وَيُثَبِّطُ عَنِ الْجِدِّ فِي مُتَابَعَةِ الْأَمْرِ. وَقَدْ سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ عَنِ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ، فَقَالَ لَهُ : **رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ**، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ غُلِبْتَ عَلَيْهِ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ زُوحِمْتَ؟ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: **اجْعَلْ «أَرَأَيْتَ» بِالْيَمَنِ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ**. خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٦٨١) وقال : حديث حسن صحيح. وَمُرَادُ ابْنِ عُمَرَ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ هَمٌّ إِلَّا فِي الِاقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَلَا حَاجَةَ إِلَّا فَرْضَ =

www.saida-islam.weebly.com

=الْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ أَوْ تَعَسُّرَهَ قَبْلَ وُقُوعِهِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَفْتُرُ الْعَزْمُ عَلَى التَّصْمِيمِ عَنِ الْمُتَابَعَةِ، فَإِنَّ التَّفَقُّهَ فِي الدِّينِ، وَالسُّؤَالَ عَنِ الْعِلْمِ إِنَّمَا يُحْمَدُ إِذَا كَانَ لِلْعَمَلِ، لَا لِلْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ فِتَنًا تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: **مَتَى ذَلِكَ يَا عَلِيُّ؟** قَالَ : **إِذَا تُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَتُعُلِّمَ لِغَيْرِ الْعَمَلِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.** وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : **كَيْفَ بِكُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةً يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَتُتَّخَذُ سُنَّةً، فَإِنْ غُيِّرَتْ يَوْمًا قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ؟** قَالُوا: وَمَتَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : **إِذَا قَلَّتْ أُمَنَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ أُمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَتْ قُرَّاؤُكُمْ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.** خَرَّجَهُمَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي كِتَابِهِ. وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ يَكْرَهُونَ السُّؤَالَ عَنِ الْحَوَادِثِ قَبْلَ وُقُوعِهَا، وَلَا يُجِيبُونَ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ: خَرَجَ عُمَرُ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ : أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسْأَلُونَا عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّ لَنَا فِيمَا كَانَ شُغُلًا. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ : **لَا تَسْأَلُوا عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ لَعَنَ السَّائِلَ عَمَّا لَمْ يَكُنْ.** وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِذَا سُئِلَ، عَنِ الشَّيْءِ يَقُولُ : **كَانَ هَذَا** ؟ فَإِنْ قَالُوا : لَا، قَالَ: **دَعُوهُ حَتَّى يَكُونَ.** وَقَالَ مَسْرُوقٌ : سَأَلْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: **أَكَانَ بَعْدُ** ؟ فَقُلْتُ : لَا، فَقَالَ: **أَجِمَّنَا** – يَعْنِي: أَرِحْنَا – **حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَ اجْتَهَدْنَا لَكَ رَأْيَنَا.** وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: سُئِلَ عَمَّارٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ : **هَلْ كَانَ هَذَا بَعْدُ** ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: **فَدَعُونَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَ تَجَشَّمْنَاهُ لَكُمْ.** وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُ قَالَ : **أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُعَجِّلُوا بِالْبَلَاءِ قَبْلَ نُزُولِهِ، فَيَذْهَبَ بِكُمْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تُعَجِّلُوا بِالْبَلَاءِ قَبْلَ نُزُولِهِ، لَمْ يَنْفَكَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ إِذَا سُئِلَ سُدِّدَ، أَوْ قَالَ وُفِّقَ** . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : **إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ عَبْدَهُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ، أَلْقَى عَلَى لِسَانِهِ الْمَغَالِيطَ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِلْمًا.** وَقَالَ أَيْضًا: **سَمِعْتُ مَالِكًا وَهُوَ يَعِيبُ كَثْرَةَ الْكَلَامِ وَكَثْرَةَ الْفُتْيَا، ثُمَّ قَالَ: يَتَكَلَّمُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ مُغْتَلِمٌ يَقُولُ: هُوَ كَذَا، هُوَ كَذَا يَهْدِرُ فِي كَلَامِهِ.** وَكَانَ مَالِكٌ يَكْرَهُ الْمُجَادَلَةَ عَنِ السُّنَنِ أَيْضًا. قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ جَمِيلٍ : قُلْتُ لِمَالِكٍ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَكُونُ عَالِمًا بِالسُّنَنِ يُجَادِلُ عَنْهَا ؟ قَالَ : **لَا، وَلَكِنْ يُخْبِرُ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ قُبِلَ مِنْهُ وَإِلَّا سَكَتَ.** قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى : كَانَ مَالِكٌ يَقُولُ : **الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ فِي الْعِلْمِ يَذْهَبُ بِنُورِ الْعِلْمِ مِنْ قَلْبِ الرَّجُلِ.** وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: **الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُؤَثِّرُ الضَّغْنَ.** وَكَانَ أَبُو شُرَيْحٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ يَوْمًا فِي مَجْلِسِهِ، فَكَثُرَتِ الْمَسَائِلُ، فَقَالَ **قَدْ دَرِنَتْ قُلُوبُكُمْ مُنْذُ الْيَوْمِ، فَقُومُوا إِلَى أَبِي حُمَيْدٍ خَالِدِ بْنِ حُمَيْدٍ اصْقُلُوا قُلُوبَكُمْ، وَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الرَّغَائِبَ، فَإِنَّهَا تُجَدِّدُ الْعِبَادَةَ، وَتُورِثُ الزَّهَادَةَ، وَتَجُرُّ الصَّدَاقَةَ، وَأَقِلُّوا الْمَسَائِلَ إِلَّا مَا نَزَلَ، فَإِنَّهَا تُقَسِّي الْقُلُوبَ، وَتُورِثُ الْعَدَاوَةَ.** وَكَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كَثِيرًا إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُتَوَلِّدَاتِ الَّتِي لَا تَقَعُ يَقُولُ : دَعُونَا مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَةِ. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَةَ طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ، =

www.saida-islam.weebly.com

=تَمَكَّنَ مِنْ فَهْمِ جَوَابِ الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ غَالِبًا، لِأَنَّ أُصُولَهَا تُوجَدُ فِي تِلْكَ الْأُصُولِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا، وَلَابُدَّ أَنْ يَكُونَ سُلُوكُ هَذَا الطَّرِيقِ خَلْفَ أَئِمَّةِ أَهْلِهِ الْمُجْمَعِ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ كَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَأَبِي عُبَيْدٍ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ، فَإِنَّ مَنِ ادَّعَى سُلُوكَ هَذَا الطَّرِيقِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقِهِمْ، وَقَعَ فِي مَفَاوِزَ وَمَهَالِكَ، وَأَخَذَ بِمَا لَا يَجُوزُ الْأَخْذُ بِهِ، وَتَرَكَ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ. وَمِلَاكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ أَنْ يَقْصِدَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ مَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَسُلُوكِ طَرِيقِهِ، وَالْعَمَلِ بِذَلِكَ، وَدُعَاءِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَسَدَّدَهُ، وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَمْدُوحِينَ فِي الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَمِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ نَافِعُ بْنُ يَزِيدَ : يُقَالُ : **الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** : **الْمُتَوَاضِعُونَ لِلَّهِ، وَالْمُتَذَلِّلُونَ لِلَّهِ فِي مَرْضَاتِهِ لَا يَتَعَاطَوْنَ مَنْ فَوْقَهُمْ، وَلَا يُحَقِّرُونَ مَنْ دُونَهُمْ**. ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ هُو أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهُوَ الَّذِي يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ بِرَتْوَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ عِلْمُهُ بِتَوْسِعَةِ الْمَسَائِلِ وَتَكْثِيرِهَا، بَلْ قَدْ سَبَقَ عَنْهُ كَرَاهَةُ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَقَعُ، وَإِنَّمَا كَانَ عَالِمًا بِاللَّهِ وَعَالِمًا بِأُصُولِ دِينِهِ؛ وَقَدْ قِيلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ : مَنْ نَسْأَلُ بَعْدَكَ ؟ قَالَ : عَبْدَ الْوَهَّابِ الْوَرَّاقَ، قِيلَ لَهُ : إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ اتِّسَاعٌ فِي الْعِلْمِ، قَالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ مِثْلُهُ يُوَفَّقُ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ . وَسُئِلَ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ، فَقَالَ : **كَانَ مَعَهُ أَصْلُ الْعِلْمِ** : **خَشْيَةُ اللَّهِ** . وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ : **كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا** . وَاعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ وُقُوعِ الْحَوَادِثِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ تَرْكِ الِاشْتِغَالِ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا سَأَلَ عَمَّا شَرَعَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَمَلِ فَامْتَثَلَهُ، وَعَمَّا نَهَى عَنْهُ فِيهِ فَاجْتَنَبَهُ، وَقَعَتِ الْحَوَادِثُ مُقَيَّدَةً بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِنَّمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُ بِمُقْتَضَى رَأْيِهِ وَهَوَاهُ، فَتَقَعُ الْحَوَادِثُ عَامَّتُهَا مُخَالِفَةً لِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرُبَّمَا عَسُرَ رَدُّهَا إِلَى الْأَحْكَامِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لِبُعْدِهَا عَنْهَا. وَفِي الْجُمْلَةِ فَمَنِ امْتَثَلَ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَانْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ، وَكَانَ مُشْتَغِلًا بِذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِ، حَصَلَ لَهُ النَّجَاةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ خَالَفَ ذَلِكَ، وَاشْتَغَلَ بِخَوَاطِرِهِ وَمَا يَسْتَحْسِنُهُ، وَقَعَ فِيمَا حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ هَلَكُوا بِكَثْرَةِ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَعَدَمِ انْقِيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ لِرُسُلِهِمْ. وَقَوْلُهُ ﷺ :" **إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ، فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ". قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : هَذَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ النَّهْيَ أَشَدُّ مِنَ الْأَمْرِ، لِأَنَّ النَّهْيَ لَمْ يُرَخَّصْ فِي ارْتِكَابِ شَيْءٍ مِنْهُ، وَالْأَمْرُ قُيِّدَ بِحَسَبِ الِاسْتِطَاعَةِ، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ. وَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ :" **اتَّقِ الْمَحَارِمَ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ** ". وَقَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ : **مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْبِقَ الدَّائِبَ الْمُجْتَهِدَ فَلْيَكُفَّ عَنِ الذُّنُوبِ**. وَرُوِيَ مَرْفُوعًا. وَقَالَ الْحَسَنُ : **مَا عَبَدَ الْعَابِدُونَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ تَرْكِ مَا نَهَاهُمُ اللَّهُ**=

www.saida-islam.weebly.com

فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ(١)، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" (٢).

=عَنْهُ. وقال ابْنِ عُمَرَ : **لَرَدُّ دَانِقٍ مِنْ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ تُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**. وَعَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ : **تَرْكُ دَانَقٍ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ خَمْسِمِائَةِ حَجَّةٍ**. وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: **ذِكْرُ اللَّهِ بِاللِّسَانِ حَسَنٌ، وَأَفْضَلُ مِنْهُ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ الْعَبْدُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ فَيُمْسِكَ عَنْهَا**. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ : **لَأَنْ أَرُدَّ دِرْهَمًا مِنْ شُبْهَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ أَلْفٍ وَمِائَةِ أَلْفٍ، حَتَّى بَلَغَ سِتَّمِائَةِ أَلْفٍ**. وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : **لَيْسَتِ التَّقْوَى قِيَامَ اللَّيْلِ، وَصِيَامَ النَّهَارِ، وَالتَّخْلِيطَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ، وَتَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ عَمَلٌ، فَهُوَ خَيْرٌ إِلَى خَيْرٍ**. أَوْ كَمَا قَالَ. وَقَالَ أَيْضًا : **وَدِدْتُ أَنِّي لَا أُصَلِّي غَيْرَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ سِوَى الْوَتْرِ، وَأَنْ أُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ، وَلَا أَتَصَدَّقَ بَعْدَهَا بِدِرْهَمٍ، وَأَنْ أَصُومَ رَمَضَانَ وَلَا أَصُومَ بَعْدَهُ يَوْمًا أَبَدًا، وَأَنْ أَحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ ثُمَّ لَا أَحُجَّ بَعْدَهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَعْمِدُ إِلَى فَضْلِ قُوتِي، فَأَجْعَلُهُ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيَّ، فَأَمْسِكُ عَنْهُ**. وَحَاصِلُ كَلَامِهِمْ يَدُلُّ عَلَى اجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ - وَإِنْ قُلْتُ - أَفْضَلُ مِنَ الْإِكْثَارِ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرْضٌ، وَهَذَا نَفْلٌ . وَقَدْ سُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْمٍ يَشْتَهُونَ الْمَعْصِيَةَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهَا، فَقَالَ : **أُولَئِكَ قَوْمٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** . وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ : **يَقُولُ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ : أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ، الْمُتَبَذِّلُ فِي شَبَابِهِ لِأَجْلِي، أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي**. «جامع العلوم والحكم» ص (٢٤٤ - ٢٥٥) .

(١) هَذَا مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ الْمُهِمَّةِ، وَمِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُعْطِيَهَا ﷺ، ويدخل فيها مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْأَحْكَامِ، كَالصَّلَاةِ بِأَنْوَاعِهَا، فَإِذَا عَجَزَ عَنْ بَعْضِ أَرْكَانِهَا أَوْ بَعْضِ شُرُوطِهَا أَتَى بِالْبَاقِي، وَإِذَا عَجَزَ عَنْ بَعْضِ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ أَوِ الْغُسْلِ غَسَلَ الْمُمْكِنَ، وَإِذَا وَجَدَ بَعْضَ مَا يَكْفِيهِ مِنَ الْمَاءِ لِطَهَارَتِهِ أَوْ لِغَسْلِ النَّجَاسَةِ فَعَلَ الْمُمْكِنَ، وَإِذَا وَجَبَتْ إزالة منكرات أو فطرة جماعة من تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ وَأَمْكَنَهُ الْبَعْضُ فَعَلَ الْمُمْكِنَ، وَإِذَا وَجَدَ مَا يَسْتُرُ بَعْضَ عَوْرَتِهِ أَوْ حَفِظَ بَعْضَ الْفَاتِحَةِ أَتَى بِالْمُمْكِنِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾.

(٢) رواه مسلم برقم (١٣٣٧) . وفي الحديث رحمته ﷺ بأمته، بإرادة التخفيف عليهم في العبادات، لئلَّا يقعوا في الحرج والمشقة فَيَمَلُّوا العملَ ويتركوه، فيهلكوا؛ كَمَا حَصَلَ معه في رحلة المعراج في فرض الصلاة، كما أخرجه البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً - قَالَ - فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى** عليه السلام : **مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ - قَالَ - قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ=**

www.saida-islam.weebly.com

=صَلاَةً. قَالَ لِي مُوسَى عليه السلام: فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ – قَالَ – فَرَاجَعْتُ رَبِّى فَوَضَعَ شَطْرَهَا – قَالَ – فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ – قَالَ – فَرَاجَعْتُ رَبِّى فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِىَ خَمْسُونَ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ، – قَالَ – فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّى ". وأخرج مسلم (٨٢١) عَنْ أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِى غِفَارٍ – قَالَ – فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ . فَقَالَ :" أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ". ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ :" أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ". ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ". فَقَالَ :" أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ". ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ :" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا ". وأخرج البخاري (٦١١٣) ومسلم (٧٨١) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجَيْرَةً بِخَصَفَةٍ أَوْ حَصِيرٍ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّى فِيهَا، فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ، ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً فَحَضَرُوا وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ وَحَصَبُوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاَةِ فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ ". وأخرج البخاري (١١٢٨) ومسلم (٧١٨) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ. وكان ﷺ يخفِّف على أصحابه رحمةً بهم، وينهاهم عن التعمُّق والتشدُّد في غير موضعه، وإذا رأى من أحد الصحابة من يشدِّد على نفسه في العبادة أمره بالتخفيف رحمةً به؛ فأخرج البخاري (٧٠٧) عن أَبِي قَتَادَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ ". وأخرج البخاري (١٩٢٢) ومسلم (١١٠٢) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ . فَقَالُوا : إِنَّكَ تُوَاصِلُ . قَالَ :" إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي يُطْعِمُنِي رَبِّى وَيَسْقِينِي ". وأخرج البخاري (١١٥٣) ومسلم (١١٥٩) عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ . فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي . قَالَ :" فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ". قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ : "فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ". قُلْتُ : إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . قَالَ :" فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا،=

www.saida-islam.weebly.com

=**فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ** ". فَقُلْتُ : إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ** ". وأخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٤٥) عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ الْمُزَنِيُّ قَالَ : أَتَيْتُ الْمِرْبَدَ فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ طَامِحٍ بَصَرُهُ يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مِنْ بَنِي هِلالٍ، أَوْ مِنْ بَنِي سَلُولَ، وَاسْمِي كَهْمَسٌ. قَالَ : فَقَالَ لِي : إِنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِإِسْلامِي، ثُمَّ غِبْتُ عَنْهُ حَوْلاً، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ تُنْكِرُنِي؟ فَقَالَ : أَجَلْ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَفْطَرْتُ مُنْذُ فَارَقْتُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ : وَمَنْ أَمَرَكَ أَنْ تُعَذِّبَ نَفْسَكَ ؟ صُمْ يَوْمًا مِنَ الشَّهْرِ، فَقُلْتُ لَهُ : زِدْنِي. قَالَ : صُمْ يَوْمَيْنِ، حَتَّى قَالَ : صُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الشَّهْرِ . وأخرج البخاري (٦٧٠٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ** ". وأخرج البخاري (١٨٦٥) ومسلم (١٦٤٢) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ قَالَ :" **مَا بَالُ هَذَا؟**" قَالُوا نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ :" **إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ** ". وأخرج البخاري (١٩٦٨) عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا. فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فَقَالَ: كُلْ . قَالَ : فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ. قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الْآنَ، فَصَلَّيَا. فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **صَدَقَ سَلْمَانُ** ". وأخرج مسلم (٢٧٥٠) عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: – وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ – قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَمَا ذَاكَ؟**" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : "**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً** ". ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. وأخرج البخاري=

www.saida-islam.weebly.com

=(٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: **مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا** . وأخرج البيهقي في سننه (٩٧٢٩) عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِنْدِي وَهُوَ قَرِيرُ الْعَيْنِ طَيِّبُ النَّفْسِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ وَهُوَ حَزِينٌ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ :" **إِنِّي دَخَلْتُ الْكَعْبَةَ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ فَعَلْتُهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَكُونَ قَدْ أَتْعَبْتُ أُمَّتِي بَعْدِي**". وأخرج البخاري (٢٩٧٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ حَمُولَةً وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَيَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلْتُ، ثُمَّ أُحْيِيتُ، ثُمَّ قُتِلْتُ ثُمَّ أُحْيِيتُ** ". وأخرج البخاري (٥٧١) ومسلم (٦٤٢) عن ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قال: أَعْتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً بِالْعِشَاءِ حَتَّى رَقَدَ النَّاسُ وَاسْتَيْقَظُوا، وَرَقَدُوا وَاسْتَيْقَظُوا، فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﵁ فَقَالَ: الصَّلَاةَ، فَخَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ الْآنَ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ : "**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُصَلُّوهَا هَكَذَا** ". وأخرج البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ** ". وأخرج النسائي في الكبرى (٣٠٢١) ورواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال :" **لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ** ". وأخرج البخاري (٧٠٢)، (٧٠٤) ومسلم (١٠٧٢) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ إِنِّي لأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا. فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ :" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ** ". وأخرج البخاري (١٩٣٦) (٦١٦٤) ومسلم (١١١١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ :" **مَا لَكَ** ". قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا** ؟". قَالَ: لَا . قَالَ :" **فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟**". قَالَ: لَا . فَقَالَ :" **فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا** ؟". قَالَ : لَا . قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ . فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَالْعَرَقُ الْمِكْتَلُ – قَالَ :" **أَيْنَ السَّائِلُ** ". فَقَالَ : أَنَا . قَالَ :" **خُذْهَا فَتَصَدَّقْ بِهِ** ". فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا – يُرِيدُ الْحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي . فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ :" **أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ** ".

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ وَسَعْيِهِ فِيْ قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ

عَنِ جَرِيرِ بْنِ عَبدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ(١)؛ قَالَ : فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ(٢)، مُجْتَابِي النِّمَارِ(٣) أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ؛ فَتَمَعَّرَ(٤) وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالاً، فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ(٥)، فَقَالَ :" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٦)، وَالآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾، تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ(٧)، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى

---

(١) أَيْ : أَوَّلِهِ .

(٢) أَيْ: يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْعُرْيُ .

(٣) النِّمَارُ : جَمْعُ نَمِرَةٍ؛ وهي ثياب صوف فيها تنمير، أي : تخطيط؛ والعباء : جَمْعُ عَبَاءَةٍ وَعَبَايَةٍ لُغَتَانِ . وَقَوْلُهُ : «مُجْتَابِي النِّمَارِ» أَيْ خَرَقُوهَا وَقَوَّرُوا وَسَطَهَا .

(٤) أَيْ تَغَيَّرَ؛ لِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يُجْبِرُ كَسْرَهُمْ، وَيُغْنِي فَقْرَهُمْ، وَيَكْسِبُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ مَا يُغْنِيهِمْ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ خُصُوصًا فِي حَقِّ أُمَّتِهِ. (فَدَخَلَ) أَيْ: فِي بَيْتِهِ لَعَلَّهُ يَلْقَى شَيْئًا مِنَ زِيَادَةِ النَّفَقَةِ أَوْ لِتَجْدِيدِ الطَّهَارَةِ وَالتَّهْيِئَةِ لِلْمَوْعِظَةِ.

(٥) فِيهِ اسْتِحْبَابُ جَمْعِ النَّاسِ لِلْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ وَوَعْظِهِمْ وَحَثِّهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِحِ .

(٦) سَبَبُ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهَا أَبْلَغُ فِي الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ وَلِمَا فِيهَا مِنْ تَأَكُّدِ الْحَقِّ لِكَوْنِهِمْ إِخْوَةً.

(٧) هذا خَبَرٌ لَفْظًا وَأَمْرٌ مَعْنًى، وَإِتْيَانُ الْإِخْبَارِ بِمَعْنَى الْإِنْشَاءِ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ، بَلْ قِيلَ : إِنَّهُ أَبْلَغُ فَكَأَنَّهُ أَمَرَهُ وَامْتَثَلَ بِهِ فَأَخْبَرَ عَنْهُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وقَالَ الطِّيبِيُّ : رَجُلٌ نَكِرَةٌ وُضِعَتْ مَوْضِعَ الْجَمْعِ الْمَعْرُوفِ لِإِفَادَةِ الِاسْتِغْرَاقِ فِي الْإِفْرَادِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ؛ أَيْ : لِيَتَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، وَرَجُلٌ مِنْ دِرْهَمِهِ وَهَلُمَّ جَرًّا . «مرقاة المفاتيح» (١/٢٩٢ - ٢٩٣) .

www.saida-islam.weebly.com

قَالَ:" **وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ** ". قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ. قَالَ : ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ(١) كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ(٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ** (٣)" (٤) .

---

(١) يَتَهَلَّلُ : أَيْ يَسْتَنِيرُ فَرَحًا وَسُرُورًا .

(٢) قَوْلُهُ : «مُذْهَبَةٌ» ذَكَرَ الْقَاضِي وَجْهَيْنِ فِي تَفْسِيرِهِ؛ **أَحَدُهُمَا** : مَعْنَاهُ فِضَّةٌ مُذْهَبَةٌ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي حُسْنِ الْوَجْهِ وَإِشْرَاقِهِ. **وَالثَّانِي**: شَبَّهَهُ فِي حُسْنِهِ وَنُورِهِ بِالْمُذْهَبَةِ مِنَ الْجُلُودِ وَجَمْعُهَا مَذَاهِبُ، وَهِيَ شَيْءٌ كَانَتِ الْعَرَبُ تَصْنَعُهُ مِنْ جُلُودٍ وَتَجْعَلُ فِيهَا خُطُوطًا مُذْهَبَةً يُرَى بَعْضُهَا إِثْرَ بَعْضٍ. وَأَمَّا سَبَبُ سُرُورِهِ ﷺ فَفَرَحًا بِمُبَادَرَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَذْلِ أَمْوَالِهِمْ لِلَّهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِدَفْعِ حَاجَةِ هَؤُلَاءِ الْمُحْتَاجِينَ، وَشَفَقَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ أَنْ يَفْرَحَ وَيُظْهِرَ سُرُورَهُ وَيَكُونَ فَرَحُهُ لِمَا ذَكَرْنَاهُ . «شرح مسلم للنووي» (١٠٢/٧ – ١٠٣) .

(٣) فِيهِ الْحَثُّ عَلَى الِابْتِدَاءِ بِالْخَيْرَاتِ، وَسَنِّ السُّنَنِ الْحَسَنَاتِ وَالتَّحْذِيرُ مِنَ اخْتِرَاعِ الْأَبَاطِيلِ وَالْمُسْتَقْبَحَاتِ، وَسَبَبُ هَذَا الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ فِي أَوَّلِهِ: فَجَاءَ رَجُلٌ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا فَتَتَابَعَ النَّاسُ. وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحُ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ؛ وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ تَخْصِيصُ قَوْلِهِ ﷺ :" **كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** ". وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ. «المصدر السابق» وعُلِمَ من الحديث أن له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب مضاعفة أعمال أمته ما لا يحيط به عقل ولا يحده حدٌّ؛ وذلك أن له مثل ثواب أصحابه بالنسبة لما عملوه وما دلوا عليه من بعدهم المضاعف لهم ثوابه إلى يوم القيامة، وهكذا في كل مرتبة من مراتب المبلّغين عنه عند انقضاء الأمة؛ ومنه يعلم عظيم فضل كل أهل مرتبة المتضاعف المتعدد بتعدد من بعدهم، فتأمله لتعلم فضل السلف على الخلف والمتقدمين على المتأخرين . «دليل الفالحين» (٤٤٦/٢) .

(٤) رواه مسلم برقم (١٠١٧) . وفي الحديث بيان عظيم رحمته ﷺ بالناس، وتأثُّره بأحوالهم من ضيق وسعة، وقلة وكثرة، فيحزن ويغتم لضيق حالهم، ويفرح ويسرُّ لتحسُّنِ أحوالهم؛ فقد كان ﷺ صديقاً لرعيَّته، فكلُّهم أصحابُه، وهو بينهم كواحدٍ منهم، يتفقَّدُ أحوالَهم، ويعودُ مرضاهم، ويشهدُ جنائزَهم، ويُسَوّي بينهم، ويصلحُ ذاتَ بينِهم، يتحملُ إيذاءَ المنافقين منهم، وجَفاءَ وغلظةَ أعرابِهم،=

www.saida-islam.weebly.com

=ويعفو ويصفحُ عمَّن أساءَ إليه منهم، مع مقدِرَته عليهم، يشارِكُهم أعمالهَم، ويعاتِبُهم في أخطائِهم بأرقِّ ما يكون من اللُّطْفِ والرأفةِ، يبكي على فقيدِهم، ويبذُلُ نفسَه لهم، ولا يحتَجِزُ دونهم، ويذهبُ بنفسه لعاجِزِهم يُلبّي طلبَه، لا يستكبرُ أن يمشيَ مع الأرملةِ والمسكين فيقضي له حاجتَه، ولا يُحَقِّرُ أحداً منهم حتى المصابينَ في عقولهم، محبوبٌ لَدَيْهم جميعاً، مَهيبٌ في صدورِهم حتى الصغير منهم، ويخفِضون عنده أصواتهم، وما يحدّون إليه أنظارَهم، وكان رحيماً رفيقاً شفيقاً على أمته، ولم يحرِمْ العصاةَ من تلكَ الصفات؛ قَالَ عَليٌّ رضي الله عنه : **كَانَ رَسُول الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ صَدرًا، وأَصْدَقَهُم لَهْجَةً، وأَلْيَنَهُم عَرِيكَةً، وَأكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ** . وقال الحسين بن علي رضي الله عنهما: سألت خالي هند بن أبي هالة عن مَنْطِقِهِ ﷺ فقال : **كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَ لَهُ رَاحَةٌ، لَا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، طَوِيلَ السُّكُوتِ، يُفْتَحُ كَلَامهَ وَيَخْتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، فَضْلٌ لَا فُضُولَ وَلَا تَقْصِيرَ، دَمْثٌ لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا الْمُهِينِ يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ، لَا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا، لَا يَذُمُّ ذَوَاقًا وَلَا يَمْدَحُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ : لَمْ يَكُنْ ذَوَاقًا، وَلَا مِدْحَةً، وَلَا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَمَا كَانَ لَهَا، وَإِذَا تَعَوْطَى الْحَقُّ، لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلَا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ وَلَا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا فضْرِبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَاطِنِ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرَفَهُ، جَلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتُرُ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ** . قَالَ: الْحُسَيْنُ: **سَأَلْتُ أَبِي، عَنْ دُخُولِ النبي ﷺ فقَالَ: كَانَ دُخُولُهُ لِنَفْسِهِ مَأْذُونًا لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَانَ إِذَا أَوَى إِلَى مَنْزِلِهِ جَزَّأَ دُخُولَهُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءًا لِلَّهِ وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ، ثُمَّ جَزَّأَ جُزْأَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ والْخَاصَّةِ وَلَا يَدَّخِرُ – أو قال – لا يدخر عَنْهُمْ شَيْئًا، وَكَانَ مِنْ سِيرَتِهِ فِي جُزْءِ الْأُمَّةِ إِيثَارُ أَهْلِ الْفَضْلِ بِإِذْنِهِ، وَقَسَّمَهُ عَلَى قَدْرِ فَضْلِهِمْ فِي الدِّينِ، فَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَةِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَاجَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ ذُو الْحَوَائِجِ، فَيَتَشَاغَلُ بِهِمْ وَيَشْغَلُهُمْ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَسْئَلَتِهِم عَنْهُ وَإِخْبَارِهِمْ بِالَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ منكم الْغَائِبَ، وَأَبْلِغُونِي حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغِي حَاجَتَهُ، فَإِنَّهُ مَنْ أَبْلَغَ سُلْطَانًا حَاجَةَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ إِبْلَاغَهَا إِيَّاهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُذْكَرُ عِنْدَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَلَا يُقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِ، يَدْخُلُونَ رُوَّادًا وَلَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَّا عَنْ ذَوَّاقٍ وَيَخْرُجُونَ أَدِلَّةً**، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَخْرَجِهِ كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ فِيهِ؟، **فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْزُنُ لِسَانَهُ إِلَّا مِمَّا يَعْنِيهِم وَيُؤَلِّفُهُمْ وَلَا يُفَرِّقُهُمْ**، أَوْ قَالَ: **يَنَفَرَّهُمْ، يُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ، وَيَحْذَرُ النَّاسَ وَيَحْتَرِسُ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْوِي عَن أَحَدٍ منهم بِشْرَهُ وَلَا خُلُقَهُ، وَيَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيَسْأَلُ النَّاسَ عَمَّا فِي النَّاسِ، وَيُحَسِّنُ الْحَسَنَ وَيُقَوِّيهِ وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ=**

www.saida-islam.weebly.com

=وَيُوَهِّيهِ، مُعْتَدِلُ الْأَمْرِ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ، لَا يَغْفُلُ مَخَافَةَ أَنْ يَغْفُلُوا أَوْ يَمَلُّوا، لِكُلِّ حَالٍ عِنْدَهُ عَتَادٌ، وَلَا يَقْصُرُ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يُجَوِّزُهُ، الَّذِينَ يَلُونَهُ مِنَ النَّاسِ خِيَارُهُمْ، أَفْضَلُهُمْ عِنْدَهُ أَعَمُّهُمْ نَصِيحَةً وَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَحْسَنُهُمْ مُوَاسَاةً وَمُؤَازَرَةً "، قَالَ: فَسَأَلْتُهُ عَنْ مَجْلِسِهِ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَجْلِسُ وَلَا يَقُومُ إِلَّا عَلَى ذِكْرٍ، وَلَا يُوَطِّنُ الْأَمَاكِنَ وَيَنْهَى عَنْ إِيطَانِهَا، وَإِذَا انْتَهَى إِلَى قَوْمٍ جَلَسَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَيَأْمُرُ بِذَلِكَ، وَيُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ، وَلَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَاوَمَهُ فِي حَاجَةٍ صَابَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفَ، وَمَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا أَوْ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ مِنْهُ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ فَصَارَ لَهُمْ أَباً وَصَارُوا عنده فِي الْحَقِّ سَوَاءً، مَجْلِسُهُ مَجْلِسُ حِلْمٍ وَحَيَاءٍ وَصَبْرٍ وَأَمَانَةٍ لَا تُرْفَعُ فِيهِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا تُؤْبَنُ فِيهِ الْحُرَمُ، وَلَا تُنْثَى فَلَتَاتُهُ مُتَعَادِلِينَ، يتَفَاضِلونَ فِيهِ بِالتَّقْوَى مُتَوَاضِعِينَ يُوَقِّرُونَ فِيهِ الْكَبِيرَ وَيَرْحَمُونَ فِيهِ الصَّغِيرَ، وَيُؤْثِرُونَ ذَا الْحَاجَةِ وَيَحُوطُونَ – أَوْ قَالَ: يَحْفَظُونَ – فِيهِ الْغَرِيبَ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ سِيرَتُهُ فِي جَلَسَاتِهِ؟ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَائِمَ الْبِشْرِ، سَهْلَ الْخُلُقِ، لَيِّنَ الْجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ وَلَا فَحَّاشٍ وَلَا عَيَّابٍ وَلَا مَدَّاحٍ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي وَلَا يُؤيسُ مِنْهُ، وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِ، قَدْ تَرَكَ نَفْسَهُ مِنْ ثَلَاثٍ: المراء، والإكثار، وما لا يعينه، وترك الناس من ثلاث كَانَ لَا يَذُمُّ أَحَدًا وَلَا يُعَيِّرُهُ وَلَا يَطْلُبُ عَوْرَتَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فيمَا رَجَا ثَوَابَهُ، إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جُلَسَاؤُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رؤوسِهُمُ الطَّيْرُ، وإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا، وَلَا يَتَنَازَعُونَ عِنْدَهُ بِشَيْءٍ مَنْ تَكَلَّمَ أَنْصَتُوا لَهُ حَتَّى يَفْرُغَ، حَدِيثُهُمْ عنده حَدِيثُ أَوَّلِهِمْ، يَضْحَكُ مِمَّا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَيَتَعَجَّبُ مِمَّا يَتَعَجَّبُونَ مِنْهُ، ويَصْبِرُ لِلْغَرِيبِ عَلَى الْجَفْوَةِ فِي مَنْطِقِهِ وَمَسْئَلَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ أَصْحَابُهُ لَيَسْتَجْلِبُونَهُمْ، وَيَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمْ طَالِبَ الْحَاجَةِ يَطْلُبُهَا فَأَرْفِدُوهُ، وَلَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مُكَافِئٍ، وَلَا يَقْطَعُ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ حَتَّى يَجُوزَ فَيَقْطَعَهُ بِنَهْيٍ أَوْ قِيَامٍ . رواه الترمذي في الشمائل (٣٥٢) والطبراني في الكبير (٤١٤) وقال الهيثمي: وفيه من لم يسمَّ. هذا كلُّه سوى ما لا تحصيه الأقلامُ، ولا تحيطُ به الأفهامُ، من إرشادِهم، وتعليمِهم وتأمينِ الحاجاتِ لهم، وأمرِهم بالمعروفِ، ونهيِهم عن المنكَرِ، فكان كَمَا قَالَ بعض أهل الْعلم : لَيْسَ فِي الدُّنْيَا كُلِّهَا مَحَلٌّ كَانَ أَكْثَرَ خَيراً مِنْ صَدْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَدْ جُمِعَ الْخَيْرُ بِحَذَافِيرِهِ وأُوْدِعَ فِي صَدْرِهِ ﷺ . فمن **رحمته ﷺ بأصحابه**، ما أخرجه أحمد في مسنده (٥٠٤) عن عُثْمَانَ رضي الله عنه في خطبة له، قَالَ : إِنَّا وَاللهِ قَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، فَكَانَ يَعُودُ مَرْضَانَا، وَيَتْبَعُ جَنَائِزَنَا، وَيَغْزُو مَعَنَا، وَيُوَاسِينَا بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ . وأخرج البخاري (١٩٤) ومسلم (١٦١٦) عن جابرٍ رضي الله عنه قال : جاء رسولُ الله ﷺ يعودُني، وأنا مريضٌ لا أعقِلُ، فتوضأ وصبَّ عليَّ من وَضوئِه، فعقلتُ، فقلتُ : يا رسولَ الله لمن الميراثُ ؟ إنما يرِثني كلالةٌ. فنزلت آيةُ الفرائضِ.=

www.saida-islam.weebly.com

=وأخرج البخاري (٤٦٣) ومسلم (١٧٦٩) عن عائشةَ ﵂ قالت : أصيبَ سعدٌ يومَ الخندَقِ في الأكحلِ، فضربَ النبيُّ ﷺ خيمةً في المسجدِ، ليعودَه من قريبٍ .. وأخرج مسلم (٩٢٥) عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ﵄ قال : كنا جلوساً مع رسولِ اللهِ ﷺ حتى إذ جاءه رجلٌ من الأنصارِ، فسلَّمَ عليه، ثم أدبرَ الأنصاريُّ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ :" **يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟**" فقال : صالحٌ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ :" **مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُم ؟**" فقام، فقُمنا معه، ونحن بضعةَ عشرَ ما علينا نِعالٌ، ولا خفافٌ، ولا قلانسٌ، ولا قُمصٌ، نمشي في تلكَ السِّباخِ حتى جئناه .. وأخرج مسلم (٢٦٨٨) عَنْ أَنَسٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ، فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟**" قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ – أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ – أَفَلَا قُلْتَ : اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**". قَالَ : فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. وأخرج البخاري (١٢٩٥) ومسلم (١٦٢٨) عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَلَغَنِي مَا تَرَى مِنَ الْوَجَعِ، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي ؟ قَالَ :" **لَا** "، قَالَ : قُلْتُ : أَفَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ ؟ قَالَ :" **لَا، الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ** ". قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي، قَالَ :" **إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يُنْفَعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ** ".. وأخرج البخاري (٦٨٤) ومسلم (٤٢١) عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعِدِيِّ أن رسولَ اللهِ ﷺ ذهبَ إلى بني عمرِو بنِ عَوْفٍ، ليُصلِحَ بينهم،.. وذكر الحديث. وأخرج مسلم (٩٢٦) عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁، أن رسولَ اللهِ ﷺ أتى على امرأةٍ تبكي على صبيٍّ لها، فقال لها :" **اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي** ". فقالت : وما تُبالي بمصيبتي . فلما ذهبَ، قيل لها : إنه رسولُ اللهِ ﷺ، فأخذها مثلُ الموتِ . فأتتْ بابَه فلمْ تجِدْ على بابه بوابين . فقالت : يا رسولَ اللهِ، لمْ أعرِفْكَ . فقالَ:" **إِنَّمَا الصَّبْرُ عِندَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ** ". وأخرج البخاري (٦٧٠) عنه ﵁ قال : قال رجلٌ من الأنصار : إني لا أستطيعُ الصلاةَ معك – وكان رجلاً ضخماً – فصنعَ للنبيِّ ﷺ طعاماً فدعاه إلى منزله، فبسطَ له حصيراً، ونضحَ طَرَفَ الحصيرِ فصلى عليه ركعتين. وأخرج الترمذي في الشمائل (٣٤٤) عن عمرو بن العاص ﵁ قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَى أَشَرِّ الْقَوْمِ، يَتَأَلَّفُهُمْ بِذَلِكَ، فَكَانَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَيَّ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي خَيْرُ الْقَوْمِ .. وأخرج أبو داوود=

www.saida-islam.weebly.com

=(٤٧٩٤) عن أنسٍ قال : ما رأيتُ رجلاً التقَمَ أُذنَ رسولِ الله ﷺ فينحي رأسَه، حتى يكون الرجلُ هو الذي ينحّي رأسَه، وما رأيتُ رجلاً أخذَ بيده فترَكَ يدَه، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يَدَعُ يده . وأخرج البخاري (١٤٣٢) عن أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: **"اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ** ". وأخرج البخاري (٢٧٠٥) ومسلم (١٥٥٧) عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" **أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟**". فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ. وأخرج مسلم (٨٦٧) عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال : كان رسولُ الله ﷺ يقول: **"أنا أولى بكلِّ مؤمن من نفسه، من تركَ مالاً فلأهله، ومن تركَ ديناً أو ضياعا فإليَّ وعليَّ"**. وأخرج مسلم (٢٦٠١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :" **اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتُهُ شَتَمْتُهُ لَعَنْتُهُ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**". وأخرج البخاري في الأدب (١١١) بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :" **كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَومَ القِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ**". وأخرج الطبراني (٧٥١) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وهُوَ يَعْلَمُ بِهِ** ". قال الهيثمي: رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن. وأخرج مسلم (٢٦٢٥) عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ:" **يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ** ". وكان ﷺ إذا هَبَّتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وجه ﷺ، لأنه كانَ يخشى أن تكون عذابا أرسل إلى أمته . كما أخرج البخاري (٤٨٢٩) ومسلم (٨٩٩) عن عائشة، أن النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ أَرَى النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ ؟ قَالَتْ : فَقَالَ :" **يَا عَائِشَةُ مَا يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ، قَدْ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ ﴾ [الأحقاف: ٢٤]**. وفي رواية مسلم قالت : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ :" **اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**"، قَالَتْ : وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سُرِّيَ عَنْهُ. وأخرج مسلم (١٦٩٥) عن بريدةَ رضي الله عنه أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ :=

www.saida-islam.weebly.com

="**أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟**" فَقَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، قَالَ، فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي ؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ :" **إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى**= =**تَلِدِي**"، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ : هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ :" **اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ**"، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ : هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ :" **مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ** " . ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ . وأخرج البخاري (٦٧٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ : "**اضْرِبُوهُ** ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ : أَخْزَاكَ اللَّهُ، قَالَ :" **لاَ تَقُولُوا هَكَذَا، لاَ تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ** ". وأخرج البخاري (٦٧٨٠) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ". وفي **رحمته ﷺ بالنساء :** كانت حياته ﷺ بين نسائه في بيته المثل الأعلى في المودة الرحمة والموادعة وترك الكلفة، وبذل المعونة والخدمة، واجتناب هُجْر الكلام ومُرِّه. فأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٦٤) عن عمرة قالت : سألت عائشة ﵂ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا بِنِسَائِهِ ؟ قَالَتْ : **كَانَ كَالرَّجُلِ مِنْ رِجَالِكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا** . ولم يكن رسول الله ﷺ يأنف منهن وهن في حال الحيض، بل كان يتحبَّب إليهن؛ فأخرج مسلم (٣٠٠) عن عائشة ﵂ قالت : كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ . وكان ﷺ رؤوفاً رحيماً بهن، يداريهن ويوافقهنَّ فيما يهوين مما لا مخالفة فيه، فأخرج أبو داوود في سننه (٤٩٩٩) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵄ قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ : أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ ! قَالَ : =

www.saida-islam.weebly.com

=فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا : أَدْخِلانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا**". وأخرج أحمد في مسنده (٢٦٢٧٧) وأبو داوود في سننه (٢٥٧٨) بإسناد صحيح عن عائشة ﵂ قالت : خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ :" **تَقَدَّمُوا**". فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي :" **تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ** ". فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ :" **تَقَدَّمُوا** ". فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ : "**تَعَالَيْ حَتَّى أُسَابِقَكِ** ". فَسَابَقْتُهُ، فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ :" **هَذِهِ بِتِلْكَ** ". وروى البخاري (٥٢٢٨) ومسلم (٢٤٣٩) عنها ﵂ قالت : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى** ". قَالَتْ: فَقُلْتُ: وَمِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ قَالَ :" **أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ غَضْبَى، قُلْتِ: لَا، وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ**". قَالَتْ : قُلْتُ : أَجَلْ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ. وروى الترمذي في سننه (٣٦٩١) عن عائشة ﵂ قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسًا فَسَمِعْنَا لَغَطًا وَصَوْتَ صِبْيَانٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَإِذَا حَبَشِيَّةٌ تَزْفِنُ وَالصِّبْيَانُ حَوْلَهَا، فَقَالَ :" **يَا عَائِشَةُ تَعَالَيْ فَانْظُرِي**". فَجِئْتُ فَوَضَعْتُ لَحْيَيَّ عَلَى مَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهَا مَا بَيْنَ الْمَنْكِبِ إِلَى رَأْسِهِ، فَقَالَ لِي :" **أَمَا شَبِعْتِ، أَمَا شَبِعْتِ** ". قَالَتْ : فَجَعَلْتُ أَقُولُ : لاَ. لأَنْظُرَ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ . وروى البخاري (٢٤٨١) عن أنسٍ ﵁ قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ :" **غَارَتْ أُمُّكُمْ** ". ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ . وأخرج البخاري (٦١٣٠) ومسلم (٢٤٤٠) عن عائشة ﵂ قالت: كُنتُ أَلعَب بالبَنَات عِند النبي ﷺ وكَان لِي صَواحِبُ يَلعَبن مَعي، فَكان رسول الله ﷺ إذا دَخل يَتقَمِعنَ مِنهُ فَيُسرِبُهُنَّ إليَّ فَيلعَبن مَعي . وأخرج البخاري (٦٧٦) عَنِ الأَسْوَدِ، قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﵂ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ – تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ – فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ . وأخرج مسلم (٢٣٢٨) عنها ﵂ قالت : مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ . وأخرج البخاري (٦١٦١) ومسلم (٢٣٢٣) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ مَعَهُ غُلاَمٌ لَهُ أَسْوَدُ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، يَحْدُو، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **وَيْحَكَ يَا** =

www.saida-islam.weebly.com

=**أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ بِالقَوَارِيرِ** ". وأخرج البخاري (٣٨٧٤) عن أمِّ خالدٍ بنتِ خالدٍ قالت : قدِمتُ من أرضِ الحبشةِ وأنا جويريةٌ، فكساني رسولُ الله ﷺ خميصةً لها أعلامٌ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يمسحُ الأعلامَ بيدِه ويقول :" **سَنَاهْ سَنَاهْ** " . قال الحُمَيديُّ : يعني : حسن حسن . وأخرج مالك في الموطأ (٣٦٠٢) وأحمد في مسنده (٢٧٠٠٦) والترمذي في سننه (١٥٩٧) وقال : حسن صحيح؛ عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ التَّيْمِيَّةِ ﵂ قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِنُبَايِعَهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْنَا لِنُبَايِعَكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيَكَ فِي مَعْرُوفٍ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" **فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَعْتُنَّ** ". قَالَتْ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا، بَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ . وفي **رحمته ﷺ بالصبيان**؛ أخرج البخاري (٦٢٤٧) عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ أنه مرَّ على صبيانٍ، فسلَّم عليهم، وقال : كان النبيُّ ﷺ يفعله . وأخرج مسلم (٢٣١٧) عن عائشة ﵂ قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ، فَقَالُوا : لَكِنَّا وَاللهِ مَا نُقَبِّلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمُ الرَّحْمَةَ** ". وأخرج أحمد في مسنده (٦٧٣٣) وأبو داوود في سننه (٤٩٤٣) والترمذي في سننه (١٩٢٠) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﵁ أن رسول الله ﷺ قال :" **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا** ". قال الترمذي : حسن صحيح. وأخرج مسلم (٢٣١٦) عن أنس ابن مالك ﵁ قال : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيُدَّخَنُ، وَكَانَ ظِئْرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ . وأخرج أحمد في مسنده (١٧٥٦١) والترمذي في سننه (٣٧٧٥) وحسَّنه، عن يعلى بن مرة ﵁، أنه قال : خَرجنَا مَع النَّبِي ﷺ ودُعِينَا إِلى طَعَامٍ فَإِذا حُسينٌ يَلعبُ فِي الطَّرِيق، فَأسرعَ النبيُّ ﷺ أَمامَ القَومِ ثُم بَسطَ يَديهِ فَجَعلَ الغُلامُ يَفِر هَهُنا وهَهُنا ويُضَاحِكُه النَبيُّ ﷺ حَتى أَخذهُ فَجعلَ إِحدى يَديهِ فِي ذَقْنِهِ والأُخرَى فِي رَأسِهِ ثُم أعتَنَقَه ثُم قَال النبي ﷺ : "**حُسينٌ مِني وَأنَا مِنهُ، أَحبَّ اللهُ مَن أَحبَّ الحَسنَ والحُسينَ سبطان مِن الأسباط**". وأخرج البخاري في الأدب (٣٦٧) عن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: سَمَانِي رسول الله ﷺ يُوسفَ، وأَقعَدَنِي عَلى حِجْرِه، وَمَسحَ عَلى رَأسِي. وأخرج البخاري في الأدب المفرد (٣٧٧) بإسناد صحيح، عن أبي هريرة ﵁ قال أَتى النَّبِيَ ﷺ رَجلٌ ومعهُ صَبي فَجعلَ يَضُمه إِليه فَقال النبي ﷺ :" **أَترحَمهُ** ؟" قال : نَعم . قال :" **فاللهُ أَرحَمُ بِك مِنكَ بِه وهُو أرحَم الرَّاحمين**". وأخرج البخاري (٦١٢٩) ومسلم (٢١٥٠) عن أنس ﵁ قال : دخل النبي ﷺ فَرأَى ابناً لأبي طَلحةَ يُقالُ لَه أَبو عُمير، وكَان له نُغيرٌ يَلعبُ بِه فَقال :" **يَا أبا عُميرٍ مَا فَعلَ** – أو **أينَ** – **النُّغَير**". وفي **رحمته ﷺ بالضعفاء والمساكين والخدم والعبيد**، أخرج البخاري =

www.saida-islam.weebly.com

=(٤٥٨) ومسلم (٩٥٦) عن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أسودَ – أو امرأةً سوداء – كان يقُمُّ المسجدَ فماتَ، فسأل النبيُّ ﷺ عنه . فقالوا : مات . قال :" **أَفَلَا كُنْتُم آذَنْتُمُوني بِهِ، دُلُّوني عَلَى قَبْرِهِ – أو قال قَبْرِهَا –** ". فأَتَى قَبرَهُ فَصَلَّى عَلَيهِ . وأخرج مسلم (٢٣١٠) عن أنس ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ : وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ :" **يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ** ؟" قَالَ : قُلْتُ : نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ . وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧١) عن أنس ﷺ قال : خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ ثَمَانِي سِنِينَ، فَمَا لَامَنِي عَلَى شَيْءٍ يَوْمًا يُثْوَى عَلَى يَدَيَّ، فَإِنْ لَامَنِي لَائِمٌ قَالَ :" **دَعُوهُ، فَإِنَّهُ لَوْ قُضِيَ شَيْءٌ لَكَانَ** ". وأخرج النسائي في سننه (١٤١٤) عن ابن أبي أوفى ﷺ، قال: كان رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ الذِّكْرَ، ويقل اللَّغوَ، ويطيلُ الصلاةَ، ويقصُرُ الخطبةَ، وكان لا يأنَفُ ولا يستَكْبِرُ أن يمشيَ مع الأرملةِ والمسكين فيقضي له حاجته. قال العراقي في تخريج الإحياء : صحيح على شرط الشيخين. وأخرج مسلم (٢٣٢٤) عن أنس ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلَّا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ، فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا. وأخرج البخاري (٦٠٧٢) عنه ﷺ قال : إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . وأخرج مسلم (٢٣٢٦) عن أنسٍ ﷺ أن امرأةً كان في عَقْلِها شيءٌ فقالت : يا رسولَ الله إن لي حاجة. فقال :" **يا أمَّ فلانٍ انظري أيَّ السِّكَكِ شئتِ، حتى أَقْضِيَ لكِ حاجَتَكِ** ". فخلا معها في بعضِ الطُّرُقِ، حتى فرَغَتْ من حاجتها . وأخرج البخاري (٥٢٨٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعبَّاسٍ :" **يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا**". فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **لَوْ رَاجَعْتِهِ**". قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ :" **إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ** ". قَالَتْ : لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . وأخرج مسلم (١٦٥٩) عن أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ ﷺ قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي :" **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ** ". فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :" **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**". قَالَ : فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ :" **اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ** ". قَالَ: فَقُلْتُ : لاَ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا. وأخرج مسلم (١٦٥٨) عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ سُوَيْدٍ قَالَ : لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا فَهَرَبْتُ ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ : امْتَثِلْ مِنْهُ. فَعَفَا ثُمَّ قَالَ : كُنَّا بَنِي مُقَرِّنٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ لَنَا إِلاَّ خَادِمٌ وَاحِدَةٌ،=

www.saida-islam.weebly.com

=فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:" **أَعْتِقُوهَا**". قَالُوا لَيْسَ لَهُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا قَالَ : "**فَلْيَسْتَخْدِمُوهَا فَإِذَا اسْتَغْنَوْا عَنْهَا فَلْيُخَلُّوا سَبِيلَهَا** ". وأخرج البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١) عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ : مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلاَمِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا : يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً . فَقَالَ : إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلاَمٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ :" **يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ** ". قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ . قَالَ :" **يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ** ". وأخرج أحمد في مسنده (٥٨٥) والبخاري في الأدب (١٨٥) وأبو داوود في سننه (٥١٥٦) بسند صحيح عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ كَانَ آخِرُ كَلاَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :" **الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ". وفي **رحمته ﷺ بالأعراب ونحوهم**، أخرج البخاري (٣١٤٩) ومسلم (١٠٥٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ ضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. وأخرج البخاري (٢٨٢١) عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ، مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ، عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ :" **أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا** ". وأخرج البخاري (٣١٥٠) ومسلم (١٠٦٢) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا كَانَ يَومُ حُنَينٍ آثَرَ رسولُ الله ﷺ نَاساً في القسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابسٍ مئَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَة بْنَ حصن مِثْلَ ذلِكَ، وَأَعطَى نَاساً مِنْ أَشْرافِ العَرَبِ وآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ في القسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : واللهِ إنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فيهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ : وَاللهِ لأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كالصِّرْفِ . ثُمَّ قَالَ :" **فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ** ؟" ثُمَّ قَالَ :" **يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبر** ". فَقُلْتُ : لاَ جَرَمَ لاَ أَرْفَعُ إِلَيْه بَعدَهَا حَدِيثاً. وأخرج مسلم (١٩٧١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَاقِدٍ رضي الله عنه، قَالَ : نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلاَثٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ، فَقَالَتْ : صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها، تَقُولُ : دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **ادَّخِرُوا ثَلاَثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ** "، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ=

www.saida-islam.weebly.com

=ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" **وَمَا ذَاكَ ؟**" قَالُوا : نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ :" **إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا**". وفي **رحمته ﷺ بمن آذاه وأراد قتله من اليهود**، أخرج البخاري (٣٢٦٨) ومسلم (٢١٨٩) عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ:" **يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ** ". قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ :" **يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**". قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ :" **لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ**". وأخرج البخاري (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩٠) عَنْ أَنَسٍ ﵁، أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، قَالَ :" **مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاكِ**". قَالَ: – أَوْ قَالَ :– **عَلَيَّ**". قَالَ قَالُوا: أَلَا نَقْتُلُهَا؟ قَالَ :" **لَا** "، قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وفي **رحمته ﷺ بالبهائم**، أخرج البخاري في الأدب المفرد (٣٧٣) بسند صحيح، عن قرة بن إياس المزني قال: قال : رجلٌ يا رسول الله إني لأَذبَح الشَاةَ فأرحَمُهَا أو قال : إني لأَرحَمُ الشَاةَ أنْ أَذبَحَهَا . قال :" **والشاةُ إنْ رَحِمتَها رَحِمَك الله**". مرتين .وأخرج البخاري (٢٤٦٦) ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال : "**بَينمَا رجُلٌ يَمشي بِطريق اشتَد به العَطشُ فَوجَد بِئراً فَنزلَ فِيها فَشرِبَ ثُم خَرج، فَإذا كَلبٌ يَلهَثُ يَأكلُ الثَرى مِن العَطَش فَقال الرَّجل : لَقد بَلغَ هَذا الكَلبَ مِن العَطشِ مِثل الذي كَان بَلغَنِي، فَنزلَ البِئرَ فَملأَ خُفهُ ثُم أَمسَكَها بِفِيهِ فَسقى الكلبَ، فَشكَرَ اللهُ لَه فَغفرَ لَه** ". قالوا : يا رسول الله وإنَّ لَنا فِي البَهائِم أجراً ؟ قال :" **فِي كُل كَبِدٍ رَطبَةٍ أَجرٌ** ". وأخرج البخاري (٢٣٦٥) ومسلم (٢٢٤٢) عن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال :" **عُذبت امرَأةٌ فِي هِرةٍ حَبَستَها حَتى مَاتت جُوعاً فَدخلَت فِيها النَّار يُقالُ – والله أعلم – : لا أَنتِ أَطعمتِيَها ولا سَقَيتِيهَا حِينَ حَبستِيهَا، ولا أَنتِ أَرْسلتِيها فَأَكَلتْ مِن خَشاشِ الأرض**". وأخرج الطبراني في الكبير (٧٩١٣) عن أبي أمامة ﵁ قال: قال: رسول الله ﷺ:" **مَنْ رَحِمَ ذَبِيحَةً رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ". وقال الهيثمي: رجاله ثقات. وأخرج أحمد في=

www.saida-islam.weebly.com

*****

=مسنده (٣٧٣٥) والبخاري في الأدب المفرد (٣٨٢) بإسناد صحيح عن ابن مسعود ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ مَنْزِلًا فَأَخَذَ رَجُلٌ بَيْضَ حُمَّرَةٍ، فَجَاءَتْ تَرِفُّ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :" **أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ بِبَيْضَتِهَا؟**" فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَخَذْتُ بَيْضَتَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **ارْدُدْ، رَحْمَةً لَهَا** ". وأخرج أبو داوود في سننه (٢٦٧٥) واللفظ له، والحاكم في المستدرك (٧٥٩٩) وصحَّحه ووافقه الذهبي، عَن ابن مسعود ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تُعَرِّشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : "**مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا** ". وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ :" **مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ**". قُلْنَا نَحْنُ. قَالَ :" **إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلاَّ رَبُّ النَّارِ** ". وأخرج الحاكم في المستدرك (٧٥٦٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحُهَا وَهُوَ يَحُدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ، هَلَّا حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا**". قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي. وأخرج أحمد في مسنده (١٧٥٤) وأبو داوود في سننه (٢٥٤٩) بإسناد صحيح، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ. قَالَ : فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ فَسَكَتَ، فَقَالَ:" **مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟**" فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ :" **أَفَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَى إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ** ". وأخرج النسائي في الكبرى (٤٨٤١) والحاكم في المستدرك (٧٥٧٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" **مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا، فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ عَنْهَا** "، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ : "**يَذْبَحُهَا فَيَأْكُلُهَا وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا فَيَرْمِي بِهَا**". قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وأخرج ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٢٢) عَنِ الْحَكَمِ بْنِ الْحَارِثِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّلَبِ، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ خَلَأَتْ نَاقَتِي وَأَنَا أَضْرِبُهَا، فَقَالَ :" **لَا تَضْرِبْهَا** ". وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :" **حَلَّ** "، فَقَامَتْ فَسَارَتْ مَعَ النَّاسِ . قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني، ورواته ثقات .

www.saida-islam.weebly.com

خاتمة

إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا ﷺ بِمَزِيدٍ مِنَ الرَّحْمَةِ، وبَعَثَهُ بِرِسَالَةِ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ، وأُمَّتُهُ مِثْلُهُ، مَبْعُوثَةٌ بِنَفْسِ الرِّسَالَةِ، فَهِيَ تَنُوبُ عَنْهُ ﷺ فِي حَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ودَعْوَةِ العَالَمِينَ إِلَيهَا، وكَمَا كَانَ نَبِيُّهَا ﷺ أَحْظَى الأَنْبِيَاءِ بِرَحْمَةِ اللهِ ﷻ، فَكَذَلِكَ هَذِهِ الأُمَّةُ هِيَ أَحْظَى الأُمَمِ بِرَحْمَتِهِ ﷻ مَا دَامَتْ قَائِمَةً بِتَحَمُّلِ أَعْبَاءِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، مُتَحَرِّكَةً فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ ومَغَارِبِهَا، رَافِعَةً هَذَا اللِّوَاءَ، لِوَاءَ الرَّحْمَةِ عَلَى خَلْقِ اللهِ، شِعَارُهُم شِعَارُ الصَّحَابَةِ رضوان الله عليهم أجمعين : **اللهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ النَّاسِ إِلى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلى سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلى عَدْلِ الإِسْلامِ** .

فَبِهَذَا تَتَوَجَّهُ رَحْمَةُ اللهِ إِلَيهَا، وتَتَحَصَّلُ عَلَى مَوَاعِيدِ اللهِ لَهَا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وتَعُودُ الأُمَّةُ إِلى مَقَامِهَا السَّامِيْ بَيْنَ الأُمَمِ، وتَرْجِعُ مِنْ جَدِيدٍ إِلى مَنْصِبِهَا الرَّفِيعِ الَّذِيْ وَضَعَهَا اللهُ ﷻ فِيهِ، واخْتَارَهُ لَهَا، والَّذِيْ لا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ لِلأُمَّةِ قَائِمَةٌ إِلاَّ بِعَوْدَتِهَا إِلَيهِ، واتِّخَاذِهَا هَذَا العَمَلَ مَقْصَداً لِحَيَاتِهَا، تَبْذُلُ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ مَا خَوَّلَهَا اللهُ ﷻ إِيَّاهُ مِنَ النِّعَمِ، وتَتَّخِذُ مَا سِوَاهُ مِنَ الأَعْمَالِ وَسِيلَةً مُعِينَةً عَلَيهِ .

واللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِحَمْلِ هَذَا اللِّوَاءِ الكَرِيمِ، والْقِيَامِ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ حَقَّ الْقِيَامِ، وأَنْ يَسْتَعْمِلَنَا لِنُصْرَتِهَا، وأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ صَفْوَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ، وأَنْ يَتَوَفَّانَا ونَحْنُ قَائِمُونَ بِهَا، وأَنْ يُجَنِّبَنَا مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ، وأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ولِوَالِدِيْنَا ومَشَايِخِنَا وعُلَمَائِنَا وأَحْبَابِنَا، ولإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيْمَانِ، وأَلاَّ يَجْعَلَ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّهُ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، ومِلْءَ الأَرْضِ، ومِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، ومِلْءَ مَا شَاءَ رَبُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، عَدَدَ خَلْقِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ، وزِنَةَ عَرْشِهِ، ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ؛ وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَى سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وخَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ والْمُرْسَلِينَ، ومَنْ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ

www.saida-islam.weebly.com

الطَّاهِرِينَ، وعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وعَلَى صَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ، وعَلَى التَّابِعِينَ، وتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَومِ الدِّينِ، وَارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تم الكتاب بحمد الله

www.saida-islam.weebly.com

فهرس المحتويات

مقدمة..... ٥

الحديث الأول..... ١٠

أَمْرُهُ ﷺ أُمَّتَهُ بِالرَّحْمَةِ وتَرْغِيبُهُ فِيهَا وَتَرْهِيبُهُ مِنْ تَرْكِهَا

الحديث الثاني..... ١٤

رَحْمَتُهُ ﷺ بِبُكَائِهِ بَينَ يَدَيِ اللهِ ﷻ طَلَباً لِلرَّحْمَةِ بِأُمَّتِهِ

الحَدِيثُ الثَّالِثُ..... ١٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِاغْتِنَامِ أَفْضَلِ الأَوْقَاتِ وَالأَحْوَالِ بِالدُّعَاءِ لِأُمَّتِهِ بِالمَغْفِرَةِ

الحَدِيثُ الرَّابِعُ..... ١٩

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالنَّاسِ بِسَعْيِهِ الحَثِيثِ لِإِنْقَاذِهِمْ مِنَ التَّهْلُكَةِ بِدَعْوَتِهِم إِلَى اللهِ، وَتَأَسُّفِهِ عَلَى عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، وَبَيَانُ حَالِ النَّاسِ مِنْ دَعْوَتِهِ

الحَدِيثُ الخَامِسُ..... ٢٢

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالتَّأَنِّي فِي دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ وَالرِّضَا بِفَتْحِ بَابِ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ مَعَ اسْتِعْجَالِهِمْ أَسْبَابَ العَذَابِ

الحَدِيثُ السَّادِسُ..... ٢٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَشِيرَتِهِ الأَقْرَبِينَ بِدَعْوَتِهِمْ إِلَى الإِيْمَانِ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ

الحَدِيثُ السَّابِعُ..... ٢٨

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ بِتَكْرَارِ دَعْوَتِهِ وَشِدَّةِ الاِهْتِمَامِ بِهِدَايَتِهِ

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّامِنُ ٣٤

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَفْوِهِ عَمَّنْ آذَاهُ وَدُعَائِهُ لَهُ بِالمغْفِرَةِ وَاعْتِذَارِهِ لَهُ عِنْدَ اللهِ

الحَدِيثُ التَّاسِعُ ٣٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِدَعْوَتِهِ جَمِيعَ النَّاسِ إِلَى اللهِ ﷻ فِي جَمِيعِ الأَحْوَالِ دُونَ أَنْ يَحْقِرَ أَحَداً أَنْ يَدْعُوَهُ إِلَى اللهِ

الحَدِيثُ العَاشِرُ ٤١

رَحْمَتُهُ ﷺ بِمَنِ اتَّهَمَهُ بِالجُنُونِ بِدَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ وَهِدَايَتُهُ بِذَلِكَ

الحَدِيثُ الحَادِيْ عَشَرَ ٤٣

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ الطَّائِفِ بِذَهَابِهِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ وَمَا لَقِيَهُ مِنْ أَذَىً فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَرَحْمَتُهُ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ وَرَجَائِهِ مِنَ اللهِ هِدَايَتَهُمْ

الحَدِيثُ الثَّانِيْ عَشَرَ ٥١

رَحْمَتُهُ ﷺ بِثَقِيفٍ عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُم مِنْ أَذَىً لَهُ وَلِأَصْحَابِه وَدُعَائُهُ لَهُمْ بِالهِدَايَةِ

الحَدِيثُ الثَّالِثُ عَشَرَ ٥٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالمشْرِكِينَ بِدُعَائِهِ لَهُمْ بِالهِدَايَةِ بَدَلاً مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيهِمْ بِالهَلَاكِ مَهْمَا صَدَرَ مِنْهُم مِنْ أَذَىً لِلْمُسْلِمِينَ

الحَدِيثُ الرَّابِعُ عَشَرَ ٦٢

رَحْمَتُهُ ﷺ بِزَعِيمِ المنَافِقِينَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الأَذَى، وذَلِكَ بِصَلَاتِهِ عَلَيهِ رَجَاءَ المغْفِرَةِ لَهُ وَتَرْغِيباً لِأَمْثَالِهِ بِالتَّوبَةِ

الحَدِيثُ الخَامِسُ عَشَرَ ٦٧

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَبْرِ اليَهُودِيِّ بِحِلْمِهِ عَلَيهِ مِمَّا أَدَّى إِلَى هِدَايَتِهِ

الحَدِيثُ السَّادِسُ عَشَرَ ٧٢

www.saida-islam.weebly.com

رَحْمَتُهُ ﷺ بِدُعَائِهِ بِالهِدَايَةِ لِقَبِيلَةِ دَوْسٍ مَعَ عِصْيَانِهَا وَإِبَائِهَا وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ لَهُمْ بِدُخُولِهِمْ فِي رَحْمَةِ اللهِ ﷻ

الحَدِيثُ السَّابِعُ عَشَرَ ٧٧

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالمشْرِكِينَ بِتَجْوَالِهِ عَلَيهِمْ وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ ﷻ مَعَ إِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَإِيْذَائِهِمْ لَهُ، وَهِدَايَةُ اللهِ ﷻ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ

الحَدِيثُ الثَّامِنُ عَشَرَ ٨٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ بِإِحْسَانِهِ إِلَيهِ وَدَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ وَدُخُولِهِ الإِسْلَامَ بِذَلِكَ

الحَدِيثُ التَّاسِعُ عَشَرَ ٩٠

رَحْمَتُهُ ﷺ بِرَجُلٍ مُشْرِكٍ أَرَادَ قَتْلَهُ، وَعَفْوُهُ عَنْهُ رَجَاءَ هِدَايَتِهِ

الحَدِيثُ العِشْرُونَ ٩٣

رَحْمَتُهُ ﷺ بِضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَتَلَطُّفُهُ بِهِ فِي إِجَابَتِهِ عَلَى أَسْئِلَتِهِ وَهِدَايَتُهُ بِذَلِكَ

الحَدِيثُ الحَادِيْ وَالعِشْرُونَ ٩٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِغُلَامٍ يَهُودِيٍّ بِدَعْوَتِهِ إِلَى الإِسْلَامِ، وَفَرَحُهُ ﷺ بِهِدَايَتِهِ

الحَدِيثُ الثَّانِيْ وَالعِشْرُونَ ٩٩

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِرْسَالِ البُعُوثِ وَالسَّرَايَا لِهِدَايَةِ النَّاسِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

الحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالعِشْرُونَ ١٠٢

رَحْمَتُهُ ﷺ بِقَبُولِ الصُّلْحِ مَعَ قُرَيْشٍ بِإِغْلَاقِ بَابِ القِتَالِ لِفَتْحِ أَبْوَابِ الدَّعْوَةِ

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ ١١١

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ وَتَلَطُّفُهُ بِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِإِرَادَتِهِ قَتْلَهُ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى هِدَايَتِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَى مَكَّةَ دَاعِياً

الحَدِيثُ الخَامِسُ وَالعِشْرُوْنَ ١١٥

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَمْرِو بْنِ العَاصِ وَخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ بِقَبُولِ إِسْلَامِهِمَا مَعَ شِدَّةِ أَذَاهُمَا لَهُ وَفَرَحُهُ ﷺ بِإِسْلَامِهِمَا

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ السَّادِسُ وَالعِشْرُوْنَ ١٢٧

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ مَكَّةَ بِعَفْوِهِ عَنْهُمْ وَدُخُولِهِمُ الإِسْلَامَ تَأَثُّراً بِعَفْوِهِ وَأَخْلَاقِهِ

الحَدِيثُ السَّابِعُ وَالعِشْرُوْنَ ١٣٧

رَحْمَتُهُ ﷺ بِصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بِإِعْطَائِهِ عَطَاءً جَزِيلاً يَتَأَلَّفُهُ بِهِ، وَدُخُولُهُ فِي الإِسْلَامِ بِسَبَبِ ذَلِكَ

الحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالعِشْرُوْنَ ١٤١

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِعْطَائِهِ المالَ الكَثِيرَ لِتَأْلِيفِ القُلُوبِ لِهِدَايَةِ النَّاسِ

الحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالعِشْرُوْنَ ١٤٤

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعِكْرِمَةَ بْنِ أَبِيْ جَهْلٍ وَأَمَانُهُ لَهُ وَدُخُولُهُ فِي الإِسْلَامِ بِذَلِكَ

الحَدِيثُ الثَّلَاثُونَ ١٥١

رَحْمَتُهُ ﷺ هِنْدٍ بِنْتِ عُتْبَةَ بِقَبُولِ إِسْلَامِهَا مَعَ مَا سَبَقَ مِنْهَا مِنْ شِدَّةِ عِدَائِهَا وَإِيْذَائِهَا لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ

الحَدِيثُ الحَادِيْ وَالثَّلَاثُوْنَ ١٥٤

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِيْ رَبِيعَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ المشْرِكِينَ، بِعَفْوِهِ عَمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ، وَدُخُولُهُمُ الإِسْلَامَ بِذَلِكَ

رحمته ﷺ بالنضير بن الحارث ١٥٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِحُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ١٥٧

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعُتْبَةَ وَمُعَتِّبِ ابْنَيْ أَبِيْ لَهَبٍ ١٥٩

رَحْمَتُهُ ﷺ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزِّبَعْرَى ١٦٠

رَحْمَتُهُ ﷺ بِالحَكَمِ بْنِ كَيْسَانَ ١٦١

الحَدِيثُ الثَّانِيْ وَالثَّلَاثُونَ ١٦٣

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأُمِّ أَبِيْ هُرَيْرَةَ بِدُعَائِهِ لَهَا بِالهِدَايَةِ مَعَ مَا صَدَرَ مِنْهَا مِنَ الأَذَى لَهُ

www.saida-islam.weebly.com

الحَدِيثُ الثَّالِثُ وَالثَّلَاثُونَ ١٦٥

رَحْمَتُهُ ﷺ بِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ عَلَى مَا سَبَقَ مِنْهُ مِنْ قَتْلٍ لِلمُسْلِمِينَ، وَبَيَانُ أَنَّ الغَايَةَ مِنَ القِتَالِ هِيَ الرَّحْمَةُ بِالنَّاسِ وَهِدَايَتُهُمْ

الحَدِيثُ الرَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ ١٦٩

رَحْمَتُهُ ﷺ بِأَهْلِ الكِتَابِ بِإِرْسَالِ الدُّعَاةِ إِلَيهِمْ وَوَصِيَّتُهُ إِيَّاهُمْ بِأَخْلَاقِ الإِسْلَامِ

الحَدِيثُ الخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ ١٧١

رَحْمَتُهُ ﷺ بِتَجْوَالِهِ عَلَى أُمَّتِهِ بِاللَّيلِ وَتَحْذِيرِهِمْ مِنْ خَطَرِ الآخِرَةِ

الحَدِيثُ السَّادِسُ وَالثَّلَاثُونَ ١٧٥

رَحْمَتُهُ ﷺ بِادِّخَارِ دَعْوَتِهِ شَفَاعَةً لِأُمَّتِهِ يَومَ القِيَامَةِ وَرَحْمَتُهُ بِهِمْ يَومَ القِيَامَةِ

الحَدِيثُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ ١٨٣

رَحْمَتُهُ ﷺ فِيْ تَعْلِيمِ أُمَّتِهِ الخَيْرَ وَإِرْشَادِهَا إِلَيْهِ

الحَدِيثُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ ١٨٥

حَدِيثٌ آخَرُ فِيْ رَحْمَتِهِ ﷺ بِأُمَّتِهِ فِيْ تَعْلِيمِهَا الخَيرَ وَإِرْشَادِهَا إِلَيْهِ

الحَدِيثُ التَّاسِعُ وَالثَّلَاثُونَ ١٨٩

رَحْمَتُهُ ﷺ فِيْ التَّيْسِيرِ وَالتَّخْفِيفِ عَلَى أُمَّتِهِ فِيْ العِبَادَاتِ

الحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ ١٩٦

رَحْمَتُهُ ﷺ بِإِحْسَانِهِ إِلَى النَّاسِ وَسَعْيِهِ فِيْ قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ

خاتمة ٢٠٩

فهرس المحتويات ٢١١

www.saida-islam.weebly.com